

أضواء على الصراع العربي الإسرائيلي



أضواء على
الصراع العربي الإسرائيلي



مفيد عرنوق

أضواء على الصراع العربي الإسرائيلي



منشورات دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع

طبعة اولى ١٩٩٠



منشورات دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٦٥٩٦ - ١١٣ بيروت

مقدمة

لا أخال ان عربياً واعياً واحداً من المحيط الى الخليج، يعيش في هذه الايام باطمئنان الى غده. الكل متعبون ولا تبدو على واحد منهم امارات الهناء. واذا صادف وكان احدهم في اكتفاء ذاتي فان ذلك لا يتعدى مطالبه الفردية واما الاجتماعية منها، التي هي عنوان مواطنية الانسان، فان سماءها ملبدة بالغيوم ودروبها وعرة.

واذا تعدينا حياة الافراد، محاولين الدخول في صميم روح المجتمع، فانا نصطدم فوراً بجيل قديم مرهق مادياً وروحياً، كما نصطدم بجيل جديد تائه وناقم في طريقه الى اللا انتماء. فلقد شعر هذا الجيل بالضياع والوقت يمر سراعا والطرق امامه تكاد تكون مسدودة.

ان وضعاً من هذا النوع، يشير الى الفناء لا الحياة. فعلى العقلاء ورواد الفكر ان يمعنوا النظر في هذه الظاهرات السلبية، ليحولوا دون التردي النهائي وانقاذ الامة والسير بها من جديد في طريق الفلاح.

الكل يدرك ماذا يجري ولكن هذا الادراك لا يتعدى العقل واما

الوجدان فانه مغلف بضباب الايام وظلمة الليالي.

عندما يصل افراد الامة الى هذا المستوى من العيش الرخيص تكون الامة في طريق الانهيار، يتلهى افرادها بالتغني بامجاد الماضي قولا لا فعلا وهم يقتربون من القاع.

نحن نسير في هذا الدرب، فواجبنا الاول، هو ان نعرف ذلك بكل قوانا العقلية والوجدانية ونتساءل: هل هذا هو المصير الذي نرتضيه لانفسنا ولامتنا؟ هل هو قدرنا في الحياة؟ ام اننا نستطيع تغييره الى احسن؟ الجواب عندئذ هو اننا امة عريقة وذات حضارة اغنت جميع حضارات العالم ولذلك كان لا بدّ لنا من العودة الى الاصالة الى الطريق الصاعد نحو المثل العليا، لنعيد الى المجتمع حيويته وقدرته على الحياة والارتقاء واسماع صوته الحضاري من جديد.

منذ اكثر من الف سنة ونحن نسير في الوعر دون ان تنضب قوانا حتى الآن.

ان منطقة الشرق الاوسط تحمل بيمينها قوة الحياة وبيسارها قوة الموت. رقعة جغرافية غنية ببيئتها، بحضارتها وتراثها وبموقعها الستراتيجي وهذا ما جرّ عليها الكثير من الويلات. لقد شهدت على ارضها اجتياح الرومان واليونان والفرس والصليبيين والتتر والاتراك والفرنسيين والانكليز. كلهم مروا فوق الارض العربية وعادوا من حيث أتوا. ولكن عقل المستعمرين في القرن العشرين عدل عن اسلوب الاجتياح باساليب اخرى اشد وادهى الا وهي السيطرة الاقتصادية والفكرية على الامم الداخلة في نطاق اطماعه، فكانت

قسمة العالم الى عالم متقدم وعالم متاخر اطلقوا على هذا الاخير رياء اسم عالم ثالث او نام واما هو بالحقيقة فانه عالم مستهلك لانتاج العالم المتقدم لا غير. وعلى هذا الاساس تقاسم الشرق والغرب امم هذا العالم المتخلف واوقعوها في شراكهم.

ولما كان العالم العربي يشكل بجميع كياناته الحالية، رغم التجزئة التي لحقت به، قوة فاعلة، وله قابلية النهوض، استطاعت الدول العظمى ان تسد على هذا العالم نوافذ الارتقاء فأوجدت اسرائيل على ارضه وباعدت بذلك بين مشرقه ومغربه، واوقعت مصالحه في شرك الصهيونية العالمية المتحالفة مع الغرب، على يد اسرائيل الطامعة في الارض وفي مقدرات العالم العربي. انها مؤامرة رهيبة تضاءلت امامها جميع المؤامرات التاريخية حتى مطلع عام ١٩١٧. وهي الان تهددنا في عقر دارنا.

ومن اجل النهوض اثر هذه الكبوة الرهيبة، علينا ان ننظم قوانا باشد مما ينظم العدو قواه، حتى نستطيع الوقوف ومن ثم السير من جديد في ركب الحضارة. علينا ان نفهم عقيدة عدونا وعقيده انصاره، وهو عمل يتطلب فهماً جديداً للتاريخ وتنظيماً دقيقاً قوياً لكل امكانيات عالمنا العربي.

ان في هذا الكتاب الكثير من الكشف على مكامن الضعف والقوة، نسجله بكل تواضع، داعين معشر المفكرين الى استكمال الدعوة، خدمة لامتنا وعالمنا. فالعروبة قد اغنت حضارات العالم قديما وهي مدعوة الان ان تغني نفسها.

المؤلف



المؤامرة العالمية - بروتوكولات حكماء صهيون تاريخها وواقعيتها



- ١ -

● في اواخر عام ١٩١٩ تم نشر اسرار حكماء صهيون، في برلين ولندن وقد اعتمدت الترجمتان نصاً موضوعاً بـاللغـة الروسيـة. والنسخـة الروسية موجودة في المتحف البريطاني.

● سرج نيلوس يحدد ان مصدر البروتوكولات التي هي بمثابة محاضر جلسات التي سبق وتم نشرها انما هي جزءٌ من المحاضر العائدة للمؤتمر الصهيوني في بال عام ١٨٩٧.

● يجب تدمير جميع الدول غير اليهودية وذلك بفعل الثورات الداخلية والحقد الطبقي كما يجب ان تتركز كل الحروب على اساس اقتصادي وان تعزز الحقوق اليهودية في العالم على حساب الحقوق الوطنية لمختلف باقي الشعوب ـ.

في التاسع من شهر يناير من عام ١٩٨٠ طالعَتنا اذاعة لندن في برنامج « السياسة بين السائل والمجيب » بتعليق على بروتوكولات حكماء صهيون. قالت ما معناه:

« ان بروتوكولات حكماء صهيـون كـانـت محض افتراء بحق الشعـب اليهودي من قبل الحكومة القيصرية الروسية آنئذ. ولكن سرعان ما بان زيف هذا الكتاب وطوي. اما الصهيونية فتعني العودة الى جبل صهيون الواقع قرب اورشليم وهذه العودة لا تعني مطلقاً الارض وانما العودة الى

الايمان فهي والحالة هذه دعوة دينية لا أرضية. واما الصهيونية في مفهومها الحديث اي العودة الى الارض (اي اسرائيل) فليس لها من العمر اكثر من مئة عام...»

كنا لا نود ان نرد على اذاعة لندن لانه سبق وفات الاوان على بحث هذه الامور، خاصة وانها أشبعت بحثاً وتحليلاً، منذ عام ١٩٠٥ حتى اليوم، فتعرت الصهيونية من جميع ارديتها التي حجبت حقيقتها زمناً طويلا، مما دعا الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ٨/ ١١/ ٧٥ إلى استصدار قرار تاريخي تحت رقم ٣٣٧٠ يدين الصهيونية بانها «شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري».

كنا لا نود الرد على اذاعة لندن، كما سبق وذكرنا، لو لم تكن هي التي طرقت ابوابنا وباللغة العربية مدافعة عن الصهيونية ومبرئة اليهود من مضمون «بروتوكولات حكماء صهيون» رغم كل ما اذاعه الغرب بصدد هذه البروتوكولات» ورغم محاكمات «برن» حيث فضحت مخططات اليهود وسجلت واقعية هذه المخططات. فأمام هذه المغالطات المتعمدة لا يسعنا الا العودة لبحث تاريخ وواقعية هذه البروتوكولات مستقين معلوماتنا من مدونات السدة البابوية في الفاتيكان لعام ١٩١٩، بقلم الاب «جوان» مندوب صاحب القداسة وكاهن كنيسة القديس أوغستين.

تاريخ ظهور البروتوكولات:

في اواخر عام ١٩١٩ تم نشر اسرار «حكماء صهيون» في شارلوتنبرغ (برلين) Charlottenberg Berlin، كما في لندن، وقد اعتمدت الترجمتان - وهذا مؤكد - نصاً موضوعاً باللغة الروسية، اتى به الاستاذ سيرج نيلوس Serge Nilus. والنسخة موجودة في لندن في المتحف البريطاني تحت رقم تسجيل: «المتحف البريطاني ١٠ آب ١٩٠٦» وقد اخذت هذه النسخة عن مؤلف عنوانه «المسيح الدجال» بمثابة امكانية فورية للحكم Anti-Christ (بروتوكولات حكماء صهيون ١٩٠٢ - ١٩٠٣) مرقمة

صفحاته من ٣٠٥ الى ٤١٧ اي انها تقع في ١١٢ صفحة وذلك وفق تحقيقات المورنينغ بوست Morning Post بتاريخ ١٧ تموز ١٩٢٠، وتتضمن مقدمة الطبعة الالمانية نقاطاً هامة، أبرزها:

«يُعتبر الاستاذ نيلوس عالماً يتمتع بشهرة واسعة في روسيا. انه مؤرخ وجداني ومؤمن جداً عرف منذ نشأته الاولى بذهن وقّاد ومتسام. عمره يناهز السبعين وكان يقطن في اوكرانيا. وفي عام ١٩٠١، ترجم الى اللغة الروسية نسخة بروتوكولات حكماء صهيون. ومن المؤكد ان النسخة الاصلية مكتوبة باللغة الفرنسية.

في عام ١٩٠٢ ظهرت اول نشرة حول بروتوكولات حكماء صهيون وكان قد الحقها سيرج نيلوس بكتاب تحت عنوان «الكبير في الصغير - المسيح الدجال امكانية فورية للحكم.»

ومن المؤكد ان هذا المؤلف طبع في دير القديس سيرج في ضواحي موسكو، وفي نفس السنة ظهرت طبعة اخرى مغفلة (١٩٠٢) في بترسبورغ تحت عنوان «جذور آلامنا». وفي عام ١٩٠٧، نشر الكاتب الروسي الشهير بوتني طبعة ثالثة انجزت طباعتها في مطبعة «مؤسسة الصم البكم في بترسبورغ تحت عنوان «عدو الجنس البشري». كما اصدر سيرج نيلوس طبعة ثانية عام ١٩١١ وهي التي ترجمها الى اللغة الالمانية «غوتفريد زوربيك». كما اصدر ايضا سيرج نيلوس طبعة ثالثة عام ١٩١٧.

ووفق ما اتى به المترجم الانكليزي، يبدو ان النسخة التي هي في حوزة المتحف البريطاني ظهرت عام ١٩٠٥ في «تساركوي سيلو» في روسيا. وبالفعل، يعلن سيرج نيلوس في مقدمة طبعته عام ١٩٠٥، ان هذه البروتوكولات كانت بحوزته منذ اربع سنوات اي منذ عام ١٩٠١.

وأخيراً ظهرت ترجمة جديدة في الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٢٠ تحمل عنوان «البروتوكولات والثورة العالمية». وقد أتى الناشرون

على ذكر الطبعة الانكليزية وذكر فرنسا الكهلة ومجلة التايمس والبوست مورنين، مما يدعو الى القول ان هؤلاء الناشرين لم يكونوا على علم بالطبعة الالمانية والبولونية. وعلى اثر ذلك، سرعان ما تناولت مجلة Public ledger في ٢٧ و٢٨ تشرين اول من عام ١٩١٩، هذه البروتوكولات، بالتعليق هادفة الى تبرئة اليهود من مضمونها، ساعية الى الصاقها بالبلشفيك مما دعاهم الى نشرها تحت عنوان «بروتوكولات البلشفيك». وقد شجبت دار نشر بوستن هذا التحريف بالاستناد الى مضمون البروتوكولات والى تاريخ استلامها من قبل سرج نيلوس. خاصة وان الحزب البلشفيكي لم يؤسس الا في عام ١٩٠٣، كما لم تنظم حركته الثورية الا بعد هذه الفترة بوقت طويل. وقد اعتمدت دار نشر مؤسسة بوستن طبعة سيرج نيلوس عام ١٩١٧.

مدينة سيرجييف Sergiev

في الطبعة الصادرة عام ١٩١٧ المترجمة في بوستن، يكشف فيها سيرج نيلوس عن مصدر البروتوكولات فيقول انها كتبت في المؤتمر الصهيوني المنعقد في «بال» Bale، وقد اخذت نسخة عنها سراً، من قبل ألكسيس نيقولا يفيتش سوكوتن Alexis Souchotin Nicollajevitch الذي كان وقتئذ برتبة مارشال روسيا الوسطى ومن ثم نائب حاكم روسيا الساحلية. وما كان عليه الا ان سلمها الى سيرج نيلوس طالباً منه ان يستخلص من هذه البروتوكولات ما يراه مفيداً من الناحية الدينية واما من الناحية السياسية، فعلى زعمه، قد فات الأوان.

اما سيرج نيلوس فقد سلمها بدوره الى «الدوق الكبير» سيرج الكسندروفيتش Alexandrovitch، وذلك قبل عام ١٩٠٥، وسرعان ما اعادها اليه هذا الاخير معلقاً عليها بقوله: «لقد فات الاوان».

وفي معرض هذه التحقيقات التاريخية نسجل شهادة Archeveque de

Mohlev (Russie) حيث يقول: « ان هذا المخطط الرهيب يتفق والاحداث الجارية حالياً ».

استشهادات

كتبت مجلة مورنن بوست في ١٩ تموز ١٩٢٠ ما يلي:

« يمكننا ان نقدم برهاناً قاطعاً على واقعية بروتوكولات حكماء صهيون بالاستناد الى تاريخ ظهور البروتوكولات بالذات، ذلك التاريخ المحدد بتاريخ ادخال النسخة (١٩٠٥) الى المتحف البريطاني (١٠ آب ١٩٠٦) واستناداً كما يبدو الى ما استقيناه من الروس اللاجئين الى انكلترا بقولهم انه اثر ظهور الكتاب لم يهتم به احد سوى اليهود الروس الذين اشتروا جميع النسخ ما عدا عدداً ضئيلا منها. وهكذا فان اهمية الكتاب لم تنجل الا بعد الثورة حيث اتت مصداقاً على كل ما جاء في البروتوكولات، فانتشرت بعدئذ محتوياتها على لسان جميع الروس. والآن جميعهم يعتقدون بواقعيتها خاصة وانهم ذاقوا مرارة انعكاسات هذه المخططات. هذا من نحو، ومن نحو آخر، فان لدينا تأكيدات نيلوس نفسه التي تثبت ان هذه البروتوكولات انما عرضت في المؤتمر الصهيوني المنعقد في « بال» عام ١٨٩٧.

الناشر الالماني

وفي مكان آخر، نقرأ للناشر الالماني في مقدمة طبعته صفحة ٨ ما يلي:

« لم تثق - في اي يوم من الأيام - الحكومة الروسية بتأكيدات الصهيونيين. انها كانت تعرف جيداً السبيل الدامي الذي يسير عليه اليهود عبر العصور. كما كان الروس يعرفون جيداً المحرضين على قتل امرائهم وموظفيهم الكبار ويعرفون ايضاً ان اليهود والبنائي الاحرار (الماسون) نفذوا مخططاً في القرن الثامن عشر يرمي الى اسقاط جميع العروش والهياكل.

عندما اعلنت الصحف عن انعقاد المؤتمر الصهيوني في « بال » في خريف عام ١٨٩٧ ، لبحث اقامة دولة يهودية في فلسطين، ارسلت الحكومة الروسية جاسوسة لتتبع اعمال هذا المؤتمر، وقد علمنا ذلك من احد الرعايا الروس الذي كان يشغل منصباً كبيراً في احدى وزارات بترسبورغ. فما كان من هذه الجاسوسة الا ان اغوت احد اليهود المكلفين بنقل محاضر الجلسات في نهاية المؤتمر الى فرنكفورت سور مان (Francfort. Sur Mein) حيث يتمّ حفظها بسرية.

لقد وفرت هذه الرحلة للجاسوسة الروسية فرصة استلام المحاضر وتسليمها بدورها الى جواسيس روس عكفوا على نسخها في تلك الليلة بالذات.

صحيفة مورنين بوست

جاء في صحيفة مورنين بوست في ٢٠ تموز عام ١٩٢٠ ما يلي:

« اذا اخذنا بعين الاعتبار واقعية البروتوكولات، نجد ان هذا المؤلف ينبىء عن حدوث ثورة عالمية من صنع منظمة يهودية ».

تعتبر الطبعة التي ظهرت في عام ١٩١٧ اساس الطبعة الاميركية. وهي تحوي عنصراً هاماً من تاريخ البروتوكولات حيث تقول ان نيلوس يعلمنا انه استلم مخطوط البروتوكولات من « الكسيس نيقولايفيتش سوكوتان » محدداً مصدره الاساسي كما يلي:

« اني اعلم لتوي، ومن مصادر يهودية مسؤولة ان هذه البروتوكولات ليست سوى مخطط استراتيجي لاحتلال العالم ووضعه تحت سيطرة اسرائيل (من يحارب مع الله) وقد وضع الشعب اليهودي هذا المخطط منذ زمن الشتات (منذ هدم اورشليم من قبل تيتوس القائد الروماني) ولقد قدم مؤخرا هذا المخطط الى مجلس الشيوخ من قبل « امير المنفى » ثيودور هرتزل، ليقدمه بدوره في اجتماع اول مؤتمر صهيوني ينعقد في « بال » في

شهر آب عام ١٨٩٧ . وعلى هذا الاساس نقرأ في منشور اللجنة الصهيونية للمؤتمر المذكور في عام ١٩١٠ تحت رقم ١٨ ، ان هرتزل مستاء من تسرب اسرار البروتوكولات الموقعة كما يقول نيلوس، من قبل ممثلي المؤتمر الصهيوني درجة ٣٣. ثم يتابع نيلوس مؤكداً على انه تمّ انتقاء هذه البروتوكولات من مجموعة البروتوكولات الكاملة التي نعلم جيداً الان انها وضعت في مؤتمر « بال » الصهيوني الاول في عام ١٨٩٧ ولقد تمت سرقتها من الصندوق الحديدي السري للمكتب الرئيسي الصهيوني القائم حالياً في فرنسا.

وفي ضوء ما تقدم يحدد نيلوس في عام ١٩١٧ ان مصدر البروتوكولات التي هي بمثابة محاضر جلسات سبق وتمّ نشرها، انما هي جزء من المحاضر العائدة للمؤتمر الصهيوني في « بال » عام ١٨٩٧ . وقد أتى هذا التأكيد على لسان نيلوس في عام ١٩١٧ ، الامر الذي يتفق تماماً مع ما جاء في الطبعة الالمانية حول واقعية انتقال البروتوكولات من « بال » الى « فرنكفورت سور مان ».

ونحن اذا ما عدنا الى محاكمات « برن » نرى ان الاعلام اليهودي قد خفت صوته امام قوس المحكمة بعد ان تأكد من ان نسخة البروتوكولات كانت موجودة في فرنكفورت، مما ادى الى تنازل اليهود عن ادعائهم بالنسبة للحقوق التي كانوا يطالبون بها امام المحكمة وذلك ضد بعض الصحف التي نشرت مضمون هذه البروتوكولات.

الناشر الالماني ايضا

وكتب الناشر الالماني ايضا تحت عنوان « اليهودية السافرة » ما يلي:

« بالاستناد الى العرض الذي قدمناه عن كيفية نشر « بروتوكولات حكماء صهيون » كان من المؤكد ان يعترض اليهود على ذلك. غير ان القارىء غير اليهودي يتعرف بسهولة تامة الى كل كلمة وردت فيها لانها

تتنفس الروح اليهودية وتنبع من العقيدة اليهودية العالمية الساعية دوما الى تحقيق الاهداف الواردة في البروتوكولات.

ان خصائص اليهود التي تبعدهم عن الآريين بعد الاسود عن الابيض لا يدركها الا من عرف جيدا الشعب اليهودي. وهذه الصفات اشبه ما تكون بصفات الثري الجديد الفاقد كل اصول التربية والخالي تماما من كل كياسة اجتماعية.

ولشد ما تنجلي هذه الصفات لدى كتاب اليهود الذين لا يتورعون عن شتم الشعوب التي استضافتهم، في صحفهم ومجلاتهم. وهذه الصفات هي القاسم المشترك بين جميع اليهود وقد استقوها من تاريخهم، تاريخ اليهود الرعاة. انهم منذ الوف السنين وهم يعيشون بين ظهراني الشعوب ومع ذلك يستمر وضعهم كالجندي الذي يعيش في معسكر اعدائه معتمداً على الحيلة والغش، لا يدرك احد مطاوي نفسه. وقد حق لـ Hein ان يلقبهم بـ «السر المتجول».

هذا غيض من فيض مما طالعتنا به بعض الصحف والمجلات ودور الاعلام الغربية وقد استمرت التعليقات والمناقشات حول بروتوكولات حكماء صهيون وبشكل كثيف متواصل منذ عام ١٩٠١ الى عام ١٩٢٠ والعالم المتمدن في حيرة من مضمون هذه المخططات الاجرامية، التي لا يمكن ان تصدر الا عن شعب مثل الشعب اليهودي، الذي لا يهمه سوى تكديس الذهب والفضة منذ عهد يشوع حتى اليوم دون ان يسجل اية حضارة ثابتة باسمه في العالم ولهذا كان يهون عليه التآمر على ممتلكات الغير وعلى عقائد الامم.

ملخص البروتوكولات

من اجل اعطاء القارىء فكرة واضحة عن مضمون بروتوكولات حكماء صهيون، نقدم فيما يلي ملخصاً لهذه البروتوكولات كما وضعته الطبعة الاميركية:

١ - يجب تدمير جميع الدول غير اليهودية ويتم ذلك بفعل الثورات الداخلية والحقد الطبقي والجهود التي تبذل ظاهرياً للحصول على اكبر قسط من الحرية من قبل الطبقات الشعبية وذلك بالاعتماد على نشر كلمات لا طائل تحتها: حرية، اخاء، مساواة...؟ تلك الالفاظ التي تعتبر بمثابة ادوات لاصطياد البسطاء وجذبهم نحو قضيتنا.

ان الحكم الاوتوقراطي الذي وحده يستطيع ان يضبط الشعب، يجب ان يضمحل تحت تأثير الافكار الحرة المؤدية بنتيجة الامر الى الفوضى.

٢ - من الآن وصاعداً، يجب ان تتركز كل الحروب على اساس اقتصادي اي ان كسب الممتلكات بنتيجة الحروب، يجب ان ينعدم تماماً حتى تصبح ثروة اليهود عاملا اساسيا في ربح الحرب.

٣ - يتم تعزيز الحقوق اليهودية في العالم على حساب الحقوق الوطنية لمختلف باقي الشعوب.

٤ - يجب اضعاف الحكومات غير اليهودية بفعل التدابير السياسية الخاطئة او بفعل التناقضات التي تتبناها هذه الحكومات، بالاضافة الى نفوذنا الخافي على موظفي المصالح العامة والى توجيه الصحافة، والضغط المتزايد على حرية التعبير.

٥ - يجب على الحكومات التي تعطي الاوليات للحرية الفردية، ان تلغم المعتقدات الدينية (غير اليهودية) لان الدين من شأنه ان يضبط الشعب من الناحية الاخلاقية مما يؤول الى استمرار بقاء الحكومات التي تعتنق مبدأ الحرية الفردية.

٦ - من اجل كسر مقاومة الدول غير المستعدة للرضوخ الى القوة اليهودية، يجب اللجوء الى العنف والخداع والرياء والرشوة والغش والخيانة وحجز ممتلكات الغير.

٧ - يتم هدم النظام الاجتماعي والاقتصادي للدول المسيحية على اساس

تدمير رخائها الصناعي وسيتحقق ذلك تحت تأثير المنافسة التجارية والاضطرابات المتواصلة وارتفاع الاسعار من اجل خلق ازمة اقتصادية. وعند ذلك تلجأ الحكومات غير اليهودية الى الاستعانة بقروض اجنبية ووطنية بصورة متزايدة الى ان تقع هذه الحكومات يالافلاس.

٨ ـ وفي جو هذه التخبطات الاجتماعية والسياسية، تنشأ تدريجيا الديكتاتورية اليهودية المعتمدة بالدرجة الاولى على نفوذها في اسواق البورصة العالمية وعلى امكانات اليهود الواسعة في مراقبة الصحف وحركة العمال الثورية.

٩ ـ في فترة الانتقال من الحكومات غير اليهودية، ستقام في كل دولة، حكومة سرية من قبل اليهود وذلك عن طريق الصحافة والرأي العام والرعب الجماعي وضعف المبادرة لدى غير اليهود، كما يتم ذلك بموجب التوجيه الخاطىء في تربية النشء على اساس الخلافات التي نزرعها في صفوف غير اليهود.

هذا هو المخطط الصهيوني العالمي الرهيب، نضعه من جديد امام الراي العام العالمي والعربي وبنوع خاص امام رأي الجيل الجديد الاوروبي، عله يعيد النظر في محتوى هذه البروتوكولات، التي بعدت الشقة بينه وبين تاريخ ظهورها ليتفهمها من جديد وفي ضوء السياسات العالمية الحديثة، عله يدرأ عنه وعن العالم الاخطار التي اوصلته حتى الان الى اقسى درجات القلق والاضطراب والتعاسة في جميع الميادين.

رب متسائل يقول: ان قوة اليهود هائلة ولا يمكن التغلب عليها فنرد عليه بقولنا: اليهود هم اضعف من ان يثبتوا في وجه الحضارات والتقدم لولا ضعف المجتمعات غير اليهودية وغفلتها. ولولا تخليها عن مثلها ومناقبها. فالمخطط اليهودي انما هو مخطط تخريب لا بناء، واعمال التخريب اسهل من اعمال البناء، كما ان عدوى الشر امعن في النفس استشراء من

عدوى الخير وهذا ما يستغله اليهود قديما وحديثا مسخرين قوى العالم الغبية من اجل تنفيذ مخططاتهم. فاذا ما وعينا قضيتنا حق الوعي على اساس قومي صحيح واضح فامتنعنا عن تدمير اوطاننا بأيدينا، نكون بلا شك اوصدنا في وجه اليهود واعداء امتنا طريق نجاح مخططاتهم الاجرامية.

هذا من نحو، ومن نحو آخر، وهو أشد ما يحز في النفس، ان نرى الكثير من المؤسسات السياسية العالمية تتبنى مخططات حكماء صهيون لتنفيذ اغراضها وتطبقها على الامم الضعيفة لتكبح جماح تطلعاتها الخيرة. فالهدم والتدمير بالجنس البشري في عصرنا الحاضر هو من صنع قوى جبارة يختفي وراءها اليهود.

ان على الجنس البشري والحالة هذه ان يدرك ا ن اداة التخريب قد امتدت الى ابعد من ايدي اليهود، الى المؤسسات السياسية العالمية دون وعي وادراك شعوبها تلك الشعوب التي تتغنى بالحرية والاخاء والمساواة بينما رؤوسها المدبرة تقتل الحرية والاخاء والمساواة.

والعالم الثالث يئن من وطأة هذه المؤامرات الرهيبة ولا بد له في المستقبل القريب من تكسير الاغلال والانفتاح على شعوب المؤسسات المجرمة دفاعاً عن انسانيته والجنس البشري عامة.

واذا ما تعثر العالم الثالث في استرداد حيويته فانه سيلجأ الى المقاومة اللاعنفية، الى سياسة الاكتفاء الذاتي فكرا وعلما واقتصادا وتجارة مهما كلف الامر، وهو بطبيعة تكوينه ومتطلباته مؤهل لمثل هذه النزعة، وبعدئذ حيث لن يكون من بعدئذ، سنرى العالم المتقدم يركع امام الهوة التي يكون قد حفرها بفعل الجشع والجحود والغباء.

ان العودة الى الايمان بالخير، وبالمناقب المجتمعية، وحدها كفيلة بانقاذ الجنس البشري من براثن التفلت والضياع والدمار، فهل تعي المجتمعات الاوروبية والعربية دورها الجديد؟

- ٢ -

● يجب حماية تجارة المخدرات والسمن والخبز والخمر، لأننا من هنا نتحكم بمقدرات الزراعة.

● مهنة المحامي تهيء أحسن الفرص لابراز وفهم تاريخ ألد خصومنا المسيحيين وبفضل هذه المعارف، يصبح بميسورنا وضع هؤلاء في تبعيتنا.

في العشرينات من هذا القرن، بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى أثر انحدار العالم في مهاوي الفوضى واللامبالاة، وجه قداسة البابا بينودكش الخامس عشر Benoit XV تحذيراً الى العالم أجمع وهذه ترجمته الحرفية:

« والآن يجب أن يتركز انتباهنا على سبب آخر من أسباب الفوضى أكثر عمقاً بكثير من غيره وهو يكمن في شرايين وحتى قلب المجتمع الانساني... لقد انصبت نكبة الحرب على الشعوب في الوقت الذي كانت فيه هذه الشعوب منغمسة في النزعة الطبيعية Naturalisme ، تلك النزعة التي اجتاحت هذا القرن حيثما وجدت، وكأنها لم تنشأ الا لتضعيف الخيرات السماوية والعطف الالهي، مبعدة الانسان عن نعمة المسيح المطهّرة المقدسة، تاركة اياه فاقد أنوار الايمان وفاقداً لكل القوى، مستسلماً لطبيعته الضعيفة الفاسدة تحت وطأة ميوله الشاردة.

ولما كان القسم الأكبر من البشر لا يسعى الا وراء منافعه الفانية، نشبت الخلافات والخصومات بين العمال وأرباب العمل، تلك الخصومات المؤدية

بالضرورة الى حرب الطبقات، التي جعلتها الحرب الطويلة تشتعل وتستعر.

وقد أدت هذه الحرب من جهة، الى ارتفاع كلفة المعيشة لدرجة غير مقبولة، والى ثراء بعض الأفراد بسرعة مذهلة، من جهة أخرى.

والى هذه الارزاء تنضاف أخرى: ان قدسية الزيجة، وسلطة الابوين أصيبتا لدى الكثيرين بالخلل وذلك بفعل نتائج الحرب. وابتعاد الوصاية وبخاصة، بالنسبة للبنات الصغيرات اللواتي أسرفن في استخدام الحرية.

ولا يسعنا والحالة هذه الا أن نأسف لتردي الأخلاق أكثر بكثير من ذي قبل. وبفعل هذه التأثيرات، ازدادت، يوماً بعد يوم، خطورة ما نسميه «القضية الاجتماعية» بحيث أصبحنا نخشى حدوث الشرور الأكثر تطرفاً.

وبالفعل، انه بموجب الامنيات وتوقع بروز الثوار في كل مكان، قد تظهر للوجود «الجمهورية العالمية» القائمة على شعار المساواة المطلقة بين جميع البشر دونما أي ضابط. كما قد تبرز فكرة الملكية الجماعية فتضمحل الى الأبد فكرة الوطن وسلطة الأب على أولاده والسلطات العامة على المواطنين وأخيراً سلطة الله على المجتمع البشري.

وان تحقق ذلك فستنتج عنه اضطرابات هائلة كما تبرهن عليه في الوقت الحاضر تجربة معظم البلدان الاوروبية.

وفي سبيل نشر هذا النظام بين الشعوب الأخرى، نلاحظ ان نفراً من المغامرين المتعصبين يثير الجماهير لاحداث، هنا وهناك، فتناً رهيبة».

ملاحظة: أعلن هذا التحذير بمناسبة مرور خمسين سنة على تكريس القديس يوسف راعياً للكنيسة الكاثوليكية.

ومن نحو آخر اليك أيها القارىء نداء أحد الربانيين (Rabbin)، بشأن الأمم (Goim) جاء في الطبعة الالمانية بروتوكولات حكماء صهيون، تقول الطبعة:

« في عام ١٩٠١ ، تساءل النائب التشيكي الشاب، وزير الحربية آنئذ عن سبب عدم نشر ما سمي بـ« نداء أحد الربانيين بشأن الأمم » فأطلعوه على النص المذكور وكيف انه يحمل بين طياته مبررات عدم نشره. ولكن سرعان ما انتشر خبر النداء بعد ذلك فطالع القراء في الصحيفة النمساوية المسماة: «استيقظ يا ميشال» في عدديها ٧ و٨ المؤرخين في ٢ و٩ آذار ١٩٠١، بعض النصوص الدالة على ان الرباني المذكور لا بدّ وأن يكون قد شارك في اجتماعات حكماء صهيون أو على أقل تقدير اطلع على محاضر هذه الاجتماعات. وبهذه المناسبة نشرت الصحيفة الوطنية نص نداء الرباني كما يلي:

رباني بشأن الامم

« ان زمن الآلام والعذابات، زمن الاضطهاد الذي عاناه الشعب الاسرائيلي بصبر وبسالة قد ولّى ولحسن الحظ بفعل تقدم وحضارة المسيحيين. ومثل هذا التقدم، يعتبر بالنسبة لنا درعاً واقياً، نختفي وراءه، ريثما نجتاز في الخفاء المسافة التي تفصلنا عن هدفنا الأسمى؛ فلنلق نظرة فاحصة على أوضاع أوروبا المادية ولنتعرف الى المنابع التي أنشأها الاسرائيليون منذ بداية هذا القرن بواسطة رأس المال الذي هو بحوزتنا.

في كل مكان ينتشر نفوذ عائلة روتشيلد وبفضل ذلك أصبح اليهود أسياد الأوضاع المالية واضافة الى مليارات هذه العائلة، نجد ان اليهود هم وحدهم، في كل بلد، أصحاب الرساميل المربحة سواء أكانوا من الدرجة الثانية أم الثالثة. وانه في كل مكان، لا تقوم أية عملية مالية أو تعهدات هامة الا بواسطة ابناء اسرائيل وبتأثيرهم المباشر.

والبورصة تحدد وتنظم الديون. فنحن دوماً وفي كل مكان، أسياد البورصة، الأمر الذي يدعونا للتقليل من مقدار هذه الديون بصورة تدريجية. كما نصبح بنتيجة الأمر القابضين على زمام تحديد الأسعار.

ومن أجل ذلك، وما دمنا نملك الرساميل الضخمة التي نحولها قروضاً للأمم، علينا أن نستخدم طرق مواصلاتهم الحديدية ومناجمهم وحراجهم ومصانعهم وبخاصة مصانع التعدين. كما علينا أن نحصل مقابل ذلك على ضمانات تشمل حتى الضرائب المترتبة عليهم.

أما الزراعة، وقد تعتبر دوماً أعظم ثروة في كل بلد، فيترتب علينا أن نبذل أقصى الجهود حتى يتمكن اخواننا في اسرائيل من وضع اليد على أكبر مساحة عقارية ممكنة.

ومن نحو آخر، وبحجة مساعدة الطبقة العمالية، علينا أن نعمل على تحميل أصحاب العقارات الواسعة أفدح الضرائب. ومتى أصبحت هذه العقارات في حوزتنا، يصبح انتاج الطبقة العاملة في قبضة يدنا، فيدر علينا آنئذ الأرباح الطائلة.

ان كل حرب أو ثورة، كل تغيير سياسي أو ديني يقربنا من الهدف الذي نرمي اليه. التجارة والمضاربة تدران أرباحاً طائلة. فيجب الا تنتزعا من أيدي الاسرائيليين. كما يجب قبل كل شيء حماية تجارة المخدرات وحماية السمن والخبز والخمر. لأننا من هنا نتحكم بمقدرات الزراعة بصورة مطلقة. وعلى هذا الأساس نصبح مموني العالم بالحنطة. فاذا ما اجتاحت المجاعة قطراً من الأقطار ونشأت عن ذلك ثورات الغضب والتذمر، توفرت لنا آنئذ الفرصة السانحة الكافية لايقاع المسؤولية على عاتق الحكومات. فعلينا اذن، أن نعمل لتصبح كل الوظائف العامة بمتناول اليهود وعندئذ، وبفضل الاستعدادات الوضيعة لدى الأمم، ويقظة عملائنا، سنعرف كيف نسيطر على منابع النفوذ الحقيقي. ونعني بمثل هذه الوظائف، تلك التي يحيط بها التقدير والمقدرة والامتيازات.

ان من الواجب، وهذا بمقدورنا، أن نتنازل للمسيحيين عن الوظائف التي تتطلب معارف عالية وجهوداً كبيرة بالنسبة للوقت بينما هي في الواقع غير ممتعة.

ان وزارة العدل من أهم الوزارات بالنسبة لنا (ولنتذكر جيداً ان أحد وزراء العدل هو الذي ساعد على اغلاق « مؤسسة الاتحاد العام »).

ان مهنة المحامي تهيء لصاحبها أحسن الفرص لابراز علمه. وبالاضافة الى ذلك انه يتدرب على فهم تاريخ ألدّ خصومنا وأعني المسيحيين. وهكذا وبفضل هذه المعارف يصبح بميسورنا وضع هؤلاء ضمن اطار تبعيتنا.

يترتب على اليهود أن يجهدوا النفس للدخول في الأجهزة التشريعية حتى يُبطلوا القوانين التي وضعتها الأمم (Goim) ضد أبناء اسرائيل المؤمنين الحقيقيين أتباع ابرهيم.

على الشعب اليهودي أن يكرس كل جهوده باتجاه كل مركز رفيع يمكن استلام السلطة على أساسه، وبذلك انه يضمن لاصحابه الشرف والاعتبار. وأما الوسيلة الأكيدة المؤدية الى هذه الغاية فهي ضرورة الاشتراك في جميع العمليات المالية والصناعية والتجارية مع تجنب الوقوع في مخالفات قضائية. فعلينا أن نبرهن على مثل هذه الحذاقة والمرونة المتعلقتين بالأمور التجارية.

علينا تشجيع التزاوج بين اليهود والمسيحيين. ان الربح الناتج عن ذلك هو قطعاً لنا دون أن نتعرض الى أي ضرر. وبالفعل، اذا امتزج الدم الفاسد بدماء أمتنا المختارة من الله، ان ذلك لا ينهي هذه الأمة. واما بناتنا فبفعل ارتباطهن بتلك العائلات، يحصلن على النفوذ مقابل نزر قليل من أموالنا.

ان صداقة المسيحيين لا تحيدنا عن الطريق المرسومة. بل على العكس، ان القليل من الحذق يجعلنا أسياداً.

واذا كان الذهب يعتبر القوة الأولى الزمنية، فان القوة الثانية دون ريب هي الصحافة. ولعمري، ما نفع الأولى دون الثانية؟ كيف يمكن بلوغ الهدف دون دعم من قبل الصحافة؟. فمن ضرورات العمل انتقال ادارة الصحف الى ايدينا. ان الثروة والحذاقة في اختيار الوسائل التي تحمل

الشخصيات الرفيعه على التعلق بنا عن طريق الصحافة، تجعلنا أسياد الرأي العام، وعندئذ ستخضع لنا الجماهير.

واذا سرنا خطوة خطوة، ولكن دون انقطاع سنهزم المسيحيين وننهي نفوذهم. سوف نحدّد الأنماط البشرية الممكن احترامها ومنحها الثقة والأنماط الواجب رفضها. ولربما قاومنا بعض الأفراد وكال لنا الشتائم واللعنات، غير ان الجماهير الجاهلة الطيّعة ستتعلق بنا وتنحاز الينا. واذ نصبح أسياد الصحافة المطلقين، سيسهل علينا تغيير مفاهيم الشرف والفضيلة والأخلاق. وذلك ان نلغم أولاً، ودفعة واحدة، الأسرة المعتبرة حتى الان، شبه مقدسة. ومن ثم نعمل على تدميرها نهائياً. وعندئذ يصبح بميسورنا مهاجمة الايمان وكل ما يقوّي حتى الآن، اعداءنا علينا. وعندها نستطيع أن نعلن الحرب بصراحة على كل ما كان محترماً حتى يومنا هذا. وسيكون لنا من جراء ذلك التعويض الكافي عمّا عانته اسرائيل خلال قرون عديدة.

اذا خطا أحدنا خطوة، يجب أن يلحق به الآخر. واذا صادف وتعرض الى بعض الأخطار فعلى الآخر أن يقدم له العون. وفي حال مثول اليهودي أمام القضاء يتحتم على قريبه أن يحيطه بعنايته ويقدم له المساعدة شريطة أن يكون هذا الأخير قد عاش تعاليم اسرائيل منذ أمد طويل.

ان من مصلحتنا فهم المسائل الاجتماعية المالية جيداً وبخاصة ما يتعلق منها بتحسين مصير الطبقة العمالية. غير ان هدفنا يكمن في حقيقة الأمر، في السيطرة على الرأي العام وتحديد معالم طريقه.

ان عمى الجماهير واستعدادها للخضوع للألفاظ المؤثرة يجعلان منها طريدة سهلة لنا. كما يجعلنا في نفس الوقت أكثر شعبية وثقة. وستجد بين جماعاتنا من يجمّل بالفصاحة مثل هذه المشاعر الصنعية التي يتقبلها المسيحيون بحماسة وأمانة.

يجب أن نعمل، بقدر المستطاع، على كسب عواطف البروليتاريا

واخضاعها لمن بيدهم المال. وسنحرضها على القيام بالثورات والانقلابات. ان كل كارثة من هذا القبيل، تقربنا من هدف السيطرة على الأرض كما وعد بذلك أبونا ابرهيم».

المفارقات بين الندائين

يتميز نداء قداسة البابا بالشمولية والعالمية دون تمييز بين شعب وشعب فهو مستوحى من رسالة السيد المسيح العالمية، رسالة المحبة والسلام. بينما نداء الرباني يتسم بالطابع اليهودي فقط على أساس نزعة نفسية دينية اختص بها هذا الشعب دون سائر الشعوب.

ويهتم تحذير قداسة البابا بمعالجة الفوضى السائدة في المجتمعات البشرية بفعل النزعة الطبيعية (Naturalisme) التي زرعها وغزّتها حرب ١٩١٤ اذْ عمَّ الاضطراب في داخل العائلة والمجتمع الى درجة تفكك روابط الزوجية فشرد الأولاد وتاهوا وبخاصة البنات الصغيرات تحت تأثير النزعة الفردية، بحجة تحقيق الذات.

كما ان النداء المذكور يشجب تكديس الثروات الطائلة التي ولدتها الحرب لدى بعض الناس وبصورة غير مشروعة.

ان دعوة قداسة البابا دعوة خير ومحبة ونظام اجتماعي عادل، بينما بالمقابل نقرأ في نداء الرباني اشادة بالمرحلة التي اجتازها اليهود حتى الآن على حساب المسيحيين.

كما ان هذا النداء يشيد بالثروات الهائلة التي وضع اليهود يدهم عليها والتي بواسطتها يحركون الثورات ويوقدون الفتن. وكل ذلك في سبيل السيطرة على الطبقة العاملة وفي كل مكان.

كما انه يشيد بدور الصحافة التي تدعم رأس المال اليهودي، وتؤهله للايقاع بأكبر الشخصيات غير اليهودية. كما يدعو للتآمر على صناعة وتجارة الأمم (GoIm) وكل ذلك لتقريب يوم السيطرة العالمية وبناء اسرائيل، الى

ما هنالك من أفكار شريرة يمتلىء بها نداء الرباني.

ان كل هذه الاتجاهات اللاأخلاقية، مستقاة حرفاً بحرف من بروتوكولات حكماء صهيون، كما جاء معنا في الحلقة الأولى من هذه الأبحاث، مما يدلّ على ان الرباني المذكور قد اشترك في وضع هذه المخططات أو كان على أقل تقدير، يحضر مناقشاتها. وكل ذلك ان دلَّ على شيء، انما يدلُّ على واقعية هذه البروتوكولات وعلى انها ليست افتراء بحق الشعب اليهودي، اختلقته الحكومة القيصرية على زعم اذاعة لندن.

الخلاصة

حيال هذه المفارقات وهاتين الصورتين المتناقضتين في النداثين المذكورين اعلاه، لا يسعنا الا ان نتوجه بالسؤال الى علماء الاجتماع في المجتمع الاوربي وبخاصة الجيل الجديد منه بالسؤال، عما اذا كان هذا المجتمع قد سار منذ عام ١٩٠١ حتى عام ١٩٨١، على هدْي ما رسمه له قداسة البابا بنديكتس الخامس عشر أم انه سار في الخط الذي رسمه له الرباني المار ذكره أعلاه لخدمة الشعب اليهودي والايقاع بالمجتمع المسيحي حتى يتمَّ له تدمير نفسه؟ والجواب عن ذلك واضح وجلي تماماً:

ان المجتمع الأوروبي خلال هذه الحقبة من الزمن فقد كل مقوماته الروحية التي سجلها عبر تاريخه الطويل فكانت أساساً في يوم من الأيام لحضارة الأمم.

انه اعتنق بكل جوارحه النزعة المادية متخلياً عن مثله العائلية والاجتماعية وحتى القومية. لقد بلغ في مضمار العلم والتكنولوجيا الذروة بينما انحدرت روحه الى الحضيض لتتمرغ في حمأة الضياع والقلق. انه يعلو بعقله وينحدر بنفسه حتى أصبح لا يوجس خيفة الا من الموت كما يقول المفكر والكاتب الفرنسي الكبير «بول فاليري» ومثل هذا القول يردده على مسامعنا كل آت من أبناء الغرب حتى ان أحدهم قال: لن تعمِّر الأمة الفرنسية على هذا

النحو أكثر من خمسين سنة. وهذا التصريح أعطي بكل أسف الى اذاعة اسرائيل في عام ١٩٨٠ وصاحبه لا يدري جذور الخطر المحدق بالأمة الفرنسية كما انه لا يدري منشأ هذه الأخطار.

اما نحن والعالم الثالث كله يحصد أشواك هذا التردي معتبرين الغرب منبع الحضارات ومصدر كل ايحاء. فالعالم الثالث يقلد العالم المتقدم كالأعمى تبهره تكنولوجيا العصر وتسيطر على مشاعره وحواسه فيضيع في متاهات التقليد حتى أصبح سوقاً استهلاكياً للغرب لا وظيفة له في الحياة غير ذلك. انه الآن يدق أبواب الضياع لأنه غرق في المادة وأضاع المثل الروحية انه مقلّد أعمى.

انها مأساة العصر ولا بد للجيل الجديد المفكر الواعي في العالم، من ان يثور قريباً على هذا التردي ليبعث مدرسة فكرية جديدة في سبيل دعم التراث القديم بالعلم والمعرفة، معيداً الى الانسان انسانيته على أساس مادي روحي فيتخلص انئذ من الفخ الذي وقع فيه ومن النظريات الباطلة التي اعتنقها وأدت به الى الفوضى واضمحلال الذات باسم الحرية وتحقيق الذات.

ان العالم ينتظر الكثير من الجيل الجديد والعالم أجمع، سيتعاطف مع هذا الجيل للنهوض بالجنس البشري الى الأحسن والأفضل.

- ٣ -

• علينا أن نضرم نار الصراع والخلافات بين مختلف المذاهب المسيحية.

• عندما نصبح أسياد هذه الأرض لن نسمح بممارسة شعائر أي دين غير ديننا.

• عندما يحين الوقت لهدم السدة البابوية، ثمة يدٌ خفية ستعطي الايعاز بالهجوم على الفاتيكان.

في الحلقة الثانية نشرنا ترجمة التحذير الذي وجهه قداسة البابا، في العشرينات من هذا القرن، الموجه الى المجتمع البشري كما نشرنا في نفس المقال تعليقاً لأحد الربانيين سبق ونشر في عام ١٩٠١ في المجلة النمساوية «استيقظ يا ميشال» وقد تضمن تعليق الرباني أفكاراً عديدة عن سياسة وسلوك اليهود في العالم تتفق تماماً لا بل حرفياً مع الكثير من مضمون «بروتوكولات حكماء صهيون» مما يدعو للاستنتاج البدهي ان هذا الرباني قد اشترك أو اطلع بأقل تقدير على جلسات حكماء صهيون كما سبق وذكرنا، والا لما ورد مثل هذا التوافق شكلاً ومضموناً بين تعليق الرباني والبروتوكولات. وفي كل ذلك البرهان الكافي والقاطع على واقعية البروتوكولات المشار اليها.

ورغم ذلك لا يسعنا الا ان نضيف قرينة أخرى في هذا المجال جاءت أيضاً على لسان الربانيين في مؤتمر لمبرغ Lemberg عام ١٩١١، كما نصت

عليه الطبعة الالمانية للبروتوكولات نقلاً عن « بويرن بوندلر » عضو الرابطة الفلاحية عام ١٩١٢ (Bauern Bundler) جاء فيه:

« أيها الاخوة

ها قد مرَّ تسعة عشر قرناً واليهود يكافحون من أجل الحصول على السلطة العالمية، الأمر الذي وعد به الله أبانا ابرهيم. بيدَ أن الصليب قد نال الظفر وتغلب على اليهود.

ان هؤلاء المشردين في جميع أقطار العالم، تعرضوا للاضطهاد الشرس وقتاً طويلاً. وما علينا رغم ذلك الا أن نأمل في انه بفعل انتشار اليهود فوق جميع القارات، ستصبح جميع الأراضي ملكاً لهم. وها نحن نحضر مشهداً مهيباً: ان اسرائيل تقوى يوماً بعد يوم.

ان الذهب الذي تنحني له هامات البشرية، ذلك الذهب المبجَّل الى أقصى الحدود، انما هو مستقبل اسرائيل، وان معظمه أصبح الآن بين يدي اسرائيل ولذلك أقول انه مستقبل اسرائيل.

ان أيام الاضطهاد قد انتهت. فتقدم المسيحيين وحضارتهم، كل ذلك يقيم أمنع الحواجز المحتجب خلفها اليهود، مما يساعد على تحقيق مخططات شعبنا اليهودي.

نحن اليهود، قد نجحنا حتى الآن في السيطرة على المراكز الرئيسية للبورصة العالمية: بورصة باريس ولندن وفيينا وبرلين وهمبورغ وأمستردام... انها كلها أصبحت لنا.

ان جميع الدول، في أيامنا هذه، أصبحت مدينة، ومن شأن هذه الديون ان تجبر الدول على تقديم ضمانات لليهود وهذه الضمانات تشمل كل المناجم والخطوط الحديدية ومعامل الدولة.

رغم ما تقدم، يبدو ضرورياً أن يستولي اليهود على الأراضي، بخاصة الـ LATIFIINDIA فاذا ما انتقلت الملكيات الكبيرة الى أيدي اليهود، ان

العمال المسيحيين العاملين في هذه الأراضي، سيقدمون لليهود مردوداً هائلاً.

اننا منذ تسعة عشر قرناً ونحن نحني الرقاب تحت النير. واما الآن فقد أصبحنا أقوى من مضطهدينا.

حقاً ان بعض اليهود مستسلمون للمعمودية بيدَ ان هذا العمل نفسه يعطينا المزيد من القوة. لأن اليهودي المعتمد يستمر يهودياً وسيأتي اليوم الذي يطالب فيه المسيحيون ان يكونوا يهوداً. غير ان الشعب اليهودي سيلفظهم باحتقار.

ان العدو الأول والطبيعي لليهود هو الكنيسة الكاثوليكية، ولذلك نحن اليهود قد تعلقنا بجذع هذه الشجرة الملعونة عنوان الجحود، وما علينا الا أن نضرم نار الصراع والخلافات بين مختلف المذاهب المسيحية.

علينا أن نكافح في باديء الأمر ودون هوادة وعلى جميع الصعد، رجال الدين الكاثوليكي. يجب أن نعرِّض الكهان في حياتهم الخاصة، الى السخرية واللعنات والفضائح حتى يصبحوا موضع احتقار وسخرية العالم.

علينا أن نحتكر المدرسة. والدين المسيحي يجب أن يضمحل فمتى أصبحت الكنيسة فقيرة ستخسر تلقائياً نفوذها لتصبح ثروتها فريسة اسرائيل.

على اليهود أن يضعوا كل شيء في قبضة يدهم وبخاصة السلطة والوظائف من نقابة المحامين الى الطب ثم القضاء، كلها يجب أن تهوّد. فقد تتوفر للطبيب اليهودي جميع الفرص لاقامة علاقات حميمية مع العائلات المسيحية.

على اليهود أن يضعوا حداً لعدم انفصام عرى الزوجية في المجتمع المسيحي وان ينشروا في كل مكان مبدأ الزواج المدني.

لقد أصبحت فرنسا في قبضة يدنا ولقد أتى الآن دور النمسا وأخيراً انه يترتب علينا، الاستيلاء على الصحافة وعندئذ سيبرز دورنا الحاسم الكامل.

نقاط التلاقي بين موعظة الرباني ومضمون «بروتوكلات حكماء صهيون»:

١ ـ يشير الرباني في مستهل موعظته الى كفاح اليهود طيلة تسعة عشر قرناً للحصول على السلطة العالمية.

اننا نجد هذه الدعوة في المحضر الخامس من البروتوكلات الفقرة ٤ حيث نقرأ:

«انا نقرأ في شريعة الانبياء ان الله اختارنا لنحكم الأرض. ولقد وهبنا العبقرية اللازمة لانجاز هذه المهمة».

٢ ـ الفكرة الثانية في موعظة الرباني تشير بألم شديد الى غلبة الصليب على اليهود. وهذا ما نجده في البروتوكول الرابع عشر الفقرة ١ كما يلي:

«عندما نصبح أسياد الأرض، لن نسمح بممارسة شعائر أي دين غير ديننا، ذلك الدين الذي يؤمن باله واحد قد علق به مصيرنا. وهو الذي اختارنا من بين جميع الأمم وحدد أقدار العالم».

٣ ـ الفكرة الثالثة تركز على ضرورة امتلاك الأرض وهذه الدعوة منبعثة من المحضر السادس الفقرة ٢ من البروتوكولات، حيث نقرأ:

«ان ارستقراطية الأمم، كقوة سياسية، لم تعد قائمة وليس من داع بعد الآن للاهتمام بهذه الناحية ولكنها كقوة مالكة للأرض فلا تزال تهدد مصالحنا، لأنها بفعل ثروتها تضمن استقلالها، فما علينا وبأي ثمن كان، الا ان ننزع ملكية الأرض من أيدي الارستقراطيين».

٤ ـ الفكرة الرابعة، تشيد بقوة الذهب الذي يمثل مستقبل اسرائيل. ان هذه الدعوة هي نفسها التي نجدها في المحضر الأول الفقرة ٤ كما يلي:

«في أيامنا هذه، قد ألغت قوة الذهب السلطات الحرة. كان زمان، أقيم فيه الحكم على أساس الدين، أما اليوم، فان فكرة الحرية غير قابلة للتحقيق، لانه لا يوجد انسان واحد يستخدمها برصانة».

٥ ـ الفكرة الخامسة، تشير الى استفادة اليهود، وهم وراء الكواليس، من حقارة المسيحيين، والى انهم أسياد البورصة العالمية. فهذا المعنى موجود بوضوح وفي كل مراميه الواقعية، في البروتوكول السادس الفقرة ٣ حيث نقرأ:

« علينا في نفس الوقت، حماية المضاربة التي تلعب دوراً هاماً في التوازن الاجتماعي، اذ انه بدون المضاربة، تزيد الصناعة من الرساميل الفردية وهذا قد يؤدي الى انعاش الزراعة وبالتالي الى تحرير الأرض من الديون والحجوزات. فيجب على الصناعة أن تعمل على تجميع كل ثروات الأرض وعندئذ وعلى أساس المضاربة تصبُّ كل هذه الثروات في أيدينا ».

٦ ـ جاء في موعظة الرباني انه في الوقت الحاضر، أصبحت جميع الدول مدينة وهذا يجبرها على تقديم ضمانات الى اليهود. انا نجد هذه الفكرة في البروتوكول العشرين الفقرة ١٢ كما يلي:

« كل عملية اقتراض تعتبر برهاناً على عجز الحكومة وعدم فهمها لحقوقها الخاصة. والقرض، ان هو الا سيف ديمقليس المسلط فوق رأس الحاكم الذي، عوضاً عن وضع الضرائب الجديدة على الشعب لتسديد العجز بواسطتها، نراه ينحني أمام مصارفنا ».

٧ ـ يدعو الرباني قبل نهاية موعظته للعمل على استلام الوظائف وعلى السيطرة على نقابة المحامين وعلى القضاء والطب. فالطبيب يمكنه ان يقيم علاقات وثيقة بين أفراد المجتمع. ان مثل هذه الأفكار نجدها في المحضر الأول الفقرة ١٤ حيث تقول:

« ... بالنسبة للشعوب المسيحية، ان الكحول قد بلبلتها والشبيبة قد شوشتها النظريات الكلاسيكية وأفعال المجون التي تدبرها رجالاتنا المدربون كالمبشرين والخدم والمعلمات في بيوت الأغنياء والموظفين الخ.... ونساؤنا في بيوت اللذائذ اللواتي أعود وأقول عنهن: نساء اللهو كما يبدو في الظاهر،

بينما دورهن الأساسي هو في ان يتمثلنهن ويقلدنهن النساء (أي نساء المسيحيين) في البذخ ومفاسد الأخلاق.

٨ ـ وأخيراً نسمع الرباني يصب جام غضبه على الكنيسة الكاثوليكية معتبراً اياها القوة الأولى المحافظة على الدين المسيحي، هذا الدين الذي يجب أن يضمحل بحسب زعمه.

كل هذه الأفكار العدائية للدين المسيحي نجدها بوضوح في المحضر الرابع الفقرة ٣ من «بروتوكولات حكماء صهيون» جاء فيها:

«يمكن للحرية الا تكون ضارة في حال ارتكازها على الدين وعلى مخافة الله، فاذا قام حكم الشعب على أساس ايمان كهذا، يمكنه عندئذ أن يعيش بسلام. ولذلك يترتب علينا أن ننزع من أفكار المسيحيين حتى الايمان بالله، مستعيضين عنه بنظريات حسابية وحاجات مادية».

كما جاء في هذا الصدد أيضاً، في المحضر الرابع الفقرة ١ كما يلي:

«لقد جعلنا رجال الدين المسيحي يفلسون بنظر شعوبهم وبذلك نكون قد أفسدنا عليهم مهماتهم التي كان من الممكن أن تقف في وجه مخططاتنا».

وفي الفقرة ٣ من نفس البروتوكول نقرأ في هذا المعنى ما يلي:

«في يومنا هذا، عمت حرية الأديان ولا اخالنا الا على بعد عدة خطوات فقط من انهيار المسيحية».

كما جاء أيضاً في الفقرة ٤ من البروتوكول المذكور ما يلي:

«عندما يحين الوقت، لهدم السدة البابوية ثمة يدٌ خفية تعطي الايعاز بالهجوم على الفاتيكان».

هذه هي بعض من النماذج للحقد اليهودي على الدين المسيحي وبالأخص على الكنيسة الكاثوليكية ومهما اتصفت به موعظة الرباني من هوس وادعاءات خيالية مريضة، تبقى عنوان النفسية الهدامة اينما وجدت. ولذلك

كان من الضروري تعريتها حتى لا يقع الأفراد والمجتمعات في حبائلها.

فاذا وعت المجتمعات غير اليهودية قضيتها واستيقظت على واقعها، سقطت دون ريب مخططات اليهود ومن يتبنى مثل هذه المخططات من أجهزة الحكم في العالم، وبذلك كسب للأمم على السواء وخير لليهود أنفسهم في المستقبل البعيد. لأن اليهودي، في يقظته على الواقع، يعود مفتشاً عن انسانيته الضائعة بين المجموعات البشرية، دون حقد وتآمر فيغمره آنئذ السلام وتنتصر في صدره المحبة التي كانت دوماً ومنذ فجر التاريخ هاجرة لهذا الصدر.

واما الأمم، من نحو آخر، فتتخلص من الشرور والفتن وافساد الضمائر تلك الاتجاهات السلبية، سلاح الضعفاء، والتي يستطيع كل انسان يريد ان يتخلى عن انسانيته ان يحييها ويغرسها في نفوس الضعفاء والأقوياء المتسلطين على رقاب الضعفاء هؤلاء.

واما ان يعتنق اليهودي جنسية الأمم ويبقى يهودياً يعمل بوحي بروتوكولات حكماء صهيون، وضد مصالح هذه الأمم، فان ذلك يعتبر خيانة وطنية يحاسب عليها بموجب القوانين المرعية، دون أن يُعتبر ذلك اضطهاداً كما يدعي اليهود كلما واجهوا ذلك.

وكما رأينا بوضوح تام، فقد تضمنت موعظة الرباني التي نشرت عام ١٩١١، أي بعد موعظة الرباني الأول المار ذكره في الحلقة السابقة، بعشر سنين، لقد تضمنت الكثير مما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون مما يدل دلالة واضحة على ان الرباني هذا، على غرار الرباني الأول، اما ان يكون قد شارك في وضع بروتوكولات حكماء صهيون، أو حضر مناقشتها وفي ذلك الدليل الوافي على واقعية هذه المخططات، خلافاً لما ادعته اذاعة لندن ولما قبل به الرأي العام الاوروبي بكل بساطة، تحت ضجيج الاعلام اليهودي والحياة اليومية المثقلة بقيود المادة وصخب الآلات.

انا نراقب بكل أسف، ان اوروبا، في العصر الحاضر، تواجه خطر التردي والانهيار الحضاري. فالقارة التي انتقل اليها مشعل الحضارة منذ زمن طويل وأصبحت عبره، الرائدة الأولى في العالم، يجب ألا تتخلى عن حضارتها لا بل عليها العودة الى الوراء متحرية عن جذور هذه الحضارة لتغذيتها من جديد وتقويتها.

والشرق الأوسط الذي انبعثت من اعماقه بذور الحضارة الاوروبية، عليه هو أيضاً ان يتوجه بكل قواه المادية والمعنوية، الى ابناء هذه القارة الاوروبية بالتفاعل الفلسفي والفكري على جميع المستويات مع ابناء اوروبا ورثة حضارة الشرق الأوسط، لتكتمل من جديد دورة الفكر هذه، فتشمل جميع مناحي الحياة المادية والروحية وبذلك النفع العميم للمجموعة البشرية قاطبة.

ونحن اذ نتوجه الى أبناء القارة الأوروبية بمثل هذا النداء وهذه الحرارة انما، لكون حضارة هذه القارة هي امتداد تاريخي لحضارتنا في جميع مراحل التاريخ قديماً وحديثاً.

ان المشرق العربي مع وحدة وادي النيل، هو مهد الحضارة العالمية بعد ان انتقلت اشعاعاته الى اوروبا عبر اليونان. هذا وان التقدم العلمي والتقني في اوروبا قد جعلها لنا، في العصر الحال، رائدة نقتدي بها ونستمد منها جميع حاجاتنا من منجزاتها الفكرية والمادية ولذلك يصعب علينا جداً ان تتردى حضارة هذه القارة فتنعكس علينا جموداً وتخلفاً. ومن المؤكد ان لا سبيل لاطراد الازدهار سوى العودة الى الأصالة والتعاون وتفجير الطاقات. ولذلك نرى ان التعاون بين شعوب أوروبا وبلدان الشرق الأوسط هو من ضرورات الحياة واستمرار هذه الحياة كريمة عزيزة. هكذا يجب أن يفهم الطرفان هذه الحقيقة وان يتعاونا على تحقيقها.

أوروبا عزيزة علينا كما هو عزيز علينا اسمها، وهو «اوروب» أخت قدموس الفينيقي (الكنعاني) ابن الملك اجينور. لقد خطفها الثور الالهي كما

جاء في الأسطورة وحط بها في كريت. وسرعان ما لحق بها أخوها قدموس لاسترجاعها وفي رحلته هذه علّم اليونانيين الابجدية، ومن ثم انتقلت هذه الابجدية الى اوروبا تلك القارة التي أخذت منذ ذلك الحين اسم «أوروب» أخت قدموس.

ان العودة الى التاريخ والى حركة الفكر عبر التاريخ، تصل الثمار بالجذور فتينع شجرة المعرفة والحضارة من جديد لمصلحة الجنس البشري قاطبة.

- ٤ -

• مخطط الحية الرمزية.

• كان على مخطط الحية الرمزية ان يهدم ويبتلع تدريجياً جميع القوى الحكومية غير اليهودية.

• تقوم صهيون باعادة تربية الشعوب على أساس المادية القاتلة للرو- وللمبادىء والعبقرية الخلاقة...

نقدم للقارىء بعض التفسيرات المتعلقة ببروتوكولات حكماء صهيو- مستقاة مما قدمه سيرج نيلوس في طبعة نيلوس الروسية عام ١٩٢٠ وقد جا- فيها ما يلي:

جرى استنساخ هذه المحاضر بالحيلة عن الكتاب الكامل لمحاضر المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال في شهر ايلول من عام ١٨٩٧. وقد ت- الحصول عليها من بين الملفات السرية التي كانت موجودة يومئذ لدى الديوان الصهيوني القائم حالياً في فرنسا (١٩٢٠).

انا نعلم ان فرنسا أجبرت تركيا، في يوم من الأيام، على منح عد- امتيازات لبعض المدارس والمؤسسات الدينية القائمة في المخيمات الفرنسية في آسيا الصغرى.

وهذه التدابير لا تشمل بطبيعة الحال المدارس والمؤسسات الكاثوليكية المحظورة في فرنسا وقتئذ. ومثل هذا الموقف يدل على ان الدبلوماسي-

الدريفوسية DREYFUSARDE : لم يكن لها من مطلب سوى حماية مصالح صهيون وسوى استعمار آسيا الصغرى من قبل اليهود الفرنسيين.

لقد عرفت صهيون دوماً ، كيف تحصل على النفوذ الذي تريده بواسطة ما يسميه التلمود « البهائم » وهو الاسم الذي يطلقونه على كل من هم غير يهود .

وبموجب التقويم اليهودي الصهيوني السري ، يكون سليمان مع بعض العلماء الاسرائيليين هو الذي وضع في عام ٩٢٩ ق.م. النظرية الهادفة الى احتلال العالم سلماً .

وعبر الأزمنة توضحت هذه النظرية واستكملت تدريجياً من قبل رجالات دربوا خصيصاً لهذه الغاية . كما قرر هؤلاء العلماء ، من اجل خدمة صهيون ، احتلال العالم سلماً . وهكذا قد نفذوا هذا المخطط الممثل بـ « الحية الرمزية » التي يشكل رأسها الحكومة اليهودية المدربة على متابعة تنفيذ مخططات الحكماء في الخفاء حتى عن شعبها .

وهذه الحية كانت تهدم وتبتلع تدريجياً جميع القوى الحكومية غير اليهودية . هذا ما كان على الحية ان تفعله حتى تأتي على كامل اوروبا فتتمكن عندئذ من السيطرة على العالم اذ يعود رأس الحية الى صهيون.

ومثل هذا المخطط ، كان يجب ان ينفذ بواسطة جميع القوى المتوفرة لاخضاع جميع البلدان سواء بالاجتياح عن طريق السلاح أو بواسطة الاقتصاد .

ان عودة رأس الحية الى صهيون ، لن يتم الا عبر الدمار الذي يصيب القوى الحكومية لجميع البلدان الأوروبية بفعل الفوضى والدمار الاقتصادي الذي تحدثه صهيون في كل مكان بنتيجة اليأس الفكري وفساد الأخلاق.

اما النساء اليهوديات الحاملات جنسيات فرنسية وايطالية واسبانية ، فيساهمن بصورة رئيسية في الاسراع بهذا الانحلال عن طريق نشر الدعارة بين زعماء الأمم.

ان النساء الموظفات في خدمة صهيون يمثلن الطعم الدائم للرجال الذين يصبحون بتأثير هؤلاء النساء بحاجة للمال. اما حقيقة هذا المال فليس سوى الديون التي يقرضهم اياها اليهود.

ان النساء اليهوديات يسترجعن سريعاً هذه الأموال ليضعنها من جديد بين أيدي اليهودية المخربة. ومثل هذه الصفقات تؤدي بنتيجة الأمر الى تحويل هؤلاء الرجال الى عبيد في خدمة القضية الصهيونية.

ومن أجل نجاح هذه العملية، يترتب على الموظفين في القطاع العام أو على الأفراد المستقلين ألا يشكّوا في الدور الذي يلعبونه وهم بين يدي صهيون. فمن أجل ذلك نرى مدراء صهيون يؤلفون ما يشبه المذهب الديني، ساهرين، بصورة دقيقة ومتواصلة، على تطبيق شريعة موسى والتلمود. وهكذا نرى العالم أجمع، يعتقد بان شريعة موسى هي القاعدة الحياتية لسلوك اليهود بينما هي بالحقيقة ليست بأكثر من قناع يختفي خلفه اليهود.

وخلال ذلك، لم يفكر أحد بدراسة تأثير هذه السلوكية في الحياة الواقعية، لأن عيون الجميع مرصودة على الذهب الذي يمكن ان تقدمه هذه الفرقة الدينية عن طريق الذهب، فتكون لها كامل الحرية في احياء مؤامراتها الاقتصادية والسياسية.

واليكم كيفية رسمهم لمسار الحية الرمزية:

ـ**المرحلة الاولى:** في اوروبا عام ٤٢٩ ق.م. وفي عهد بريكلس في اليونان بدأت الحية تفترس قوة اليونان.

ـ **المرحلة الثانية:** في روما أثناء حكم اوغسطس حوالي بداية العهد الميلادي.

ـ **المرحلة الثالثة:** في مدريد تحت حكم شارل الخامس (١٥٥٢ م).

ـ **المرحلة الرابعة:** في باريس حوالي عام ١٧٠٠ م. تحت حكم لويس الرابع عشر.

- **المرحلة الخامسة:** في لندن اعتباراً من عام ١٨١٤ م (بعد سقوط نابليون).

- **المرحلة السادسة:** في برلين عام ١٨٧١ م. بعد الحرب الفرنسية الالمانية.

- **المرحلة السابعة:** في سان بترسبورغ حيث نشاهد بروز رأس الحية وكان ذلك بتاريخ ١٨٨١ م.

وهكذا نرى ان جميع الدول التي اخترقتها الحية الرمزية، تـزعـزعـت كياناتها بتأثير مؤسساتها الليبرالية والاضطرابات الاقتصادية، حتى المانيا نفسها، رغم مظهرها العنيف، انها لا تشذ عن القاعدة. ولكن من حيث الاقتصاد فقد شذت انكلترا والمانيا لغاية احتلال الحية الرمزية روسيا المعرضة بالوقت الحاضر لأشد الضغوط.

ان باقي خط سير الحية الرمزية ليس مرسوماً على الخريطة غير ان بعض الأسهم تدل على ان سيرها يتجه نحو موسكو وكييف واوديسا. وهذا ما يفسر صيرورة هذه المدن اعشاشاً للميليشيات اليهودية.

اما اسطنبول فتمثل ثامن مرحلة من مراحل خط سير الحية الرمزية حتى عودتها الى اورشليم.

ملاحظة: «وضعت هذه الخريطة قبل ثورة أتاتورك في تركيا بزمن طويل، وعلى هذا النحو لا يبقى للحية سوى مسافة قصيرة حتى تكتمل دورتها المحدَّدة ونحن نعلم ان الدونمة اي اليهود الذين اعتنقوا الاسلام، لعبوا دوراً هاماً في ثورة اتاتورك».

ومن أجل ضمان تنفيذ هذه الدورات ومنع كل ما يعرقل تنفيذها، اتخذت صهيون التدابير التالية:

تمَّ تنظيم الشعب اليهودي باسلوب لا يسمح لأحد بأن يتسرب الى صفوفه، ويكشف اسراره. ولقد قيل لليهود على لسان انبيائهم ان الله

اختارهم دون سائر البشر ليحكموا العالم تحت لواء مملكة صهيون التي لا تتجزأ. وقد أوحي لهم انهم هم وحدهم. ابناء الله، وانهم يمثلون وحدهم الجنس البشري، وان باقي البشر ليسوا سوى انعام عبيد لليهود، منحوا فقط وجهاً بشرياً لا غير، وذلك كيلا يشمئز اليهودي من التعامل معهم.

اما اليهود فقد منحوا حق السيطرة على العالم أجمع من أجل مصلحة صهيون (انظر كتاب السنهدرين ٩١ ـ ٢١ ـ ١٠٥١). وهم يعلّمون اليهود انهم متفوقون ويترتب عليهم عدم الاختلاط بقطيع البهائم أي الأمم.

وبفعل هذه التعليمات المغْطاة تركزت في ذهن اليهودي فكرة التعالي على جميع الأمم الى حد تأليه ذواتهم والاعتقاد بانهم ابناء الله (انظر كتاب جيهال ١، ٢٧ والسنهدرين ٣، ٥٨).

كما انه من المعقول جداً ان تكون حياة الكاغال (الأحياء اليهودية الخاصة) قد ساعدت ودعمت عزلة شعب صهيون عن بقية الشعوب فأجبرتهم هذه العزلة على التعامل من قبل الادارات الصهيونية الخاصة مثل: الكاغال Kaghal وال consistoire ومهات الأعمال اليهودية ومكاتب حكومة جباية الضرائيب الخ.... ان هذه المؤسسات تعمل على تمويه حكومة صهيون بنظر حكومات باقي الأمم التي تبنّت من جهتها، الدفاع عن الاستقلال الذاتي اليهودي على أساس استقلاله في العمل ما دام اليهود يمثلون فرقة دينية خاصة.

ان الأفكار الواردة اعلاه، التي فعلت في وجدان اليهودي، كان لها ابلغ الأثر في حياته اليومية المادية. فعندما نقرأ بعض الكتب مثل: «الخوبايم» (Khopalm) ١٤ صفحة ١، وكتاب «ابن عازار» ٤٤ صفحة ٨، وكتاب «ايباموت» (Ebamot) ٦٩ فصل ٢٥، وكتاب «كوتوبات» (Kotubat) فصل ٣٤ والسنهادرين ٧٤ فصل ٣٠، والكوديشين ٨٦ (١). وجميعها من كتابات اليهود في تمجيد صهيون، ندرك بوضوح ان اليهود عاملونا ويعاملوننا وكأننا بهائم. كما انهم يعتقدون بان الشعوب وممتلكاتهم وحتى

حياتهم هي ملك لهم وان باستطاعتهم التخلص منها متى وكيفما شاؤوا، دون وجل أو خوف من عقاب.

وبموجب شرائعهم، تعتبر كل المعاملات السيئة التي يعاملون وفقها باقي الأمم، مغفورة لهم تلقائياً في عيد رأس السنة الجديدة.

ومن أجل شحذ روح الكراهية ضد باقي الشعوب، يسمح رؤساء اليهود الى غير اليهود بالاطلاع على بعض أسرار التلمود بقصد اثارة النزعة اللاسامية. فالمظاهرات التي قامت ضد السامية افاد منها جداً زعماء الصهيونية اذ انهم بالاضافة الى تربية اليهود على كره الشعوب، أثرت هذه التعاليم في قلوب بعض الشعوب التي راحت تشفق على اليهود. ومثل هذه الشفقة ساعدت اليهود على خدمة قضيتهم. فنرى ان هؤلاء الذين تأثروا بدعايات اليهود، راحوا يعطفون على هذا الشعب بداعي انه مضطهد. ومثل هذا الشعور جلب الكثيرين الى صفوف الصهيونية.

ولقد سببت اللاسامية اضطهاد بعض الصفوف الدنيا من اليهود فسمحت لزعمائهم بامكانية ضبط افراد ملتهم باحكام شديد. وكانوا ينجحون في ذلك لأنهم كانوا يتوصلون، في الوقت المناسب، الى تخليص جماعاتهم.

انظروا كيف ان زعماء اليهود لم يتبرموا مطلقاً من الدعوة الى اللاسامية وذلك لأنها لا تؤثر على أوضاعهم الرسمية وممتلكاتهم الخاصة. وهذا ليس بالمستغرب ما دام اليهود أنفسهم وعلى حد تعبيرهم، «يطلقون المسيحيين الكلاب» ضدّ اليهود البسطاء الحال. وبموجب هذه النتائج، كان يتمّ لهم تجميع هؤلاء البسطاء ليشد بعضهم بأزر بعض، وكل ذلك في سبيل تقوية صهيون.

لم تهدف أوامر هؤلاء الزعماء الا الى أمر واحد ألا وهو وحدة الصف الصهيوني العالمي، تلك الوحدة التي بدأت تنزع قناعها، والتي كما يفكر

الصهيونيون بدأت تلعب دور « الحكومة العليا » في تسيير أمم العالم وفق مشيئتها وباسلوب لا يدرك كنهه غير اليهود. (كما يزعمون...).

(ملاحظة: ألا يجدر بنا في ضوء الزعم المشار اليه أن نتساءل، بالوقت الحاضر، ما اذا كانت الولايات المتحدة هي التي تمثل « الحكومة العليا » المشار اليها والتي تدير بعض شؤونها في الخفاء زعماء صهيون؟ ان الوقائع والدلائل قد تؤيد ذلك وهذا ما تعنيه صهيون بحكم العالم على ما نعتقد أي التأثير على دولة عظمى بيدها الكثير من مصائر الشعوب).

ومن المعلوم ان القوة الرئيسية الكامنة وراء الاجتياح الصهيوني هو الذهب. غير ان احتياز الذهب فقط لا يكفي، فيجب زيادة قيمته. ان أهمية سعر الذهب المرتفع تتجلى باستعماله كنقد متداول.

وبفعل النزاعات الداخلية والدولية نرى ان الذهب يتجمع بين ايدي ابناء صهيون.

ان تاريخ عائلة روتشيلد لأكبر دليل على صحة ذلك. وقد نشر في مجلة « الكلمة الحرة » في باريس.

ولقد برزت قدرة الرأسمالية بسبب الأزمات وتحت راية الليبرالية والمحافظة على النظريات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية الناشئة. وهذا المظهر العلمي الذي تغلفت به هذه النظريات، يقدم وسيقدم الى صهيون أعظم الخدمات.

ان مبدأ التدقيق في صحة الانتخابات أعطى دوماً لحكومة صهيون، الفرصة السانحة لتشريعات تخدم مخططاتها. ومن أجل ذلك تعتمد صهيون على الرشوة وتخريب نفوس الذين تحتاج اليهم، بالاضافة الى الأكثرية الساحقة من الشعب شرط ان يتمكنوا من اعطاء الأهمية الاجتماعية والسياسية الى هذه الأكثرية.

وبموجب ذلك، نرى ان المثقفين قد أصبحوا في حالة شقاء، كما اصبح

الليبراليون قصيري النظر ، فنرى والحالة هذه ، ان جميع الذين يشبهون هذه الفئات ، يقدمون الى صهيون جلّى الخدمات .

ويعتبر النظام الجمهوري النظام الأمثل لمصلحة صهيون ، اذ انه يفتح باب الفوضى على مصراعيه وهذا لن يكون الا لمصلحة صهيون . ومن هنا بالذات ، نشأت الدعاية المكثفة للنهوض بمبدأ الحرية الفردية عن طريق الصحافة المأجورة من قبل صهيون .

وهذه الصحافة لا تتصدى مطلقاً الى عدم وجود ، في النظام الجمهوري ، اية حرية فردية حيث تتغلب الأكثرية على حرية الأقلية ، وان كان الحق الى جانب هذه الأخيرة . فالأكثرية تنساق دوماً وراء العملاء عن طريق الاعلانات والصحافة التي بموجب مونتيفيور (MONTIFIOR) تدفع لها صهيون أجوراً باهظة .

وفي وقتنا الحاضر ، وبصورة لا واعية أو لا ارادية ، ان جميع دول العالم تصغي الى أوامر حكومة اللصوص التي هي صهيون . وهذه الحكومة هي التي تعقد التحالفات فيما بين الدول المدينة لها بمبالغ كبيرة ومتزايدة باطراد بحيث لا تستطيع ايفاءها مطلقاً .

صهيون هي التي تحدد رسوم وقيم الممتلكات حتى العقارية منها ، كما تحدد قيمة العملاء المطلوب منهم القيام بدور يلعبونه تحت دعم الاعلام الصهيوني . انها تضع تحت الوصاية كل من ليس منهم نفع أو غير المرغوب فيهم . وقد يتم ذلك باسلوب التشهير والحيلة .

ان أجهزة الاعلام هي بين ايدي صهيون الى درجة انه قد لا توجد مجلة متحررة من سيطرتها . وفي ايامنا هذه ، اطلقت صهيون ما يسمونه « أفكار الزمن » و « النظريات العلمية » . فانها هي التي تقود الرجال الى النجاح أو الفشل ، كما تسيّر نتائج الاختراعات ما دامت هي سيدة البورصة والتجارة والدبلوماسية .

وتقوم صهيون بافساد تربية الشعوب وعلى أساس المادية القاتلة للروح وللمبادىء والعبقرية الخلاقة. ان اتباع المذهب المادي يحوّلون الرجال الى عناصر ميكانيكية، هدفهم الأول الحصول على الممتلكات المادية وفي سبيل الربح يصبحون عبيد الرساميل الصهيونية.

وبالطريقة المشار اليها، نرى ان الرساميل الصهيونية، بفضل حساب الحكومات، قد ابتلعت الرساميل الوطنية.

ان الصهيونية الخالية من كل احساس شريف، المملوءة حقداً وكراهية على الجنس البشري تحاول ان تضع في قيود جديدة كل من ليسوا يهوداً.

ان نهاية حرية الشعوب تقترب، فنرى منذ الآن ان الحرية الفردية لا يمكن ان تتثبت حيث يقدم المال للجمهور القدرة على اساءة معاملة الأقلية المحرومة من الحقوق رغم انها أكثر اهلية وذكاء.

ان تاريخ عائلة روتشيلد يبرهن على ان فرنسا مدينة في نظامها الجمهوري الى صهيون، علماً بانه لا يوجد عضو برلماني واحد قد حافظ على وعوده متى كانت هذه الوعود تتعارض مع وجهة نظر صهيون.

فما الذي جرى لفرنسا المسكينة؟)

من له اذنان للسمع فليسمع!

(تنتهي ملاحظات سيرج نيلوس دون أن نعلق عليها)

٥ -

تحقيق للدكتور ويشتل:

• نحن اليهود مشبعون بطموح لا يغلب وبشراهة حارة وحقد لا يهدأ وكراهية لا تنطفىء.

• كل من يريد ان يستلم زمام الحكم عليه ان يعتمد على التنكر والحيلة والخبث والتمويه.

يقول المترجم والناشر الالماني غوتفريد زوربيك Gottfred Zur Beek، ان واقعية بروتوكولات حكماء صهيون، لم تكن في يوم من الايام موضع دحض من قبل اليهود والبنائين الاحرار. هذا، وان الطبعات الاولى لترجمة نيلوس والاخ «بوتمي» قد تم شراء معظمها واتلافها من قبل اليهود. فماذا حدث منذ ترجمة نيلوس الاولى؟ لقد حدث ما يلي: الحرب العالمية. وسقوط العروش في روسيا والنمسا والمجر. كما ساد التشويش في المانيا ذلك التشويش الذي هيأه البناؤون الاحرار. المنبثقة منهم «شرعة الانسان منذ مئتي سنة بادارة البنائين الاحرار اليهود. كما انه يظهر في الوقت الحاضر وبوضوح هائل ما يستوجب كل حذر شديد الا وهو «بروتوكولات حكماء صهيون».

كل ذي عينين لم يصب بالعمى، يستطيع رؤية اليهود يكافحون من اجل الوحدة العالمية. فلا ينفك حكماء صهيون عن التأكيد على ذلك. انهم

يقولون في بداية مناقشاتهم السرية ما يلي:

« نحن اليهود مشبعون بطموح لا يغلب وبشراهة حارة وحقد لا يهدأ وكراهية لا تنطفيء.

« ان المبادى التي يطبقونها لتحقيق سيطرتهم على العالم، ليست جديدة بالنسبة للاتباع ومع هذا يبقى مفيدا ان يعرفها كل من ليس بيهودي » « على كل من يريد ان يستلم زمام الحكم، الاعتماد على التنكر والحيلة والخبث والتمويه. ثمة صفات اخلاقية رفيعة، مثل الصراحة والنزاهة والنبل، انها وحدها تمثل النتوءات الصخرية في البحار اذ انها تهوي بأحسن الرجال من على العروش وذلك عندما يستخدم العدو اساليب مختلفة وفعالة حقا ».

وعندما يتعامل اليهود فيما بينهم، يقرون بان المساواة والحرية والاخاء ليست سوى كلمات جوفاء من شأنها ان تضلل الشعوب المسيحية التي يجب ان تقع تحت تبعية النفوذ اليهودي الكامل (الاحتكارات) وهم يعلنون صراحة ما يلي:

« نحن « اليهود » لقد حقنّا جسم الدولة بسمّ الحرية. وها نحن اليوم (١٨٩٧) نرى جميع الدول مصابة بداء مميت وهو تحلل الدم. ولا يبقى لنا الا ان ننتظر حشرجات النزع الاخير ».

وفي الامبراطورية اليهودية، لن يبقى بالطبع اي تأثير لحرية حقوق الامم:

« نحن (اليهود) سنعرف كيف نمنع من البروز شخصيات من بين الامم. واذا حدث شيء من هذا القبيل، والتفت الجماهير حول هذه الشخصيات، فسنعرف كيف يصار الى تحويل هذه الجماهير وتنكرها لهذه الشخصيات ».

وهم يقولون بكل بساطة ان هيمنتهم ترتكز على الرعب:

« ان امبراطوريتنا القائمة على مبدأ الاحتياجات السليمة، عليها ان تستعيض عن ويلات الحروب بعقوبات اقل بروزاً ولكن افعل. فيجب ان

يسيطر الرعب والهلع من اجل الاكراه على الطاعة العمياء المطلقة ».

وستقوم اسس الوحدة العالمية على الحروب الاقتصادية فيقولون:

« سنحرض العمال على المطالبة برفع الاجور بصورة مطردة غير انهم بعد الحصول على مطاليبهم، سوف لا يفيدون منها، لاننا سنعمل في نفس الوقت على زيادة اسعار المواد الغذائية واسعار الحاجات اليومية. سنلغم بحذاقة وعمق اسس الانتاج الزراعي بدفعنا للعمال الى الفوضى والسكر.. سوف نحرض الامم على المصروف الكبير غير المتلائم مع مدخولها.. ذلك المصروف الذي يوصل العالم الى حياة البذخ الشديد »

كما وقد كرست صفحتان كاملتان من « بروتوكولات حكماء صهيون » للبنائين الاحرار. واليكم مقطع ذو دلالة كبيرة:

« من البديهي اننا (اليهود) سنكون الوحيدين في توجيه نشاط البنائين الاحرار. ولا يجوز لاحد غيرنا التدخل في هذا الامر. اننا وحدنا نعرف الى اي هدف يسيرون. وحدنا نعرف الحد النهائي الذي تقودهم اليه اعمالهم. وعلى عكس ذلك. لن يكون لدى الامم اي شك بمثل هذه الامور »

ومن نحو آخر انا نعلم ايضا ومن فم « حكماء صهيون » انفسهم الذين يسعرون كل الاضطرابات التي تحدث في العالم، ما يلي:

« اذا كان العالم معذبا بفعل الاضطرابات، فهذا يعني اننا (اليهود) نكون نحن الذين اثاروا حدة هذه الاضطرابات، وزعزعوا هيكل حكومات الامم ذلك الهيكل الصلب. فاذا وجدت مؤامرات في بقعة ما من الارض، من المؤكد ان يكون على رأسها احد عملائنا المخلصين ».

وثمة بحث في حرب عالمية وان كان ذلك في عام ١٨٩٧. جاء ما يلي:

« فور ان يدخل في ذهن احدى دول العالم مناصبتنا العداء، يجب ان نكون عندئذ قادرين على اثارة جاراتها من الدول كي تشن حربا ضدها،

وعلى عكس ذلك، اذا تعاضدت دولة ما مع دولة اخرى ضدنا، علينا اذاً ان نعمل على اندلاع حرب عالمية.

وفي مكان آخر ذكر لما يلي:

«يمكننا ببضع كلمات اختصار مخططنا توصلا الى اضعاف دول العالم. ويتم لنا ذلك عندما نبرهن لاحداها على قدرتنا، عن طريق الاغتيالات اي عن طريق الرعب، على استخدام الارهابيين»

ثم ان ذكر اغتيال الامراء يتردد في اكثر من موقع كما يلي:

«المرتكبون اشبه ما يكونون بخراف عمي تمَّ اختيارهم من بين قطيع الخراف الذين نمتلكهم، هؤلاء الذين تحت تأثير خطابات معسولة، يمكن تضليلهم شرط اعطاء خطابات ذات مظهر سياسي».

ولكن ليس المقصود الهجوم فقط على عروش اوروبا، وانما على كل من يقف حجر عثرة في طريقنا (اليهود)، فهو سيلقى نفس المصير: ان موته يجب ان يتم بسرعة وقد أتى في البروتوكولات حرفيا ما يلي:

«في المحافل الماسونية، سوف ننفذ العقوبات، دون ان يحس بذلك رفقاؤنا وحتى الضحايا انفسهم. كلهم سيموتون متى كان ذلك ضروريا، وسيكون لموتهم المظهر الطبيعي»

وفي المقاطع التالية، نرى كيف ان اليهود متأكدون من السيطرة على العالم تنفيذاً لوعد الله المقطوع مع انبيائهم:

«نحن (اليهود) نصمّم على ربح كل الشعوب لانشاء دولة جديدة ولطالما فكرنا بهذا الامر. ولذلك يترتب علينا، قبل كل شيء، العمل على ان يكون زعماؤنا من الشخصيات القادرة على الانقضاض باتجاه هدفهم بذكاء شديد وجرأة نادرة...»

والثورة يجب ان تندلع في جميع انحاء لبلاد :

« واخيرا اي عندما نتوصل الى السيطرة العالمية سنعمل على احباط كل مؤامرة ضدنا (اليهود) فسنغتال دونما شفقة كل من يحمل السلاح ضدنا وضد سيطرتنا .

ان كل من ينشيء جمعية سرية سيحكم عليه بالموت . والجمعيات السرية الموجودة حاليا التي نعرفها جيدا ، تلك التي قدمت لنا خدمات جلى وتقدم باستمرار ، سنلغيها نحن في الوقت المناسب واعضاؤها يبعدون عن اوروبا الى اصقاع بعيدة في العالم .

يجب ان نعمل هكذا وبخاصة بالنسبة لاعضاء محافل البنائين الاحرار غير اليهود الذين توغلوا في اسرار المحافل الخاصة بنا ، علما بان كل من نصفح عنه لسبب ما او لآخر ، يجب ان يبقى في رعب دائم ، خوفا من فصله » .

وثمة موضوع آخر يتعلق بالفوضى العالمية . فحكماء صهيون يتفكهون بالحديث عن العقل الحيواني لباقي الامم (Goim) ، ذلك العقل الذي يبحث في سوية واحدة عالمية ، الامر الذي يتعارض مع قوانينهم الطبيعية . فكيف يمكن اخذ هذا الادعاء مأخذ الجد ؟! ان كلمة الحرية وحدها هي التي يجب ان تطلق بين الجماهير لنشر الذعر في نفوس الامم وتعريضها للتشويش والبلبلة العالمية ، كما يرون .

ان جماهير الامم ، يجب ان يثور بعضها على البعض الآخر ، كما توفر لليهود في نهاية الامر السيطرة العالمية . كما يرون ايضا .

هذا ما يرمي اليه الصهيونيون . فالصهيونية ليست حركة وطنية يهودية ترمي الى جمع شمل اليهود في دولة يهودية تقام في فلسطين ، ان هذا الرأي لهو رأي ساذج وخاطيء معا . (هكذا ..)

ان الدولة اليهودية الصهيونية لن تستدعي الى فلسطين سوى الفائض من فقراء اليهود وبخاصة الموجودين في روسيا .

وزيادة على ذلك، ستكون هذه الدولة موطن « اسياد العمل ». ومهما كان ذلك بعيدا عن التصديق، علينا ان نؤمن به ما دام حكماء صهيون انفسهم يؤكدونه لنا. ألسنا الان في قلب الفوضى والبلبلة ؟

ويقول حكماء صهيون ما يلي:

« يجب الا تنعم اية دولة بعد الان بالهدوء الداخلي واستجماع قواها. فيجب تحريض كل طبقة على الاخرى وعلى هذا الاساس، سيُعلن تمجيد الاغتيال السياسي وبذلك تُدفن العدالة ويفسد الشعب تدريجيا ويتم الازدراء برجال الدين، فيقع الايمان المسيحي في « السخرية ».

ولنلاحظ جيدا ان الموضوع يتعلق دوما بالايمان المسيحي وليس اليهودي. ان معظم المقررات التي اتخذها اليهود في مؤتمرات بال السرية ١٨٩٧، هي كلها قيد التنفيذ. فمن مقتل الامبراطورة النمساوية اليزابيت، على يد الفوضوي بوكوني لوشيني LUCCHENI (١٨٩٧)، الى مقتل الارشيدوق وريث فرنسوا فردينان على يد البنائين الاحرار في صربيا (١٩١٤) الى الثورة الكبرى في ٩ تشرين الثاني (١٩١٨). ثم جهود اليهود المتواصل في نشر البلبلة كما يعترفون.

والمثل الواضح على ذلك استيقاظ بافاريا في يوم من الأيام لتجد نفسها تحت حكم احدى شخصيات البنائين الاحرار المدعو في بعض الأوساط ايسمونوف ismunov المعروف باحترام بصفته رئيس المحفل الماسوني البولوني-اليهودي في فرسوفيا، وفي أوساط أخرى يدعى هذا الرجل تحت اسم الأخ فان اسرائيلو فيتش (Van Israelovich) وكان هذا الرجل يترأس محفلاً يهودياً سرياً في ميونيخ. كما عرف ايضاً في أوساط أخرى وذلك في حداثته تحت اسم سالومون كوسمانوويسكي Salomon Kosmanowski غير انه اتخذ في بافاريا اسماً أكثر وقعاً وهو كورت آيسنر (Kurt Eisner) وهو واحد من أحد عشر رجلاً قد صنعوا الثورة، وفق ما كان يجهر به كورت الى أحد زملائه، الوزير أوير (Auer) وهو في نشوة عارمة.

فالاحد عشر رجلاً المشار اليهم كانوا يترأسون « المحكمة الثورية في ألمانيا » ، ثمانية منهم كانوا من التجار بالجملة كما كانوا جميعهم من البنائين الأحرار ينتسبون الى المحفل السري رقم ١١ ومركزه ميونخ شارع بريتر رقم ٥١ . أما ملك البيت فكان للكونت الميدا (Almeida) الذي كما ظهر ، لم تكن له علاقة بهذا المحفل . ومن المفيد ان نعلم ان هؤلاء الرجال، جميعهم كانوا يسكنون ذلك البيت .

وثمة محفل آخر هو المحفل السري رقم ٧ وهو مقصور على اليهود فقط ، كان يضم شخصيات بارزة وكلهم مدعوون للبروز في وضح النهار رغم الضباب المحيط بهم وهم :

ـ اوتو هيرزفيلد	Otto Herzfeld
ـ الدكتور ويل	Dr. Weiel
ـ الدكتور هـ . هوس	H. Hoche
ـ عمانوئيل وورم	Emmanuel Wurm

وكان الاثنان الاولان ينتميان الى الرايخ الالماني السابق والآخران الى الجمعية الوطنية الالمانية .

كما ان هناك شخصيات اخرى لا يتسع المجال لذكرها . وخلاصة القول انه لا يوجد محفل واحد مهما كان صغيراً الا ويضم اليه كوهينا (Cohn) .

وفي عهد جمهورية المستشارين في بافاريا لمع نجم ثلاثة من البنائين الاحرار وهم :

- ـ ليفين نيسن Levine Nissen يهودي .
- ـ الاخ توبياس اكسيرولد Tobias Axerold يهودي مثقف .
- ـ تولر Toller شاعر يهودي ملهم اقدم على اعمال ادت الى اعدامه .

والثلاثة هؤلاء سجلوا عدة اغتيالات بواسطة اناس ذوي نزعة بهيمية .

هذا ولدينا الكثير من المستندات المتضمنة العديد من الشخصيات التي لعبت دورا اجراميا في اوروبا وجميعهم من اليهود المنتسبين الى المحافل الماسونية تحت شعار « حرية، اخاء، مساواة». وليس ادل على ذلك اكثر من وضع جمهورية المستشارين المجرية التي تأسست في ٢٢ آذار ١٩١٩ وكان رؤساؤها جميعهم من الماسون. غير ان هذه الجمهورية لم تدم سوى ١٣٤ يوما غرقت المجر خلالها في الدمار وافلست الخزينة بسبب اختلاسات اليهود للذهب والحلي والاحجار الكريمة بما يساوي حسب الاحصاءات وقتئذ ثلاثة آلاف مليون كورون، انتقل منها الى النمسا من اجل الدعاية ١٩٧ مليونا من الكورونات. كما ان الشيوعي تومان Tomman استولى وحده على ٤٥٠ الف كورون وهو الرقم المسجل رسميا، علما بأن هنالك ارقام سرية اخرى.

وبعد اعلان جمهورية المستشارين في المجر برز، لاول مرة، التعبير التالي: « شعوب اسرائيل» المدعوة الى امتلاك كل المجر وفقاً لنبوءات انبيائهم على حد زعمهم.

ثم، اليس من الدلالة ما يكفي، ان نرى الى جانب العلم المجري العلم الابيض ـ الازرق الصهيوني؟

ان البلبلة التي احدثها حكماء صهيون منذ عام ١٨٩٧، تصبح واضحة للاعين وهدفها الاوحد تدمير حكومات العالم وشعوبها عن طريق فوضى الليبرالية والوقوع في حبائل اليهود العدائية. ولنتذكر جيدا ان هيئة الامم نفسها سترفع في يوم من الايام العلم الازرق ـ الابيض اليهودي علامة خضوع العالم الى النير اليهودي (هكذا).

(انتهى كلام ويشتل ولا حاجة للتعليق).

- ٦ -

نتابع وضع اليد على وثائق اليهود، فنعرض النشرة البولونية ـ

صدرت النشرة البولونية معلقة على بروتوكولات حكماء صهيون، في عام ١٩١٩، واليكم ما جاء فيها:

« اقرأ ودع غيرك يقرأ »

١٨٩٧ ـ ١٩٢٠

وفي الصفحة الثانية نقرأ ما يلي:

« يحتم الواجب الوطني على كل انسان ان يقرأ هذا الكتاب ويدعو غيره لقراءته » (اي بروتوكولات حكماء صهيون ».

ان هدف النشرة هو للاستزادة من المعلومات الخاصة بمحاضر (بروتوكولات اجتماعات حكماء صهيون (المؤسسة اليهودية الدولية).

لقد تمت ترجمة الكتاب عن المؤلف الذي صدر تحت عنوان: « انه قريب، انه على الابواب »، ذلك الكتاب الذي تمّ شراؤه في روسيا بثمن باهظ، ولقد وقع صدفة بين ايدينا، وهو يمثل الطبعة الرابعة علما بان الطبعة الاولى صدرت في عام ١٩٠٥.

ويعلق المؤلف على هذه المحاضر بقوله:

« تسلمت هذه المحاضر بشكل مخطوط من اليكسيس نيقولايفيتش

سوكوتي في عام ١٩٠١ وهو نفسه استلمه من سيدة من معارفه في الخارج.

ونسخة اخرى منه، ارسلت الى سيبياغني Sipiagviné، وزير الداخلية في بترسبورغ الذي قتل بعد ذلك بوقت قصير.

لقد عرض سيرج نيلوس المخطوط على العديد من اصحاب السلطة في الدولة الروسية. وكان يهدف من ذلك تحذيرهم ولكن عبثاً فالدوق الاكبر سيرج اليكسندروفيتش، الذي قتل ايضا في هذه الآونة، كان قد سبق واطلعه سيرج نيلوس على المخطوط الذي علق عليه بعد قراءته: « لقد فات الاوان ».

اما عن تسرب مخطوط البروتوكولات، فقد سرق من شقة « هرتزل » في فيينا وهرتزل هذا هو منظم اول مؤتمر صهيوني في بال في شهر آب من عام ١٨٩٧.

ويؤكد سيرج نيلوس ان هرتزل الملقب « امير المنفى »، اصبح، منذ ذلك التاريخ، يعتبر « رئيس اسرائيل ».

وفي هذا المؤتمر، عرض هرتزل مخططا استراتيجيا يرمي الى السيطرة على العالم. ومحاضر الجلسات (البروتوكولات) تتضمن بدقة هذا المخطط.

لقد شك بعض اصدقائنا في واقعية هذه البروتوكولات، اما نحن فنعتقد بصحتها اذْ ان الاحادث التاريخية التي نمرُّ بها تؤكد اهميتها وضرورة احاطتها بالتنبه الكامل.

مقدمة النشرة

توحي قراءة هذا الكتاب، الى كل انسان، بتأملات عديدة وجدية. فلنتوقف على مضمونه محاولين استخراج النتائج المنبثقة منه.

نشير الى انه في الـ ٢٤ محضر لجلسات حكماء صهيون، قد وضحت لنا احداث كثيرة كانت اسبابها خافية علينا حتى الان. فلهذا الكتاب اهمية كبيرة اذْ يسمح لنا باستلام مفتاح حل سلسلة من القضايا المعاصرة.

ان اسباب نتائج الحرب العالمية الكبرى التي هزت اركان المعمورة، وتطور البلشفيك في روسيا، وحركة السبارتاكيس SPARTAKISTE في المانيا. وحتى بعض بنود معاهدة الصلح، لكل ذلك، نجد الجواب الوافي في هذه المحاضر وكأنه النتيجة الحتمية والمنطقية لليد الخفية التي تلعب بمصائر الشعوب.

وهذه اليد، هم اليهود

على مسار الحية الرمزية، لا نجد حتى الان اي ذكر لفرسوفيا وهذا واضح تماما. لانه بعد ان اجتاز رأس الحية كل العواصم الاوروبية انحنى نحو الشرق، واذ ذاك لم تعد فرسوفيا عاصمة، انها فقط مركز البلاد الرئيسي في الداخل.

في ضوء الشروط، ان اجتياح بتروغراد PETROGRAD المركز الاول لكل الادارات الرسمية وتمركز الاعمال، جعل فرسوفيا في مجال تحرك الحية الرمزية ولذلك لم يذكر اسمها.

لكن الاحوال تبدلت، لان فرسوفيا اليوم قد اصبحت عاصمة بولونيا، عاصمة دولة تعداد نفوسها ٣٠ مليوناً. ولذلك، ومنذ الان، سوف لا تسلم فارسوفيا من الحية الرمزية، التي تدير براسها الان نحو بولونيا والاراضي البولونية لتشد عليها الخناق.

وهذه الملاحظة، ليست واهية. فلنراقب وثائق امور حياتنا الداخلية والوطنية، وعلاقاتنا مع الخارج، وعندئذ تتجلى لنا الحقيقة كاملة امام عيوننا.

فما هذه المعاهدة، معاهدة الصلح، التي منحت للاقلية العرقية (اليهود) البولونية حقوقاً خاصة لم تمنح لاحد في اي بلد آخر؟

وما هي مهمة ارسالية «مورجانتو» Morgenthau، المؤلفة ليس من

اميركيين محايدين ولكن من اميركيين يهود، حتى تؤلف بهذه المناسبة ما يشبه « مجلس القضاء الاعلى » له الحق في النظر بقضايا بولونيا الداخلية ؟

ما معنى هذا التهويد في الادارة وفي الجيش وفي جهاز الموظفين، وما معنى انتشار البلشفيك في جبهة اليسار ؟

كل ذلك انما يمثل التهيئة للحية الرمزية، كي تنقض على البلاد وتستولي عليها .

وهو ليس بسرٍّ خاف على احد، اذا ما راينا البلشفيكَ في روسيا، لا ينفردون بالسيطرة على شعب هائل تحرر من القيصرية .

فقد احتل اليهود روسيا وهم يحكمونها الان، بمئات الملايين من السكان. انا نجد كل ذلك مشروحاً وبكل غطرسة، في البروتوكولات. فمنهم رؤساء الدولة البلشفية الفعليين ؟

- برونستين - تروتسكي Bronstein-Trostski
- ناكلامكس - ستيكلوف Naklamkes-Stieklof
- ابفيل بوم - زينوينو Apfel boum-Zinowiew
- فرزستنبرغ - خانيستسكي Furstenberg-Khanestski
- تسيدربوم - مارتو Tsedrbaum-Martow
- غوريفيتش - دان Gouréwitch-Dan

والكثير الكثير من امثالهم وجميعهم من قواد « الثورة الحالية»(*) .

اما عن البلشفيك في المجر، فمنذ بيلاكوهن - كوهين Bela Kohn-Kuhn حتى صموئيل Samuel، لم يبرز في الساح غير اليهود وحتى شيوعيو بولونيا، الذين يعملون في الارض، فقد انتظموا في احزاب يهودية مثل حزب « باند » Bund او حزب بوالي صهيون Poalé-Sion الخ... كما

(*) ملاحظة تحررت منهم الثورة الروسية، منهم جميعاً)

انضموا الى احزاب تقدمية ليس لها الطابع المميز اليهودي.

ان ما نقوله، لبرهان كاف على ان الاضطرابات التي تهزّ العالم اليوم هي من صنع اليهود الذين وضعوا مخططا دقيقا للغاية، يهدف الى مرام محددة. وهذا المخطط قد وضعه اخصائيون محنكون في سياسة العالم.

ومن اجل الوقوف، في وجه هذا المخطط التي تقوم على تنفيذه قوة خفية في العالم، يجب ان نواجهه بمخطط مدروس بعناية فائقة يقوم به رجالات دوليون، يدركون تمام الادراك خفايا، السياسة الداخلية والعالمية.

يجب جمع هؤلاء المدربين على السياسة ودراسة المخطط المضاد، نقطة نقطة، وبنتيجة ذلك توضع خطوط السلوكية الواجب اتباعها.

وبموجب ذلك نكون قد وقفنا في وجه الهجمات اليهودية بصلابة كبيرة ومن بعدها يترتب علينا ان نرفض كل تعامل مع اليهود، اجتماعيا كان او غيره، مستوحين ذلك من بروتوكولات حكماء صهيون، الذين لا يتركون سانحة تمر الا ويفيدون منها في سبيل تثبيط معنويات كل مجتمع ينوون السيطرة عليه.

ومنذ الان، كل كاتب غير بولوني، يُرفض شراء كتابه، كما يرفض حضور بعض المسرحيات والتمثيليات وغيرها من هذا النوع.

وما نقوله هنا، يعني ايضا الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ان التوجيهات النظرية السياسية البحت، لا تؤدي الا الى اتجاهات واهية. وبالفعل انا نرى على صعيد الواقع العملي، ان في قلب كل اضطراب وتدمير وانقلاب اليد اليهودية تعبث في الحفاء ببلادنا.

وخلال هذه الفترة، يجب ان نرفض كل تسوية اجتماعية حتى لا تتعثر اعمالنا التصحيحية الهادفة الى قيام نظام جديد لبولونيا.

واذا خالفنا ذلك، نكون قد وضعنا، من جديد، ايدينا بايدي اليهود قتلة شعبنا في المستقبل.

ان التنظير وحده في مثل هذه الامور، لا يكفي: فعلى كل الذين يحبون بلادهم، ان يجدوا في صميم قلوبهم خط السير الذي يجب ان نسير جميعنا عليه، الا وهو ازدهار دولتنا ومواطنينا.

وهكذا، وبسلاح العدل ومحبة الوطن، لا نضيع ابداً، كما يمكننا انجاز اكبر الاعمال اي بناء دولتنا البولونية مستقلة قوية وكريمة لكل من يريد ان يحتمي بها.

سيقع هذا الكتاب، دون شك، بين ايدي اليهود، فهل يدركون حقا اية بذور من الدمار يزرع زعماؤهم الماسون اليهود بين الجماهير وهم يصعدون على رقابها نحو اهداف قد لا تتحقق احيانا؟

هل يفتح هذا الكتاب، عيون اليهود، على حفنة من المتعصبين منهم لفكرة القدرة اليهودية العليا؟

وهل بالامكان ان يردهم هذا الكتاب، الى جادة الصواب ليعيشوا بسلام مع باقي الشعوب في الاوساط التي يسكنون فيها؟

بولونيا هي للبولونيين دون تمييز في المعتقد، وهي ليست لاعدائها الداخليين، كما لن تكون ابداً فريسة هذه الطغمة التي تحلم باستعباد العالم.

وليكن الرب معنا

(انتهى نص النشرة البولونية.. ولا حاجة بنا الى اضافة اي تعليق)

السلوكية اليهودية مسؤولة عن «خرافة الاضطهاد»

• بدأ التسلل اليهودي الى اوروبا قبيل العصر الميلادي.

• وضعت الكنيسة في مجمع لاتيرين الرابع عدة قوانين لكبح جماح احتكار اليهود للتجارة الاوروبية.

• اجمعت الدول الاوروبية على طرد رعاياها اليهود كحل وحيد لانقاذ اقتصادياتها وكانت انكلترا صاحبة وعد بلفور اول دولة طردت اليهود من اراضيها

• لم يكن طرد اليهود اضطهاداً بل دفاعاً عن مصالح تلك الدول.

في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٧، ارسل المستر ارثر بلفور وزير خارجية بريطانيا انذاك (اصبح فيما بعد اللورد بلفور) رسالة الى اللورد روتشيلد بوصفه رئيساً للمنظمة الصهيونية الانكليزية جاء فيها:

يسرني ان ابعث اليكم بالنيابة عن حكومه جلالة الملك بالتصريح التالي، الذي يبرهن على العطف الذي يكنه بالنسبة لاماني اليهود الصهيونيين.

وهذا التصريح، قد رفع الى الوزارة ووافقت عليه بما يلي:

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي بفلسطين. وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية مع البيان الجلي بان لا يمس بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الان ولا بالحقوق او المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى ».

ان هذا التصريح، كما يبدو وبجلاء ينطوي على المغالطات التالية:

١ ـ التصرف ببقعة من الارض يملكها شعب منذ فجر التاريخ حتى اليوم، دون استشارة ابنائها. فهو والحالة هذه، تصرف استبدادي يتنافى وابسط حقوق الانسان وحرية الشعوب على ارضها.

٢ ـ يقول التصريح بعدم المساس بالحقوق المدنية والدينية لشعب فلسطين. فهو اذن، بموجب مفهوم هذه العبارة، لا يهدف الى اقامة وطن قومي لليهود، فكيف يمكن التوفيق بين مفهوم هذا التصريح وواقعية استيطان اليهود على ارض فلسطين؟

٣ ـ يقول التصريح بعدم المساس بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين «الان». فماذا تعني يا ترى لفظة «الان»؟ فهل بعد «الان» مما قد يحدث بصورة مغايرة لوعد بلفور، من قبل اليهود على ارض فلسطين، غير ملزمة به السياسة البريطانية، فتكون عندئذ في حل من ارتباطاتها؟ ووعودها؟ ان الابهام المسيطر على الوعد بدأ من حروفه الاولى، يجعل السياسة البريطانية، بموجب الحقوق الدولية، مسؤولة حقوقيا وادبياً عن كل ما يجري «الان» على ارض فلسطين.

٤ ـ فتح التصريح باب ازدواجية الجنسية اليهودية (اسرائيلية وغيرها) واعتبار هذا الازدواج مشروعاً بالنسبة لباقي الامم اذ ان التصريح يقول: بالا يمس هذا الوطن القومي الموعود به» حقوق اليهود في البلدان الاخرى.

ان التصريح كما نرى، يجب ان تكون يد يهودية، كتبته ومن ثم وقعته وزارة الخارجية البريطانية.

«ومن يعش ير»

على اثر نشر هذا الوعد، الذي عرف فيما بعد بوعد بلفور، ضجت الاندية، السياسية العربية وفي مقدمتها، السورية، وهي تدرس هذا الوعد وتحلله مما ادى الى رفضه جملة وتفصيلا. وفي خلال احدى المناقشات

والتحليلات والتساؤلات عما اذا كان بالامكان اعتبار الوعد المذكور مأوى لليهود فقط لا وطنا قوياً، ارتفع صوت مدوٍّ منذراً العالم العربي بقوله:

« ان مثل هذا المأوى سرعان ما يصبح وطناً قومياً لليهود، وعندئذ سيجر على العالم العربي الويلات وعلى العالم اجمع ومن يعش ير ». انه صوت انطون سعاده مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي عام ١٩٣٢.

حدث ذلك في العشرينات وها نحن اليوم في الثمانينات ولا يزال صوت الانزار يضج في اعماق نفوسنا: « ومن يعش ير ». فقد غرق العالم العربي حتى الان بالمصائب والويلات والمايزل، كما ان فلسطين قد اصبحت وطناً قومياً لليهود تحت اسم « اسرائيل » الطامعة دوماً بالتوسع على حساب حقوق الشعب السوري وكل ذلك بفضل حماية ودعم الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية، وريثة السياسة البريطانية في الشرق الاوسط.

لقد ارتكبت اسرائيل حتى الان، بفضل وعد بلفور، وزير خارجية بريطانيا في العشرينات، ابشع المظالم بحق مقدرات شعب مسالم من شعوب العالم، قدر له ان يصنف من قبل العالم الصناعي في عداد شعوب العالم الثالث. بينما نعرف جيداً انه اعطى ويعطي منذ فجر التاريخ، كل علم وفن وفلسفة، انتقلت منه الى اليونان ومن اليونان الى العالم الغربي ومن ثم على ايدي ابنائه في الفتح الاسلامي. فلا اخال الغرب قد نسي التاريخ وما يمكن ان يستيقظ عليه هذا التاريخ من بعث للموروثات، التي اذا ما حيل دون تحقيقها، حدثت عنها تمخضات مؤلمة في معركة الموت او الحياة؟!.

لقد علمنا التاريخ ان اليهود، باعتمادهم على منظمتهم الرئيسية « الصهيونية » العالمية وتحالفهم مع الدول الكبرى، لم يدخلوا بقعة من الارض الا وسعوا للسيطرة على ثرواتها المنقولة عن طريق التجارة وذلك في غفلة من ابنائها الاصليين والى تخريب اجتماعيات هؤلاء الابناء.

وبفعل هذا التحرك كانوا يسيطرون على مقدرات الامم المادية. ان ثروة اليهود ليست ثروة حضارية، انها منقولة وغير ثابتة قومياً: وقد اشتهروا بها

منذ بدء ظهورهم على مسرح التاريخ في القرن الثالث عشر ق.م. اثر اجتياح يشوع لقسم من ارض كنعان (فلسطين). فعلى اثر هذا الاجتياح قدم مستشارو «الملك الكبير» الكنعاني انذاك النصح التالي المدون في نصوص رأس شمرة اوغاريت:

«قدموا لهم (اليهود) ذهباً وفضة كي يوقفوا الحرب. ان هذا الشعب يحب الذهب والفضة».

كما ان كارل ماركس في كتابه «المسألة اليهودية» يصف اليهود بانهم «عبدة المال».

ولقد حافظ اليهود على هذه النزعة حتى اليوم بسبب عدم انفتاحهم على الامم، الا تآمرياً ودون وجل، ما دامت ليست لهم حضارة ثابتة يخشون عليها من الدمار.

ومن هذه النافذة بالذات، اطل اليهود على العالم بدءاً من الشتات على يد القائد الروماني تيتس Titus عام ٧٠ ميلادية، وما زالوا يطلون وبخاصة في الشرق الاوسط في ايامنا هذه.

ومثل هذه السلوكية ستحدث في العالم العربي، ان عاجلا او آجلا، ردود فعل محلية وعالمية بعيدة الغور، من شأنها ان تهدد التوازن الدولي سياسياً واقتصادياً وعسكريا، لان دولا عظمى ستتنافس، عبر «اسرائيل مع دول عظمى اخرى وفي مقدمتها الدول الاوروبية، على مسرح العالم العربي بحيث سينشأ صراع عنيف لن تكون نتائجه من مصلحة اية دولة. وعبر هذا التناحر الدولي، ستلعب «اسرائيل» التي هي اصلا سبب الصراع، بورقتها الرابحة في الضغط على دول دون اخرى، وذلك وفق ارتباطاتها الوثيقة مع دول كبرى كما هو معروف الان. وعندئذ لن تستطيع دولة من الدول، وبخاصة الاوروبية منها، ان تنشط في العالم العربي ولو نسبياً الا بعد ان تحصل «اسرائيل» على ثمن باهظ لتمديد هذا النشاط النسبي. اذ انه كما

لاسرائيل مصالح في الشرق الاوسط وبخاصة بعد المصالحة مع مصر، لها ايضا مصالح لدى معظم الدول، كما لها نفوذ بين ابناء هذه الدول، من تجارية واقتصادية واعلامية تستطيع بواسطتها الضغط على سياسة الدول المعنية في عقر دارها. وعلى هذا الاساس تتمكن اسرائيل من اخضاع التنافس الى حلبة مصالحها ومصالح الدولة التي تساعدها على تنفيذ مخططاتها

وحيال هذه الستراتيجية الواسعة، وتململ الدول وفي مقدمتها الاوروبية يشتد الصراع على الارض العربية في مدّ سياسي سالب وموجب، يهز هذا العالم هزاً عنيفاً، كما يهز الدول الراغبة في التعامل معه. وبعدئذ وقد لن يكون من بعدئذ، ستندم دول عديدة على الغفلة السياسية التي وقعت فيها وقادتها الى اعنف صراع حياتي عرفه التاريخ.

السلوكية اليهودية.

ورب مؤسسات سياسية عالمية، تقول جرياً على عادتها، لن يكون من الصعب السيطرة على العالم العربي في جو الصداقة الاسرائيلية انه عالم غبي وجميع عقده ستكون لصالحنا.

ولذلك نحن نحذر، ويجب ان لا يغرب عن ذهن عالم الاجتماع والتاريخ ان العصر الحديث، بالرغم من كل تخبطاته، يشهد ولادات قومية جديدة متمردة وعنيفة، انها منبثقة من روح الشعب ومن ضميره. وهذه الولادات الروحية المادية الجديدة المتمردة على الاوضاع السيئة السائدة، سوف لا تقف في طريق تمردها اية ارادات فردية مهما علا شأنها. هذا مع العلم بان السياسة الاسرائيلية من شأنها ان تدفع طبيعيا بالتطورات الجديدة، على اساس رد الفعل، في خط متسارع للغاية.

فلو كانت السياسة الاسرائيلية غير قائمة على العدوانية والتحيز، وانما على سياسة التعايش السلمي الصحيح، لكانت كل هذه التقديرات غير واردة. ولكن يتحتم علينا وعلى سبيل الاحتياط، ان نقول بهذه التقديرات

مع اعتبارها من وقائع التاريخ المقبل.

فاذا ما استقرينا صفحات الاحداث الغابرة، لوجدنا ان الشعب اليهودي، منذ ظهوره حتى الان، يحمل نزعة نفسية دينية خاصة وهي عدوانية بوقت واحد، وذلك ضد مصالح، الشعوب. ان الشواهد على صحة هذا الواقع كثيرة نراها بوضوح في التعاليم الدينية اليهودية سواء في التوراة او التلمود، لا يتسع المجال هنا لتبسيطها، انها اصبحت تحت ادراك كل انسان.

وهذه السلوكية التآمرية اعطت الكثير من ردود فعل سلبية بحق الشعب اليهودي اثر افتضاح سلوكهم. وحيال ذلك، هرع اليهود يملؤون الآفاق ضجيجاً وشكوى مستدرين عطف الامم عليهم ومستغلين حتى في قلب المحنة القائمة، عطف اغبياء الامم باسم الانسانية وحق الشعوب في الحياة.

وبنتيجة ردود الفعل تلك دفاعاً عن النفس من قبل الامم، تسجلت في الاعلام اليهودي والعالمي «اللاسامية» مقرونة باسم الشعب اليهودي المضطهد كما صورته الدعاية الصهيونية .

واليك ايها القارىء سلسلة من الاحداث من فعل ورد فعل، تفضح « خرافة الاضطهاد او « اللاسامية » كما تعلمها الغرب.

ـ **اولا**: بعد موت النبي موسى على جبل نبو، وفق ما جاء في التوراة، تسلم القيادة بعده يشوع وكان ذلك في القرن الثالث عشر ق.م. وكانت المنطقة الكنعانية انذاك، تبحث حكم « اتحادات ملوك » مرتبطة دينياً بالحكومة المركزية (اوغاريت).

والبلاد الكنعانية في ذلك الزمن، وقعت في ضيق وقحط شديدين كما ان النزاعات الداخلية حول العقائد الدينية اضعف تماسك اتحادات الملوك واوقع البلاد في شبه فوضى وضياع. وعند ذلك اغتنم يشوع هذه الفرصة الذهبية وتآمر مع ملك جبعون الكنعاني دون علم من حلفائه كيما يساعده على عبور نهر الاردن، في عملية رامية الى اجتياح ارض كنعان عسكريا.

ان الخطوة الاولى التي نفذها اليهود في جنوبي سورية، خطوة تآمرية موصوفة، بكل ما في الكلمة من معنى، وهي تتعارض حتى مع مضمون الوعد الذي يزعم ان الله وهبهم هذه الارض كذا... فالوعد وحيد الطرف وطرفه الوحيد هم اليهود انفسهم ولولا ذلك لما احتاج يشوع الى التآمر لأجتياح المنطقة دون الدخول مع ابناء المنطقة في وعد الله المقطوع معهم.

وعلى اثر عبور الاردن تم ليشوع دخول (عاي) و (اريحا) التي مثل باهلها افظع تمثيل بحيث اصبحت مذبحة اريحا على يد يشوع من ابشع مذابح التاريخ القديم. والدفاع الوحيد الذي يقدمه رجال اللاهوت اليهودي عن هذه المذبحة قولهم:

« قدمت اريحا ومن فيها ذبيحة لله » (انظر كتاب الن هوايت) هذا هو المنطق الحقوقي اليهودي. الذي يقول دفاعا عن اجتياحهم للمنطقة المذكورة، انها ارض بلا شعب قديما وحديثا، بينما يعرف حتى تلامذة الصفوف الابتدائية ان جنوبي سورية اثناء الاجتياح اليهودي كانت عامرة بالسكان والقلاع وكانت الزراعة فيها ناشطة وهذا ما دعا النبي موسى الى ان يطلق عليها اسم « بلاد اللبن والعسل ».

وعلى اثر هذا الاجتياح الغاشم نشبت النزاعات بين اليهود دون انقطاع، ادت الى انقسام اسرائيل الى مملكتين والى السبي الى بابل ومن ثم تدمير الهيكل على يد تيتس.

ان الاعلام اليهودي يسمي ذلك اضطهاداً بينما بالواقع هو رد فعل على السلوكية اليهودية السادية العدوانية لا غير.

ـ ثانياً: بعد هذا الاجتياح تعرف اليهود الى الحاضرة الكنعانية، فتأثروا بها كما تأثروا بالعنصر الكنعاني المتحضر فبدأت علائم انصهار اليهود في بوتقة الشعب الكنعاني المتحضر ادى الى التزاوج مع الكنعانيين والى عبادة آلهتهم وتبني تقاليدهم وعاداتهم. كما انهم اتخذوا اللهجة الكنعانية

السائدة وقتئذ في جنوبي سورية لهجة لهم عرفت فيما بعد باللغة العبرية. فالكثيرون يعتقدون ان اللغة العبرية هي خاصة باليهود بينما بالحقيقة هي لهجة كنعانية لا غير. ولقد اشار النبي اشعيا الى ذلك يقول: انكم تتكلمون بشفة كنعان».

ولما رأى زعماء اليهود الدينيون بداية هذا الانصهار في البوتقة الكنعانية، عمدوا الى تقوية نزعتهم الدينية النفسية الحاقدة وبواسطة اله تبنوه خصيصاً لغاياتهم المادية وهو اله (يهوه) ليكون لهم الها قوميا يوحد صفوفهم ويبعدهم عن الكنعانيين على اعتبار ان اليهود هم وحدهم «« شعب الله (يهوه) الخاص» دون سائر الامم، متصفاً بالروح العدائية الى درجة لا مثيل لها في تاريخ الديانات القديمة.

وهذا العدوان القديم، تتكرر صفحاته السوداء اليوم ولسنا بحاجة الى ترددها لان جميع العالم على علم بها وهي ليست بحاجة الى توضيح في مجال هذه الدراسة.

يتضح من هذه الوقائع ان اليهود اعتدوا على ارض فلسطين ويعتدون صبيحة كل يوم، ومع ذلك يعتبرون ان العرب يمنعون عنهم حتى ماء الحياة ومع الاسف دول كبرى ساعدتهم وتساعدهم على هذا العداء السافر.

فمن يكون المضطهد يا ترى؟

وهنا نتوقف لنقول كلمة حق. فلو قدر لزعماء اليهود الدينيين ان يغضوا الطرف عن عملية انصهار اليهود في البوتقة الكنعانية اثر خروجهم من مصر، لما كانت لليهود اية مشكلة سلبية في العالم، ولاصبحوا ممن اسهموا في حضارة الامم جنباً الى جنب مع الكنعانيين ولدخلوا التاريخ ن اوسع مصاريعه الايجابية لا السلبية. غير ان زعماءهم أبوا عليهم هذا الطالع الخير فحجروهم وبوتقوهم في عداء مستمر مع الكنعانيين حتى ظهور الملك داود وابنه سليمان من عام ١٠٠٥ الى ٩٢٥ ق.م. وخلال هذه الفترة

القصيرة فقط في عمر الشعوب كانت لهم دولة.

ونحن نعلم جيداً ان الفلسطينيين وقد انصهروا في الوتقة الكنعانية، حاربوا اليهود وتغلبوا عليهم مدة ثلاثين سنة متواصلة حتى اعتلاء داود العرش.

كما ان قصة جوليات الفلسطيني الملقب بالجبار مع داود ومصرعه معروفة وان قصة شمشون اليهودي الذي سلمته دليلةالفلسطينية الى ابناء قومها، لدليل قاطع على الروح القومية الصادقة التي يحياها كل فلسطيني قديماً وحديثاً دفاعا عن ارضه وقومه. ومن هنا بالذات بدأت عقدة اليهودي تجاه الفلسطيني، عقدة الخوف والحق التي تدفع بزعماء اسرائيل في ايامنا هذه يعارضون في انشاء دولة فلسطينية مستقلة. والان لا يسعنا الا ان نكرر السؤال بالنسبة للعصر الحاضر لمعرفة المضطهد من المضطهَّد ؟!.

ان الجواب معروف وبخاصة في وجدان الدول الكبرى!...

ـ **ثالثاً**: بعد حكم داوود وسليمان نشبت الخلافات بين اسباط اسرائيل فانقسمت المملكة الواحدة الى مملكتين: اسرائيل ويهوذا تحت وطأة حروب دامية بين الفريقين، وذلك لأن القاعدة القومية وهي رقعة الأرض مفقودة من التراث المجتمعي اليهودي، وقد حلت محلها النزعة الدينية النفسية التي رافقت اليهودي في جميع بقاع العالم.

ـ **رابعاً**: في هذه الأثناء بدا المد الأشوري في سبيل توحيد البلاد وربط الداخل بالساحل في الرقعة المسماة «سورية الطبيعية» أو «الهلال الخصيب» وهي الصفة التي أطلقها على هذه المنطقة العالم بريستد وليس الانكليز كما يعتقد رجال السياسة العرب، بحيث اقترنت هذه اللفظة بالاستعمار وهو شطط بعيد الغور.

نقول بعد ان بدأ المدٌّ الأشوري الرامي الى خلق دورة حياة اقتصادية واجتماعية واحدة، ذلك المدٌّ الذي سبقهم اليه في محاولات عديدة كل من

الملك السومري « اوركاجينا » و « اورنوما » ومن ثم الملك سرجون الاكادي وحفيده « نارام سن »، خشي اليهود على عنصريتهم المتزمتة فحاولوا الاصطدام مع الأشوريين ولكن سرعان ما تغلب الأشوريون على ملك اسرائيل « اومري » (٨٨٢ ـ ٨٣١)، علماً بان الحرب الأشورية على أرض كنعان لم تدر رحاها الا بين الأشوريين واليهود، لان الكنعانيين هادنوا فوراً الاشوريين.

بعد سقوط مملكة اسرائيل نهائياً على يد شلمنصر الخامس (٧٠٦ ـ ٧١٢) وعلى يد الملك سرجون الثاني الذي تمّ له احتلال السامره، نفى هذا الأخير ما يقارب ٢٧٢٨٠ نسمة من اليهود بعد ثبوت تآمرهم.

اما نصيب يهوذا فلم يكن بأسعد حظاً من نصيب اسرائيل اذ احتل القسم الأكبر منها الملك « سنحريب » كما تمّ احتلالها كلها من قبل الملك « أشور بنيبال » الذي سار بفتوحاته حتى طيبه في مصر. ونرى أيضاً انه بعد ظهور الكلدانيين استمر اليهود العائشين في أرض كنعان (فلسطين) يعرقلون امور الكلدانيين ونفوذهم الرامي الى توحيد البلاد، مما اضطر في نهاية الأمر، الملك « نبوخذ نصر » الى محاربة ملك يهوذا وكسره ثم سبي جميع اليهود الى بابل عام ٥٩٧ ق.م. وهذا ما يعرف تاريخياً بـ « سبي بابل ». اما القسم الذي خلص من السبي فقد هاجر الى مصر واصقاع اخرى من العالم.

ـ خامساً: بعد احتلال بابل من قبل الفرس، سمح سيروس لليهود بالعودة الى أرض كنعان وعلى وجه التحديد الى أورشليم وذلك عام ٥٣٧ ق.م. علماً بانه بعد سيروس وفي زمن « ارتخشتا »، لم يكن اليهود متمتعين بالصفات الطيبة أو مرضى عنهم وهذا ما نجده في الفصل الثالث عشر من سفر « استير » في التوراة الكاثوليكية علماً بان هذا السفر قد اسقط

من النسخة البروتستانتية، فهو لا يخدم اليهود مطلقاً، بل يشكل حجة دافعه بحق سلوكيتهم المتآمرة دوماً على الأمم.

والسفر المشار اليه مدون في نسخة التوراة الكاثوليكية (اليونانية) طبعة عام ١٨٩٧ ميلادية واليكم نص الاصحاح المذكور:

« من أرتحشتتا الأكبر المالك من الهند الى الحبشة على المئة والسبعة والعشرين اقليماً، الى الرؤساء والقواد الذين في طاعته سلام،

اني مع كوني متسلطاً على شعوب كثيرين وقد أخضعت المسكونة بأسرها تحت يدي. لم أحب ان أسيء انفاذ مقدرتي العظيمة. ولكني حكمت بالرحمة والحلم، حتى يقضوا حياتهم بلا خوف وبسكينة ويتمتعوا بالسلام الذي يصبو اليه كل البشر.

فسألت أصحاب مشورتي كيف يتم ذلك فكان ان واحداً منهم يفوق من سواه في الحكمة والأمانة وهو « ثنيان » الملك اسمه « هامان » قال لي:

ان في المسكونة شعباً مشتتاً له شرائع جديدة يتصرف بخلاف عادة جميع الأمم ويحتقر أوامر الملوك ويفسد نظام جميع الأمم بفتنته.

فلما وقفنا على هذا، ورأينا ان شعباً واحداً متمرداً على جميع الناس، طائفته تتبع شرائع فاسدة وتخالف أوامرنا وتقلق سلام واتفاق جميع الأقاليم الخاضعة لنا، أمرنا ان كل من يشير اليهم هامان المولى على جميع الأقاليم و « ثنيان » الملك الذي نكرمه بمنزلة أب، يبادون بـايـدي أعـدائهـم هـم ونساؤهم وأولادهم ولا يرحمهم أحد في الرابع عشر من الشهر الثاني عشر شهر آذار من هذه السنة حتى اذا هبط أولئك الناس الخبثاء الى الجحيم في يوم واحد، يرد الى مملكتنا السلام الذي أقلقوه ».

(الى هنا صورة الرسالة وما يلي وجدناه مكتوباً بعد قوله: فمضى مردخاي وصنع جميع ما أمرته به استير ولا وجود له في العبرانية ولا في نسخة أحد المترجمين).

فاما مردكاي (هكذ..) فتضرع الى الرب متذكراً جميع أعماله وقال: اللهم، ايها الرب الملك القادر على الكل اذ كل شيء في طاعتك وليس من يقاوم مشيئتك اذا هممت بنجاة اسرائيل. انت صنعت السماء والأرض وكل ما تحت السماوات. أنت رب الجميع وليس من يقاوم عزتك. انك تعرف كل شيء وتعلم اني لا تكبراً ولا احتقاراً ولا رغبة في شيء من الكرامة فعلت هذا. اني لم اسجد لهامان العاتي فاني مستعد ان اقبل حتى آثار قدميك عن طيب نفس لاجل نجاة اسرائيل ولكن خفت ان أحول كرامة الهي الى انسان. وأعبد واحداً ليس الهي. فالان ايها الرب الملك اله ابرهيم ارحم شعبك لان اعداءنا يطلبون أن يهلكونا ويستأصلوا ميراثك. لا تهمل نصيبك الذي افتديته لك من مصر. واستجب لتضرعي واعطف على نصيبك وميراثك وحول حزننا فرحاً لنحيا ونمدح اسمك ايها الرب ولا تسدد أفواه المرنمين لك وكذلك جميع اسرائيل بروح واحد وتضرع واحد صرخوا الى الرب من أجل أن الموت أشرف عليهم يقيناً».

نلاحظ ان القسم التابع لرسالة ارتحششتا الفارسي كتب بعد اعلان موقف الملك ضد اليهود. ونحن نعلم من المدونات التاريخية هي التي حولت مجرى غضب ارتحششتا الى عفو عام. ان كتبة التوراة ردوا اسباب العفو الى موقف ديني شأنهم في ذلك في كل ما يكتبون عقب أي انتصار أو انكسار.

ونحن نستغرب لماذا اسقط هذا الاصحاح من التوراة وهو يتهم اليهود صراحة لقد اسقط من التوراة العبرانية فقط انما باق مدون في التوراة اليونانية. والتوراة العبرانية (البروتستانتية) هي الأكثر شيوعاً بين المؤمنين ولذلك تم حزف الاصحاح المذكور حتى لا يسجل المؤمنون على اليهود سلوكيتهم المرفوضة هذه منذ القدم. ان لهم مصلحة في حذف هذا الاصحاح.

ان مثل هذا التصرف دونما اي تبرير أو تفسير يدعونا للشك في الكثير

مما جاء في التوراة وهو كتاب منزل ومقدس كما يعتبره المسيحيون. فالحقيقة اما ان تكون كاملة أو لا وجود لها في حالة أخرى، انها لا تقبل التجزئة.

وجملة القول ان مضمون هذا الاصحاح يؤيد حق غضب الاشوريين والكلدانيين على اليهود.

ـ **سادساً:** بعد هذه الفترة التاريخية، اجتاحت جيوش الاسكندر مناطق الشرق الأوسط ومن بعده أتى الفتح الروماني وفي هذه الفترة استمرت دسائس اليهود المعتادة ضد روما (انظر كتاب فيليب حتي: «خمسة الآف سنة من تاريخ الشرق الأدنى») مما اضطر في نهاية الأمر وبعد الكثير من المحاولات، القائد الروماني «تيتوس» الى دخول اورشليم عنوة وهدم قلعتها عام ٧١ ميلادية وتشتيت اليهود نهائياً خارج ارض كنعان.

ولا بدّ لنا من ذكر حادثة عظيمة وقعت في زمن هيرودس الكبير (Herodote Legran) (٤٠ الى ٤ ق.م) وهي رفض اليهود لرسالة المحبة التي بشّر بها السيد المسيح.

الشعب اليهودي رفض هذه الرسالة وقد أدى ذلك الى محاكمة المسيح من قبل «قيافة» رئيس كهنة اليهود ومن ثم تمت احالته الى المحكمة الرومانية الممثلة بشخص بيلاطس البنطي Pone Pilté فحكمت عليه بالصلب تحت طلب الجماهير مما اضطر الحاكم الى المصادقة على الحكم. وما كان منه الا أن قام «وغسل يديه من دم هذا البار» كما قال.

والى هذا الحد انتهت مأساة المحبة بالصلب، لأن هذه الرسالة لا تتفق والنزعة الدينية النفسية اليهودية الرافضة لكل عيش بسلام مع الآخرين.

بعض الشواهد الأخرى

استزادة في معرفة سلوكية اليهود بين الامم التي هم بأشد الحاجة الى مساعدتها لهم نسوق للقارىء سلسلة من الاحداث جرت في القرون.

الوسطى وما قبلها وفي العصور الحديثة نسبياً وكلها تشهد على ان اليهود هم حقاً أصحاب نزعة نفسية دينية عدائية لا تتغير.

١ - بدأ التسلل اليهودي الى اوروبا قبيل العصر الميلادي وبخاصة الى اليونان. وقد تحدث بمرارة قدماء الاغريق عن هؤلاء «الغزاة» الآسيويين. ومن ثم ما لبث هؤلاء الغزاة ان انتشروا في مختلف ارجاء الامبراطورية الرومانية واوروبا نفسها (انظر كتاب فرانك بريتون حول الصهيونية والشيوعية)، كما ظهروا بكثرة على المسرح الروماني بعد القرن الثاني ميلادي.

لقد جاء في الموسوعة اليهودية «لفونك ووغنال» صفحة ١٦٠ من المجلد العاشر ما يلي:

«لما كان اليهود، في عهد «جوستينيان» يتمتعون بالحرية الدينية التامة وكانوا يقومون بكل واجبات الموظفين دون تمييز وتفرقة تجاه الدولة، كانت المناصب الثانوية مفتوحة أمامهم وكانت معابدهم وحدها معفاة من ضريبة ايواء الجنود وكانت تجارة الرقيق مصدر معيشة اليهود الرومانيين، ولذلك صدرت قرارات تحرم هذه التجارة في السنوات ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٨٤ الخ...».

وفي تلك الأثناء شنَّ «سنيكا» حملة في كتاباته على روماني عهده لمحاكاتهم اليهود في تعاملهم. ولقد عزا «غيبون» في تاريخه الشهير «انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها» سقوط روما الى نفوذ اليهود المفسد. هذا ومن المعلوم ان زوجة نيرون «بوبيا» كانت يهودية مرتدة.

وعند انحلال وتداعي روما نحو السقوط النهائي، وبينما كانت ظلمة القرون الوسطى تكتنف الحضارة الغربية (من ٥٠٠ الى ١٣٠٠) نقرأ في الموسوعة البريطانية صفحة ٥٧ المجلد ١٣ طبعة ١٩٤٧ مايلي:

«... كان له (اليهودي) ميل لا يحيد عنه للتخصص في التجارة التي

تؤهله لها حذاقته وفطنته وتشتته. وفي القرون المظلمة (القرون الوسطى) كانت تجارة غربي أوروبا، بغالبيتها، بين يديه ولا سيما تجارة الرقيق. وكانت لفظتا تاجر ويهودي تستعملان في مستندات عهد الكارولنجيين كلفظتين مرادفتين».

٢ - في عام ١٢١٥ وضعت الكنيسة في مجمع «لاتيرني الرابع» طائفة من القوانين لكبح جماح احتكار اليهود للتجارة الأوروبية. كما حرّمت عليهم استخدام النصارى والاشتغال بأكثر من نوع واحد من أنواع التجارة، ضماناً لمصالح أفراد الشعب.

٣ - لم يجد مجمع «لاتيرني الرابع» حلاً نهائياً للمشكلة اليهودية. وهكذا بدءاً من القرن الثالث عشر أخذت الدول الاوروبية الواحدة تلو الأخرى تطرد رعاياها اليهود، كحل وحيد لانقاذ الاقتصاد الاوروبي فكانت انكلترا (صاحبة وعد بلفور) أول دولة طردت اليهود من أراضيها وكان ذلك سنة ١٢٩٠ وبعد ذلك بخمس عشرة سنة حذت حذوها فرنسا وباقي الدول الاوروبية. اما اسبانيا فلم تطردهم الا في عام ١٤٩٢ وقد تبعتها بمثل ذلك البرتغال عام ١٤٩٨.

لا يعتبر طرد اليهود من الدول الاوروبية، بأي وجه من الوجوه، اضطهاداً وانما دفاع عن مصالح هذه الدول التي كانت تهددها على الدوام دسائس اليهود الاقتصادية وتآمرهم على مصالح شعوب هذه الدول. فالطرد لم يكن سوى ردة فعل دفاعاً عن المصالح الوطنية في وجه التآمر والتلاعب بمقدرات هذه المصالح.

اليهودي اذن، هو الذي يكون قد بدأ باضطهاد الغير على ارضه مما عرضه الى عقوبة الطرد. ومن هنا نشأت خرافة الاضطهاد التي اراد اليهود تسجيلها تحت اسم «اللاسامية»، ليفيدوا منها في جمع شمل أفراد هذا الشعب تحت قيادة واحدة وصفة واحدة تحت قيادة «الصهيونية العالمية»

وتحت صفة كره الشعوب لهم. فتكون فكرة الاضطهاد هذه التي اخترعها زعماء اليهود انما الوسيلة الفعالة لابعاد اليهود عن بقية الشعوب ورصّ صفوفهم، كما فعل بالضبط كهنتهم اثر دخولهم ارض كنعان وتبنيهم للاله «يهوه»، ذلك الاله الحاقد على الأمم، اله شعب اسرائيل وحده.

خرافة الاضطهاد هذه، أصبحت وسيلة بين ايدي اليهود لاستدرار عطف السذج البسطاء من الشعوب والتغلغل من جديد بين صفوفهم. انها أشبه ما تكون بتجارة الرقيق التي طالما اشتهر بها اليهود.

ونحن بعد أن نقف بصورة أوسع على أحوال اليهود قبل الطرد ولو على سبيل المثال، نلمس أكثر فأكثر خرافة هذا الاضطهاد المزعوم:

- ففي اسبانيا، كان اليهود يمثلون طبقة الأغنياء ولم يكونوا محتقرين أو اذلاء بل على العكس كانوا أصحاب نفوذ وموسرين ومحظوظين ومستثمرين حتى التخمة. كما كانوا جباة ضرائب الملك فكانوا والحالة هذه مسيطرين على اقتصاديات اسبانيا ومحتكرين لها على حساب مصالح الشعب.

- وفي البرتغال، كانت سائدة نفس الحالة. فلما طرد اليهود منها، حرمت البلاد مؤقتاً من طبقتها الوسطى ومن أكثر تجارها وماليبها (الموسوعة البريطانية).

- وفي انكلترا، اثر دخول اليهود اليها، عقب الغزو النورماندي، سرعان ما تدخل اليهود في مصالح البلاد التجارية فاثروا وسيطروا على حساب مصالح الشعب... لقد جاء في الموسوعة اليهودية «فالنتاين» طبعة ١٩١٨ ما يلي:

«... وازداد عددهم وازدهارهم وأصبح «هارون» «اوف لنكلن» أغنى رجل في انكلترا آنذاك..، تمتد صفقاته المالية الى مختلف اطراف البلاد وتتعلق بالعديد من النبلاء المتزعمين ورجال الكنيسة.

وفي عهد الملك ادوارد، قامت عدة مظاهرات عدائية ضد اليهود فحار

الملك في أمر هذه الأقلية اليهودية التي ليس من هم سوى جمع الثروة، وتهديد اقتصاد البلد. فما كان منه بعد عدة محاولات سلمية، الا ان يضيق ذرعاً في نهاية الأمر ويطرد اليهود من انكلترا عام ١٢٩٠.

ـ وفي فرنسا، قبل زمن الامبراطور شارلمان، بدأ التخطي اليهودي من اجل السيطرة الاقتصادية على هذا البلد، فنقرأ انه في عهد الملك فيليب الجميل (١٢٨٥ـ١٣١٤) بدأ اليهود يجمعون الذهب ويحتكرونه وقد صادف في عام ١٣٠٦ ان احتاج الملك فيليب الى الذهب، فوجد ان معظمه كان مفقوداً من التداول، فأصدر أمراً يمنع بموجبه تصديره وذلك كتدابير وقائية، غير ان هذه التدابير لم تجد نفعاً، ولم يتغير شيء في واقع الحال، فتوسع في التحقيق واذ باليهود يحتكرون الذهب، ليوقعوا الدولة في الافلاس. فما كان من الملك فيليب الجميل الا ان صادر أموال اليهود وطردهم من فرنسا.

واليك ايها القارىء، تواريخ طرد اليهود من أوروبا لنفس الأسباب الواردة اعلاه أو ما يشابهها:

ـ انكلترا: طرد الملك ادوارد الأول اليهود عام ١٢٩٠ ولم يُسمح لهم بالعودة الا سنة ١٦٥٥.

ـ فرنسا: طرد الملك فيليب الجميل اليهود عام ١٣٠٦، وقد سُمح لعدد منهم بالعودة. وبعد ذلك طردوا مجدداً سنة ١٣٩٤. انما بقيت لهم بعض المستعمرات في بوردو وافينيون ومرسيليا. (طردوا منها عام ١٦٩٢) وفي مقاطعة الالزاس الشمالية.

ـ سكسونيا: طردوا منها سنة ١٣٤٩.

ـ المجر: طردوا منها سنة ١٣٦٠، حيث كانوا يسيطرون على جباية الضرائب ولكنهم ما لبثوا ان عادوا اليها سنة ١٥٨٢. ثم طردوا مجدداً سنة ١٥٨٢، ولكن من قسم فقط من البلاد.

- بلجيكا: طردوا من براغ سنة ١٣٥٠ ولكن الكثيرين منهم عادوا اليها سنة ١٥٦٢، بيد ان الامبراطورة «ماريا» طردتهم عام ١٧٤٤ من البلاد.

- النمسا: طُردوا منها عام ١٤٢٠ ايام الملك «ألبرخت» الخامس.

- هولندا: طردوا من اوتريخت عام ١٤٤٤.

- لتوانيا: طردوا منها عام ١٤٩٥ على يد الغروندوق الكسندر ولكنهم عادوا اليها فيما بعد.

- البرتغال: طردوا منها سنة ١٤٩٨.

- روسيا: طردوا منها سنة ١٥١٠.

- ايطاليا: طردوا من مملكة نابولي وسردينيا سنة ١٥٤٠.

- بافاريا: نفوا منها الى الأبد سنة ١٥٥١.

- أسوج: لم يسمح لهم بدخول أسوج حتى عام ١٧٨٢.

- الدانمارك: لم يسمح لهم بالدخول الى هذا البلد الا بدءاً من القرن السابع عشر.

- النروج: لم يسمح بدخول النروج الا بعد سنة ١٨١٤.

وعلى أثر هذا الطرد المتلاحق من قبل الدول الأوروبية، عاشت هذه القارة بعيدة عن المؤامرات الاقتصادية من كل نوع. اما اليهود فلم يعودوا اليها الا بعد سنة ١٦٥٠ بوجه عام. وقد جاء في الموسوعة البريطانية صفحة ٥٧-٥٨ من المجلد ١٣ طبعة ١٩٤٧ ما يلي:

«ان السواد الأعظم من الشعب اليهودي كان موجوداً آنئذ في الامبراطورية البولونية والتركية. اما الجاليات القليلة فبقيت في أوروبا الغربية حيث تعرضت أخيراً لمختلف القيود استمرار لسياسة العصور السابقة وذلك كمثل يقتدى به، حتى ليمكن القول الى حد ما، ان العصور اليهودية المظلمة تبدأ ببداية عصر النهضة».

ان عصر النهضة الاوروبية المتميز بالفترة الواقعة بين سنتي ١٣٠٠ و ١٦٠٠ ميلادية، لم يأت مصادفة وانما حصل بعد انحسار النفوذ التجاري اليهودي عن هذه القارة. وما ان أصبحت التجارة والأمور الاقتصادية وقفاً على جميع أبناء هذه القارة الأصليين، حتى انتعشت الأوساط الشعبية فازدهرت الثقافة والعلوم بسرعة. وما بلغ هذا العصر نهايته حوالي عام ١٦٥٠ حتى أصبحت اوروبا بالنسبة لوضعها السابق مستنيرة بنور العلم والحضارة.

ان أسباب الارتقاء السريع المشار اليه، كانت موصدة في السابق، بوجه الشعب المتعثر في عيشه وتأمين حاجاته الضرورية.

الى هذا الحد من العرض المكثف حول مسيرة اليهود عبر الأمم، نتوقف متسائلين أين هو الاضطهاد المزعوم وأين خرافة اللاسامية كما يصور لنا ذلك الاعلام اليهودي في أوساط العالم المتمدن؟ ان العكس هو الصحيح. فاليهود هم المضطهدون الفعليون. انهم يقلبون الحقائق ويشوهونها استدراراً لعطف العالم عليهم، والعمل على التغلغل اكثر فأكثر بين صفوف المؤيدين لهم والمدافعين عن أوضاعهم.

واذا ما استعرضنا سلسلة الاضطهادات كما هم يسمونها، فهل يعقل ان تكون جميع هذه الدول الاوروبية ظالمة دفعة واحدة بحق الشعب اليهودي؟ اما كان من المعقول ان توجد أمة واحدة منصفة وعادلة فامتنعت عن طرد اليهود من أراضيها؟

ان الحقائق واضحة جداً قديماً وحديثاً، والطرد لم يقع الا كردة فعل دفاعاً عن مصالح الأمة في وجه فئة قليلة، تعبث بمصالح الأكثرية في منافسة لا انسانية قوامها الشر والفساد.

ان الشر يستطيع دوماً التغلغل وبسرعة بين الصفوف. دروبه سهلة ولا تتطلب الكثير من التضحيات والجهد.

في العصر الحاضر:

بعد وعد بلفور، تسلل اليهود الى فلسطين بشتى أنواع الدهاء وبالاعتماد على قوى سياسية جبارة. فاستطاعوا التمركز في هذه البقعة والتوسع فيها تدريجياً على حساب ابنائها الاصليين وحساب مصالح المشرق العربي بالدرجة الأولى وسائر مناطق العالم العربي.

وقد عانى هذا العالم حتى الآن ويعاني من هذا الصراع الذي ترفضه الحقوق الدولية وكل ذلك من أجل تدعيم الكيان اليهودي في وطن قومي يخرج عن منطوق «وعد بلفور».

ان الويلات التي يتعرض لها العالم العربي، بسبب قيام دولة «اسرائيل» أصبحت مثلاً تاريخياً من أمثلة الاجتياحات والاعتداءات على مصالح الشعوب في أرضها. وسيكون لهذه السياسة الاستيطانية العدائية التأثير البعيد الغور على سياسة التوازن الدولي.

ان مصالح العالم العربي مرتبطة برباطات وثيقة مادية وروحية بالعالم الاوروبي. وهذا العالم الأخير سيشعر في يوم من الأيام، دون أن يتعدى ذلك نصف قرن، بان مصالحه في العالم العربي تتعرض الى شتى أنواع العراقيل والدسائس، والسبب في ذلك يكون بفعل تدخل «اسرائيل» في الأمور الداخلية لكل دولة اوروبية وبفعل نفوذها هي بالذات في قلب العالم العربي.

ففي حال استمرار السياسة العالمية على هذا المنوال الخضوعي الهارب، ستجد كل دولة اوروبية نفسها في يوم من الأيام بحاجة الى العالم العربي دون أن تستطيع العمل فيه بحرية في ضوء مصالحها، اذ يكون عليها ان تخترق حدود السياسة الاسرائيلية لتخلص من شرك الدولة الام التي تساند اسرائيل وهذا لن يتحقق لها الا على أساس التنازلات والتضحيات الكبرى بالكثير من مصالحها.

وفي ضوء ذلك لا بدّ وان يضيق صدر الدول الاوروبية فتنتصر كرامتها القومية وتدخل في صراع دولي بين قطبي الرحى اي بين روسيا واميركا وهذا ما سيجر الويلات على العالم أجمع «ومن يعش يرَ».

هل تعي قبل فوات الأوان، الدول الأوروبية هذا الواقع المستقبلي المر، فتضع حدّاً للصراع المقبل منذ الآن؟ هذا ما يجب ان يفكر به عقلاء العالم قبل الوقوع في الشرك..!!.



اليهود والتوحيد

ادعى اليهود الى وقت قريب، ان لفظة عبري Hebreux هي نفس لفظة « خبيرو » Habiru الدالة على قبائل كانت لها صلات بالآراميين. فساد الاعتقاد فترة طويلة من الزمن، ان العبريين منحدرون من قبائل آرامية. وهذا ما اراد اليهود تسجيله في كتبهم، خاصة وانه جاء في التوراة سفر التثنية ٢٦/٥ على لسان يعقوب الاعتراف التالي: « ثم » تصرخ وتقول امام الرب الهك. اراميا تائها كان ابي » وهو يشير لذلك الى ابيه اسحق وبالتالي الى جده ابرهيم الخليل. ولقد وجد اليهود ذريعة للانتساب الى ابرهيم عن طريق تقارب الـ Habiru الخبيرو من الاراميين.

وكما جاء في دراستنا المدونة في كتاب اللآلىء، عن تاريخ ابرهيم الخليل، فقد اراد اليهود ان يسجلوا ان قبائل الـ Habiru هذه هي نفس قبائل العبريين كما ذكرنا، وذلك للتجانس اللفظي بين الكلمتين بحيث يصبح، في حال ثبوت ذلك، من المعقول ان يمت العبريون الى ابرهيم الخليل بصلة النسب. ومن نحو آخر، يصبح من الصعب الى حد ما دحض هذا الزعم.

بيد ان اكتشافات رسائل تل العمارنة، تلك الرسائل العائدة الى عهد امنمفيس الرابع في القرن الرابع عشر قبل الميلاد من تاريخ مصر، دلت على ان اسم قبائل الخبيرو قد ورد في الرسائل المذكورة، مما ادى بعلماء التاريخ للقول ان لفظة خبيرو تدل على اسم قبائل كانت موجودة في الجزيرة

العربية. كما خلص علماء الآثار للاقرار بان ليس لهذه القبائل اية صلة بالعبريين (اليهود) على الاطلاق. بذلك يسقط هذا النسب، كما تسقط نسبة اليهود الى الاراميين وبالضرورة الى ابرهيم الخليل ابي الانبياء.

وبموجب هذه الحقائق التاريخية التي التقت عليها مجموعة من العلماء امثال: (جوغي Jouguet) و (فانديه Vandier) و (كونتينو Contenau) و (دورم Dhorme) و (ايمار Aymard) و(شابوتييه Chapoutier) و (غروسيه Grousset)، انا نقرأ في كتاب «الحضارات الاولى» الموضوع من قبل هؤلاء العلماء صفحة ٣٤٦ و ٣٤٧ ما يلي:

«عدد كبير من المؤرخين تبنوا فكرة خاطئة عن سكنى العبريين (hebreux) في كنعان بسبب الالتباس بين لفظتي عبري hebreux وخبيرو Habiri الذين كانوا اول المحرضين ضد الاحتلال المصري في فينيفيا وكنعان.

ان رسائل تل العمارنة وبوغاز كوي Boughaz-Keul، مملوءة بالمعلومات عن هؤلاء المحاربين الذين تمكنوا، بمساعدة الحثيين، من زعزعة نير الفراعنة بدءاً من حكم امنمفيس الرابع. ثم ان الشبه اللفظي بين اسمهم واسم عبري hebreux او ابريم في حالة الجمع، قاد بعض المفسرين الى تعريف العبريين بالخبيرو، غير اننا نعرف الان، بفضل نصوص راس شمرا ان لفظة habiri كانت تلفظ Habiru، وان ليس ثمة من قرابة لغوية بين لفظة ابريم Ibrim وعبري hebreux».

بناء على ما تقدم، نرى انه لا توجد دلائل ثابتة على هجرة اليهود الاولى، كما يزعمون من اور الى حران، ولذلك نقرأ في كتاب الدكتور فيليب حتي «تاريخ سورية ولبنان وفلسطين» صفحة ١٩١ ما يلي:

«يحيط الغموض ببدء وجود العبرانيين في سورية الذي سجل بشكل اسطوري تقليدي...» ثم يتابع قوله: «يبدأ اذا تاريخ بني اسرائيل الحقيقي كشعب، بالخروج من مصر...»

اما الدكتور احمد سوسا في كتابة « العرب واليهود في التاريخ » فانه يقوم بتحقيق واسع يبرهن بموجبه، وبكل جرأة، ان ليس لقبائل الخبيرو اية علاقة باليهود، وان هذه القبائل كانت في حلف مع الآراميين في الجزيرة العربية ومن ثم في وادي الرافدين، وانها ظهرت على مسرح، الاحداث قبل اليهود بزمن طويل. ثم يتابع الدكتور سوسا قوله عن ابرهيم الخليل وصلته باليهود فيقول: (صفحة ٤٥١) « لقد سبقت الاشارة الى ان اكثر الكتاب المتأثرين بالتوراة، درجوا على ربط تاريخ اليهود بابرهيم الخليل، وقد اخذ عنهم الكتاب العرب هذه الادعاءات المخالفة للواقع التاريخي، دون تمحيص. »

ونحن اذ نأتي على ذكر هذه الامور، انما نرمي من وراء ذلك الى اظهار الوقائع التاريخية بالنسبة لعضر ابرهيم وعصر موسى حتى لا يقع التشويش في دراسة التاريخ اليهودي الفعلي الذي يبدأ، كما قال الدكتور فيليب حتي، بخروج موسى من مصر. ووقوع هذا الحدث يتفق، بموجب معظم التحقيقات العلمية بين سنتي ١٣٥٨ و ١٣٥٠ قبل الميلاد، وذلك بعد موت اخناتون (امنمفيس الرابع) صاحب الانقلاب الديني الشهير في مصر كما سيأتي الحديث عنه. ويقول بعض العلماء ان خروج موسى وقع سنة ١٣٩٠ ق.م.

ومن المعروف ان موسى هو الذي حمل معه فكرة التوحيد المنسوبة الى اليهود وكانها من اصول فكرهم الديني وفق ما جاء في كتاب التوراة. وبموجب المدونات اللاهوتية اليهودية وغياب وقتئذ المدونات الرافدين والكنعانية، رسخ في ذهن الرأي العام العالمي ان اليهود هم فعلا آباء التوحيد ما دام موسى منسوباً اليهم بصفته زعيماً دينيا وزمينا لهم وبصفته ايضا من صلب اللاويين كما يدعون.

وهذا الاعتقاد، لا يزال قائما حتى يومنا هذا، دون مناقشة او تغيير في الصورة التي رسمها لنا كتاب التوراة.

اننا في هذه الدراسة نستقصي جذور فكرة التوحيد عند اليهود لمعرفة ما اذا كانت مقتبسة او انها من ابداع فكرهم الديني. ومن نحو آخر، لمعرفة ما اذا كان قد طرأ عليها تطور او تغيير، او كانت لها علاقة بالفكر الديني، السائد وقتئذ في الشرق الاوسط؟

اننا نستعرض معا في هذه الدراسة اهم جوانب التوحيد، متوخين ابراز الحقائق على قدر ما يتوفر لدينا من مستندات وما يمكن ان نعتمده من تحليل، تاركين لرجال الدين سبر اغوار هذه القضايا الكبرى التي تدخل في صلب مهماتهم اللاهوتية، وذلك خدمة للحقيقة وللايمان.

موسى والتوحيد

مما لا شك فيه ان موسى، دون التعرض الى هويته الاساسية، وبموجب مدونات الشعب اليهودي، كان حامل الفكرة التوحيدية، اثر خروجه من مصر على راس مجموعة من الاقوام ومن بينها فئة اللاويين المعتبرة من اسباط بني اسرائيل.

وفي ذلك الزمان، لم يكن اليهود يعرفون تحت هذا الاسم. لان لفظة يهودي، استخدمت مؤخراً اي بعد دخول يشوع ويهوذا سورية الجنوبية (ارض كنعان) وذلك في القرن الرابع عشر وفق بعض نظريات العلماء. وقد اتت لفظة «يهودي» نسبة الى يهوذا، علماً بان الصفة المعروفة في ذلك العهد بالنسبة لهذه القبائل هي «العبرية» كما وردت في نصوص راس شمرا. والعبرية هي صفة من صفات البداوة، على حد تعبيرنا بالوقت الحاضر حيث نقول: «بدو رحل» اي عابرو الصحاري والبوادي.

ولفظة عبري ويهودي وردتا بموجب دراسة ه. ي ديل ميديكو في كتابة «التوراة الكنعانية» بعد عبور نهر الاردن للاقوام الموسوية بزعامة يشوع اي في القرن الرابع عشر (وهناك بعض العلماء يقول ان ذلك قد حدث في اوائل القرن الثالث عشر).

موسى هو الذي حمل فكرة التوحيد عند خروجه من مصر وهو
الى جنوبي سورية (ارض كنعان)، ولذلك كان لزاما علينا
هذه الشخصية الفذة.

ثق التاريخية، لا توضح بما فيه الكفاية. شخصية موسى من حيث
انه من المتفق عليه، كما جاء في التوراة، انه وجد طفلا لقيطاً
لة من قش على ضفاف النيل. ولقد درت بأمره احدى اميرات
تقطته واحتضنته وربته في القصر الملكي. وقد اشار الدكتور
كتابه « موسى والتوحيد » الى ان حنان الاميرة على هذا الطفل
يه، انما فيه كل الدلالة على ان موسى قد يكون ابنا لاحدى
لد في ظروف غامضة، وفي حال الاخذ بهذا الرأي تسقط صلة
ى من حيث السلالة كما سقطت صلتهم بابرهيم الخليل.

بعض المؤرخين. بان هذه القصة المشابهة تماما لقصة سرجون
الشهير الذي هو ايضا وجد لقيطا ملقى في سلة على ضفاف
هي قصة خرافية، كتبت على هذا النحو لتحيط شخصية موسى
ب من مشيئة الله على غرار نشأة العباقرة وابطال التاريخ كما
الملاحم.

نا يذهب الدكتور فرويد للقول ان موسى مصري المولد والنشأة
يهوديا. وذلك خلافا لما ارادت التوراة ان يكون اي يهوديا ينحدر
لاوية، الامر الذي يرفضه فرويد رفضا قاطعا ويعتبره انما كتب
خدمة لاغراض سياسية من قبل اليهود.

خذنا برأي فرويد حول نسب موسى، تكون المدونات التوراتية
موسى مشكوكا باصالتها وهذا ما يفقدها كل قدسية.

سواء اكان موسى مصريا ام يهوديا (اسرائيليا) فان ذلك لا
هذه الدراسة، فالمهم بالامر انه نشأ في مصر وفي قصر فرعون

وتتلمذ بالضرورة على ايدي الكهنة في زمن عائلة امنمفيس (الثالث والرابع) .

ويقال عن موسى ايضا انه انخرط ايام شبابه ، في سلك الجيش وحارب في الحبشة ، مما يجعل منه منذ ايام شبابه شخصية مرموقة لها طابع الزعامة .

يتفق ظهور موسى تاريخيا بموجب التحقيقات القائمة حتى الان ، في عهد امنمفيس الرابع ومن بعده . وقد برزت سلالة امنمفيس بعد خروج الهكسوس من مصر وهؤلاء هم قبائل سورية عربية ، لقبتهم التوراة بالملوك الرعاة وقد حكموا مصر عدة قرون .

وفي عهد امنمفيس الثالث والرابع كانت الصلات ، بينهما وبين الميثانيين في شمالي الرافدين وبلاد الشام (كنعان) قوية ادت الى تزاوج بين ملوك مصر واميرات ميتانيات كزواج تحوتمس الرابع من ابنة « ارتتاما » ملك الميثانيين التي هي ام امنمفيس الثالث . ومثل زواج امنمفيس الثالث من « تاي » ابنة احد شيوخ الساميين (الكنعانيين) على الشاطىء السوري . كما ان امنمفيس الثالث احتضن في حرمه « جيلوخيبا » اخت ملك الميثانيين و « دوشراتا » . كما عقد خطوبته فقط على « تادوخيبا » التي عرفت فيما بعد تحت اسم « نفرتيتي » واصبحت زوجة امنمفيس الرابع .

ومن طبيعة هذه الصلات ، التي قامت اصلا على اساس سياسي ، ان تؤدي الى تفاعل حضاري وبنوع خاص الديني منه ، الذي كان يمثل في الشرق الاوسط حركة الفكر المتطور حضاريا .

في اعقاب هذا المخاض ، حدث انقلاب ديني في مصر كان الاول من نوعه في التاريخ قام به امنمفيس الرابع . وقد اتسم بالطابع التوحيدي بصورة جلية ، علما بان فكرة التوحيد ، كانت قد برزت في بلاد الشام لدى الكنعانيين ، كما جاء في نصوص شمرا (اوغاريت) وقد اتفق العلماء :

Chappoutier و Grousset و Aymard و Dhorme و Conteneau و

Yandier و Jouguet و في كتاب « الحضارات الاولى على ما يلي:

« من المحتمل ان تكون زوجة تحوتمس الرابع هي ابنة ارتتاما ملك المثانيين (من شعوب الهلال الخصيب) وام امنمفيس الثالث. وبفعل هذا الزواج ساد الوفاق بين مصر والمملكة الميثانية، مما جعل مركز مصر قويا في الشرق... »

كما جاء في نفس الكتاب:

« لقد سعى المؤرخون لمعرفة مصدر التأثير الذي وقع على امنمفيس الرابع فجعله يتخلى عن عبادة الهه الوطني امون معبود اسلافه، ليعبد الها جديداً اسمه « اتون »، وما اذا قد تم ذلك تحت تأثير افكار اجنبية »؟ فمن المعروف ان امنمفيس الرابع هو ابن وزوج اميرات سوريات (الهلال الخصيب) بالاضافة الى ان حاجة مصر الى المنطقة الاسيوية، جعلتها في احتكاك مباشر مع شعوبها. وعلى هذا الاساس تكون مصر قد تأثرت اكثر منها في اي عهد مضى، بالافكار السورية. وهذا يبدو جليا في النشيد الموجه الى الشمس الذي وضعه امنمفيس الرابع بنفسه. ولقد لقب امنمفيس هذا بعد انقلابه بـ « اخناتون » نسبة للاله « اتون » وفي النشيد ذكر لبلاد الشام وكيش في وادي الرافدين! علما بان هذه المناطق كانت تعبد ايل، وبخاصة الكنعانيون. وليس « اتون » كما ظهر فيما بعد سوى مرادف للاله ايل الكنعاني، كما سيتضح ذلك مما يلي.

ولقد جاء ايضا في كتاب « مدخل الى تاريخ الاديان » للدكتور دورم صفحة ٣٧١ ما يلي:

« ليس ثمة ما يشهد على زعامة الاله ايل في الهيكل الكنعاني بأكثر من اوضاع الكهان، الفينيقيين (الكنعانيين) اثر اتخاذ امنمفيس الرابع لقب اخنتون معترفاً بان الهه هو « اتون » وليس هناك من اله سواه. فقد استجاب شعب كنعان الى نوايا الملك معتبرين اتون نفس الاله ايل مما حدا

بالكهان الفينيقيين ان يصرحوا جهارا بان سلطة ايل امتدت الى مصر وجزيرة كريت. وقد وجدت هذه الاعترافات مدونة على رقيم فخاري حفظته لنا اسطورة « اوروب » من مكتشفات « دورا اوروب ».

اما اوروب تلك، فهي اخت قدموس البطل الاسطوري الفينيقي وابنة الملك اجينور. وقد جاء في الاسطورة ان الاله الثور (زيوس) حمل اوروب على ظهره من صيدا، وحط بها في كريت. واذ عرف اخوها قدموس بامرها، لحق بها ليعيدها الى صيدا. ولما حط في اليونان، علم اهلها الابجدية وبنى فيها طيبه. ومنذ ذلك الوقت تتخذ القارة الاوروبية اسم اوروب ابنة الملك اجينور الفينيقي واخت قدموس.

والان نعود لنقول ان جميع الوقائع التاريخية حول انقلاب امنمفيس الرابع الديني، تدل على ان هذا الملك قد تأثر بالفكر الديني السائد وقتئذ في منطقة الهلال الخصيب وبالتالي في ارض كنعان، فاعتنق عبادة ايل اله هذه المنطقة، وبالتالي اله نفرتيتي، وكان ذلك تحت اسم « اتون » كما يقول كهان فينيقيا. ولفظة اتون هذه مستعملة في اللغة العربية. ومعناها النار المستعرة في الموقد بينما الاله « امون » يرمزون اليه بقرص الشمس فالعنصر الالهي في اتون وهو وهج النار، اكثر شفافية وتجريداً منه في امون، وهي مرحلة من مراحل تطور الفكر الديني المتسامي.

اما صفات « اتون » فهي كونية شاملة مثل صفات ايل وليس ادل على ذلك بأكثر مما جاء في نشيد اخناتون الذي وضعه بنفسه امنمفيس الرابع واليكم البعض من مقاطعه الرئيسية:

« ما اجمل مطلعك في افق السماء
« اي اتون الحي مبدأ الحياة
« فاذا اشرقت في الافق الشرقي
« ملأت الارض كلها بجمالك

« انك جميل عظيم وبراق. عال فوق كل الرؤوس
« مهما بعدت فان اشعتك تغمر الارض
« ومهما علوت فان اثار قدميك هي النهار
« يا واهب الحياة للابن في جسم امه
« ألا ما اكثر اعمالك الخافية علينا
« ايها الاله الاوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه
« يا من خلقت الارض كما يهوى قلبك
« حين كنت وحيداً.
« ان الناس والانعام، كبيرها وصغيرها
« وكل ما على الارض من دابة
« وكل ما يمشي على قدمين
« وكل ما هو في العلاء
« ويطير بجناحين
« والبلاد الاجنبية من (سوريا) الى كوش
« وارض مصر
« انك تضع كل انسان في موضعه
« وتمدهم بحاجاتهم.
« انك في قلبي وما من احد يعرفك غير ابنك اخناتون
« انت اوجدت العالم
« واقمت كل ما فيه لابنك اخناتون ذي العمر المديد
« ولزوجه الملكة الكبرى محبوبته، سيدة القطرين
« نفر ـ نفرد ـ اتون، نفرتيتي.
« الباقية المزدهرة ابد الابدين »

هذه هي بعض من مقاطع نشيد اخناتون وفيها الدلالة الكافية على روعة الايمان والتجريد والتوحيد. كما فيها الدلالة الواضحة على صحة اعتقاد

الكنعانيين بان الاله «اتون» هو نفسْ الاله ايل حامل نفس الصفات الالهية، صفات اله نفرتيتي الاميرة السورية واله الهكسوس وابرهيم الخليل وملكي صادق وبلعام الكنعاني، انها لقاءات في خط متناسق لا يمكن الا التسليم بها.

والان نعود الى موسى الذي ترعرع في بلاط فرعون، وتتلمذ على ايادي كهنة اخناتون. فمن الطبيعي ان يكون موسى، في هذه المرحلة من شبابه، اعتنق الدين التوحيدي الجديد اي عبادة اتون المساوي للاله ايل وقد تجلت له فكرة التوحيد بابعادها الشفافة الكاملة.

وللمقارنة بين صفات اتون وصفات ايل. نذكر فيما يلي اهم صفات الاله ايل للوقوف على وحدة الاصل ووحدة العقيدة، اذا ما قورنت بصفات اتون كما جاء في النشيد المشار اليه سابقا.

لقد عرف الاله ايل لدى الكنعانيين بالصفات التالية:

- الابدي
- خالق المخلوقات
- ابو البشر والآلهة
- لطيف وشفوق
- اله المحبة والسلام
- خالق الارض
- الاله المحتجب.

بهذه الصفات كان الشعب الكنعاني يعرف الهه ايل، وهذه الصفات كما تبدو لنا، مرادفة بمضمونها لصفات الاله اتون، مما يدل صراحة على وحدة ينبوع العقيدة.

لقد سبق وقلنا ان موسى هذا الانسان المجهول النسب، ترعرع في بلاط فرعون وحدبت عليه احدى الاميرات وربته وتلمذته على ايدي كهنة

اخناتون، حيث تلقى بالضرورة فكرة التوحيد وآمن بها. فيكون على هذا النحو آمن بالاله اتون الذي هو ايل اي الله (فيما بعد) كما عرفته جميع شعوب المنطقة (الهلال الخصيب والجزيرة العربية) وذلك في آخر مرحلة من مراحل تطور الفكر الديني التجريدي التوحيدي. يقول الدكتور احمد سوسا في هذا الصدد، في كتابه « العرب واليهود في التاريخ » صفحة ٤٢٠ ما يلي:

« ... لقد ورد ذكر هذا الاله الذي دعا ابرهيم الى عبادته باسم ايل في التوراة، وهو مفرد لكلمة ايلوهيم الكنعانية، المراد بها الجمع والتعدد اي الالهة ومنه حادث تسمية بيت ايل. وايل هو الاله الذي تكلم مع هاجر وقد ورد هذا المصطلح في النصوص الكنعانية والآرامية ثم في النصوص المصرية التي ترجع الى عهد الهكسوس، حيث كان يقال: « يعقوب ايل » و « يوسف ايل » اي يعقوب الله ويوسف الله، عملا بالطريقة التي كانت متبعة باضافة اسم الاله الى اسم الشخص، تبركا به، مثلما هو متعارف عليه الان بقولنا: عبدالله، او عبدال الخ... مما يدل على ان كلمة ايل بمعنى الاله الواحد، كانت معروفة في كنعان، في عهد ابرهيم الخليل وعصر الهكسوس الذي يلي، اي قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون »

ونحن اذ نحترم الدكتور سوسا، لا يسعنا الا ان نضع علامة استفهام حول تفسيره لكلمة ايلوهيم، بزيادة الياء والميم على لفظة ايل، على انها تعني الجمع والتعدد اي الالهة. وهذا يبعد ايل عن التوحيد. فبنظرنا الياء والميم لا تعني تعدد الذات وانما تعني جماعة المؤمنين بهذه الذات. والا لاعتبرنا ابرهيم مجموعة من الرجال يحملون اسم ابرهيم وقس على ذلك « كريتيم » وغيرها. ان الياء والميم يجب ان تعني هنا مجموعة الاتباع ولا تعني الذات.

أمنمفيس

ومن ثم، نلاحظ ان امنمفيس الرابع (اخناتون) صاحب الانقلاب الديني الحنيف اي التوحيدي، لم يتمكن من تثبيت دعائم معتقده الجديد،

فبعد وفاته قضت مصلحة كهان امون الاقليمية بقيامهم بانقلاب معاكس اتوا بموجبه على كل معالم ديانة أتون للعودة الى عبادة امون.

اما موسى فيجب ان يكون قد بقي على ايمانه فابتعد الى حين عن سطوة الانقلابيين مع الاقوام التابعة له، ليمكث في بقعة من الارض مع جماعاته وهي ارض « جيسان ».

وكما يبدو كانت الحركة الانقلابية شرسة الى حد اجتزت معه جذور المعتقد الاتوني. فمن المعقول ان يكون موسى قرر في هذه المرحلة العصيبة، مغادرة ارض مصر على رأس اقوامه مفتشا له عن بقعة من الارض يستقر فيها وهذا ما يعرف في التوراة تحت اسم « الخروج ».

ان مثل هذا التدبير كان اسلم الحلول لرجل لا يحيد عن عقيدة التوحيد كما تجلت له فنراه يعبر ما يسمى اليوم بـ الديفرسوار او البحر الاحمر متجها الى صحراء سيناء عبر بلاد مديان التي كان يعرفها جيدا خاصة وانه صهر كاهن يثرون المدياني.

كان بامكان موسى ان يذهب الى الحبشة التي حارب على ارضها، غير ان صلاته السابقة ببلاد مديان وزواجه من ابنة كاهن يثرون (صنفورة)، كل ذلك، جعله يفضل الاتجاه الى بلاد يطمئن الى اهلها ومعتقدهم اكثر من سواهم. فاتجه اذن الى صحراء سيناء حيث بقي وجماعته اربعين سنة، تعرض خلالها الى الكثير من الشدائد والمصاعب بسبب ضيق العيش وقلة الغذاء.

جاء في كتاب فرويد « موسى والتوحيد » ما يلي:

« ان القبائل التي كان يتزعمها موسى في صحراء سيناء، ضاقت به ذرعا من حيث المعتقد والحالة المعيشية السيئة، نسبة الى ما كانوا عليه في مصر. فثاروا عليه في موقع قادش وقتلوه وعندئذ استلم زعامة القبائل شخص آخر من بلاد مديان، يدعى موسى ».

من المعلوم ان ما يدعيه فرويد يتعارض مع ما جاء في التوراة حيث نقرأ ان جماعة موسى ثارت عليه عدة مرات ولكن ليس ثمة من ذكر لقتله. فالاقتتال وقع بين اتباع موسى. اما المنية فقد وافته على جبل نبو، دون ان يدخل ارض كنعان. وان يشوع من بعده تسلم زعامة الاقوام.

ونحن لا نستطيع التسليم بمقتل موسى في قادش، كما يدعي فرويد ومن ثم تسلم زعامة الاقوام من قبل شخص آخر يدعى موسى والسير بهذا الاخير الى جبل نبو ليموت هناك كنقطة التقاء مع التاريخ التوراتي، حيث يرثه في الزعامة يشوع.

ان مثل هذه الاحداث الكبيرة التي لها مساس مباشر بالمعتقدات واحداث التاريخ لا يمكن ان تبقى سرا بين القبائل وبلاد مديان والكنعانيين واهل الجزيرة العربية. ان حدثا كبيرا الى هذا الحد لا يمكن التعتيم عليه وكتمانه حتى في عصرنا الحاضر رغم النفس الاعلامي الرهيب، فكيف بنا في ذلك العصر المنفتح بشكل بدائي على جميع البيئات. ولذلك لا نجد في تحقيق الدكتور فرويد عن مقتل موسى ما يقنع على الاطلاق. كما اننا لا نرغب في التوسع حول هذه النقاط حتى لا يبعدنا ذلك عن جوهر دراستنا هذه، الرامية الى توضيح الفكر الديني اليهودي وتتبع تطوراته.

ولا بد لنا في هذا المجال من القول ان كتبة التوراة استمروا في تنقيح هذا الكتاب الف سنة ونيف اي منذ ٦٠٠ قبل الميلاد الى ٥٠٠ بعد الميلاد. كما ان هذا الكتاب، لا يزال ينقح في بعض طبعاته حتى الآن، وهذا ما نلاحظه في الطبعة البروتستانتية اذا ما قورنت مع الطبعات الاخرى. اما استمرار التنقيح طول هذه الازمنة، فلكي يجعلوا مضمون الكتاب متوازنا بقدر المستطاع ومتوافقا مع مصلحة الشعب اليهودي. ورغم ذلك دلت المكتشفات الاثرية، وهذا ما لم يفكر به مطلقا كتبة التوراة، على امور هامة تتعارض مع ما جاء في الكتاب المذكور، تكشف عن اصول الفكر الديني اليهودي، واذا بها مقتبسة عن التراث الرافدي والكنعاني والمصري بحيث لا

يوجد الا النذر القليل يهودي الاصل. وهذا ما نجده بوضوح ودقة في كتاب سنايزنر وكاكو حول نصوص راس شمرا وعلاقتها بالعهد القديم.

ومن المعلوم ان موسى ارتحل عن ارض مصر، على رأس جماعات من القبائل المختلفة بلغ عددهم كما جاء في التوراة وهو رقم مبالغ فيه:

« ستمائة الف ماش من الرجال غير الاولاد » ثم عاشت هذه القبائل في صحراء سيناء اربعين سنة كما ذكرنا. وخلال هذه الحقبة من الزمن تذمرت اكثرية القبائل من شظف العيش وقلة الماء والغذاء. فصارحت موسى بالامر مطالبة اياه بالعودة الى مصر حيث الطعام الوافر اللذيذ. ولما لم يرضخ لمطاليبهم، تفاقمت الحالة فيما بينهم، بين مؤيد ومعارض، ادت الى نزاعات دموية سقط خلالها الالاف من القتلى.

ان المشكلة التي واجهت موسى معقدة جدا تناولت الايمان بموسى ولذلك نراهم يتبرمون من طول غيابه على الجبل.بعد ان وعدهم بمعاينة الله.

وفي غياب موسى على الجبل اخذت جماعته تعبد « بعل » بموافقة اخيه هرون، على حد تعبير التوراة، والاله بعل، هو احد آلهة كنعان، انه اله الصواعق والخصب معا وهذا يدل صراحة على ان فكرة التوحيد لم تكن متأصلة في نفوس جماعة موسى حتى ولا في نفس اخيه هرون.

ولما نزل موسى من على الجبل حاملا لوحي الوصايا، وجد جماعته تعبد العجل في غيابه، على حد تعبير التوراة، وهذا غير صحيح لان عبادة العجل لم تكن قائمة في ارض كنعان. ومتى عرفنا ان العجل هو رمز الاله بعل، ادركنا فورا ان كتبة التوراة سجلوا عمدا عبادة العجل تحقيرا للمعتقد الكنعاني وهي من التسجيلات المغرضة.

والان لا بد لنا من التساؤل. لماذا شرعت القبائل الموسوية في عبادة بعل وليس ايل ولماذا غضب موسى.

منذ ١٥٠٠ ق. م. وما بعده ارتقى الفكر الديني الكنعاني الى درجة

رفيعة جدا من حيث الاخلاق والاسرة والمجتمع ومن حيث نظرة الكنعاني للمرأة (انظر كتابنا اللآلىء) وقد اختص الاله ايل بصفات كونية شمولية كما جاء معنا في مطلع هذا التحقيق الى حد ان الشعب الكنعاني اعتبر نفسه شعب ايل المختار. وهذا ما تبناه اليهود بقولهم عن الشعب اليهودي «شعب الله المختار» سعيا الى طمس حضارة هؤلاء وتبنيها. والى جانب الاله ايل كانت الالهة اشيرة ام الآلهة ومعها ابنتها الالهة عناة الملقبة بالعذراء المحاربة والخطابة. هؤلاء الثلاثة كانوا يمثلون الخط الخيّر الراقي في الهيكل الكنعاني بينما يقابلهم خط آخر مناوىء يتزعمه بعل وايشتار. فالاله بعل يمثل الخصب والصواعق فهو اله خير واله تدمير في آن واحد اما ايشتار فانها تمثل الحب على اوسع نطاق متحرر وقد اتهمت كما يقول بعض العلماء بانها الهة الخصب والدعارة.

هذان الخطان يتقاسمها الشعب الكنعاني. فالمنطقة كانت وقتئذ في صراع حضاري على اساس ديني وهذا يعني بالضرورة ان زعماء كل خط لهم اتباع، والكل في صراع تحت قناع الدين.

نحن اذن امام تيارين من الفكر الحضاري بثوب ديني، يتصارعان فوق ارض كنعان، خط تقدمي وهم جماعة ايل وخط رجعي وهم جماعة بعل. ويبدو ان جماعة ايل كانت لها قوة الانتشار اكثر من جماعة بعل، اذ نرى عباد بعل منتشرة من حدود دمشق (مملكة ابن داغون وهذا يعني بعل) حتى اخر جنوبي فلسطين حيث كانت تقيم اقوام موسى بينما خط ايل يسيطر على كل ارض كنعان.

فاذا عدنا الى المفهوم الديني الاتوني، الذي اعلن عنه في ايام موسى ومن المرجح ان يكون موسى اعتنقه باعتباره دينا توحيديا، ذلك المفهوم المرادف للمفهوم الايلوهي (نسبة الى ايل) والمعادي بالضرورة لمفهوم بعل، لادركنا بداهة سبب غضب موسى على جماعته اثر نزوله من على الجبل ليجد جماعته تعبد بعل. فجماعة موسى وعلى رأسهم هرون يجب ان يكونوا تأثروا

بطقوس بعل السائدة وقتئذ في جنوبي فلسطين فتبنوها رغم انها منافسة لخط ايل المرادف لاتون.

بعد ان استعرضنا حتى الان نشأة موسى ومعتقده الاساسي وهجرته من مصر الى سيناء نعود بالقارىء لنبحث معا ما جاء في التوراة حول الاله يهوه، وحول ادعائهم تجليه لموسى في مصر:

قبل خروج موسى من مصر توجه هذا الاخير الى الله بالسؤال التالي: (خروج ١٤٠١١/٧) « ها انا آتي الى بني اسرائيل واقول لهم. ان اله آبائكم ارسلني اليكم فاذا قالوا لي: ما اسمه، فماذا اقول لهم: فقال الله لموسى: «أهْيَه الذي اهيه» وقال، هكذا تقول لبني اسرائيل أهْيَه ارسلني اليكم» واما معنى اهيه الذي اهيه هو «انا هو الذي اكون» فاذا اخذنا بحرفية ما جاء في التوراة، نستغرب باديء ذي بدء لماذا كان جواب الله له غير صريح، اذ اتى اسم الله جملة تعبيرية وليس اسما معينا» حيث قال «انا هو الذي اكون» او «انا اكون». فلو ان موسى، وذلك على سبيل الافتراض، افصح لبني اسرائيل عن اسم الههم بقوله «انا اكون» لما فهم بنو اسرائيل الا ان موسى نفسه، هو الههم. ان مضمون التعبير واضح ولا يقبل الاجتهاد. وهذا ما يرفضه العقل بالنسبة لاخلاق وعقلية موسى الدينية.

وثمة قول آخر في التوراة حول الوهية موسى لا نعرف كيف نتدبره وهو ما جاء في الاصحاح السابع من سفر الخروج كما يلي:

« فقال الرب لموسى، انظر انا جعلتك الها لفرعون، وهرون اخوك يكون نبيك. انت تتكلم بكل ما امرك، وهرون اخوك يكلم فرعون ليطلق بني اسرائيل من ارضه».

ان مثل هذه الآية تجعل من موسى الها يأتمر بأمر اله اكبر. فهل تعني هذه الاية غير ذلك؟ واذا كان الامر على هذا النحو، اين هو التوحيد اذن؟ ومع هذا نحن نرفض هذا التفسير معتبرين الآيات المبينة اعلاه ليست

واقعية، وانما ادخلت على المدونات لاغراض خاصة. فاذا رفضنا التفسير، كما قلنا، لا يبقى لدينا من جملة «أهْيَه الذي أهيه» سوى حروف مركبة ومجموعة في ثلاث كلمات بحذاقة فائقة، تذكر على اساس الجرس بلفظة «يهوه» حتى اذا مرّ الزمن الكافي على ترْدادها التبست مع اللفظة المطلوب ترسيخها في الذهن الا وهي «يهوه؟!

والبرهان على ذلك هو ان الآية التوراتية التي تأتي مباشرة بعد «أهيه» تقول ان اسم الاله هو «يهوه» فهل يعني ان اهيه معناها يهوه؟ كلا. ان معنى اهيه هو انا اكون، واما يهوه فهو اسم اله كما سيأتي معنا. ومثل هذا التركيب يؤيد استنتاجاتنا السابقة، علما بان نسخة التوراة الانكليكانية لا تقول مطلقا في هذا الموقع بالذات ان اسم الاله هو يهوه وانما الله God، كما ان التوراة السامرية تنعته بـ «الازلي»، وليس يهوه.

انا نطالب رجال الدين بجلاء هذه الغوامض منعا للانحرافات عن خط الايمان الحقيقي.

ولقد تناول هذا الموضوع بلباقة العالم، الدكتور فرويد في كتابه موسى والتوحيد قائلا ان يهوه هو اله البراكين في بلاد مديان. ومهما قيل في هذا الصدد، ان علم الآثار لم يفصح صراحة حتى الان عن اساس هوية الاله يهوه، كما ان ليس لهذا الاسم ذكر صريح في ديانات الشرق الادنى القديم. لقد وجدت لفظة «ياو» (YW) عند الحثيين وفي رأس شمرا على انها اسم اله، فقال بعضهم: قد تكون يهوه وهي فرضية ليست باقوى من فرضية أهيه خاصة وان الحروف الاوغاريتية تشمل كل حروف يهوه، فلماذا اذن اتت اللفظة مجزوءة، وكيف يمكن ان نلفظها يهوه؟ ولذلك لا بد من الاستمرار في تتبع لفظة أهية (انا اكون) وكيف رسخت في الاذهان:

ان جميع تفسيرات رجال الدين المسيحي للفظة يهوه متشابهه، اذ نقرأ التفاسير التالية:

التفسير الاول : Jehova هو اسم اله التوراة الذي تم الحصول عليه كمصطلح صوتي للفظيةYahwe اوYahve باستخدام حروف لفظة ادوناي Adony(السيد) الصوتية وذلك منعا لذكر اسم الاله المقدس.

التفسير الثاني : Iahve وهي فرنسة لفظة(yahweh(Ihwh وهو اسم علم لاله التوراة ظهر لموسى وراء لهب العليقة الملتهبة (خروج ١٥/٣ و ٢/٤) وهو صيغة لفظية سامية غريبة تعادل Yihyeh (هو يكون).

التفسير الثالث :Iave او Iahve هو اسم لاله التوراة وقد ظهر لموسى في العليقة الملتهبة (خروج ١٥/٣) وهو مؤلف من اربعة احرف ساكنة I.H.V.E. ومنها اتى اشتقاق الاسم. ان اللفظة الاولى لهذا الاسم كانت Jaho او Jahou او Jahwe وهي ليست سوى تعابير اصطلاحية تعني صفة الكينونة. وهذا الاسم لم يصبح مقدسا الا بعد السبي، حيث اعتاد الربانيون ان يستعيضوا عنه باسم الهي آخر او ان يقرنوه في القراءة بالمخارج الصوتية للفظة ادوناي Adony (يا سيدي).

ان جميع هذه التفسيرات، يبدو عليها الاعياء الشديد دون ان تؤدي الى اجتهاد واضح، ذلك لان المنطلق غير صحيح فرجال الدين يجهدون انفسهم في ايجاد صلة بين أهية وما يمكن ان يلتبس معها من لفظ (يهوه) يصار الى تبنيه على مر الزمن. فالاجتهادات كلها انصبت على كيفية تثبيت لفظة يهوه دون مناقشة هذا المصطلح، الى ان جاء الدكتور فرويد وقال ان يهوه هو اله البراكين في بلاد مديان. فهل هذا صحيح؟ لسنا ندري.

وهكذا اصبح منذ عهد الانبياء، اسم يهوه (رغم وروده قسرا في سفر التكوين) اسم اله اسرائيل دون مناقشة. ثم ان رجال الدين المسيحي في التفسير الثالث يقولون صراحة ان اسم يهوه لم يرد ذكره الا بعد السبي. فمن اين اذن اتتنا به التوراة البروتستانتية منذ عهد موسى خلافا لبقية نسخ التوراة؟!

نحن لا نلوم اليهود على مثل هذه المحاولات ما دامت لمصلحتهم وما دامت هذه المصلحة تدعم وحدتهم، وتمنع عنهم الاتحاد مع الكنعانيين العرب وهم اجدادنا. فقد ارادوا ذلك وحققنا نحن لهم رغبتهم كما ارادوها. فهل يجوز ان نستمر في هذه الطواعية والغفلة؟!

وفي خضم هذه التعقيدات، انا نتساءل عما اذا كانت العقيدة الدينية الموسوية كونية تشمل جميع البشر اي توحيدية او انها خاصة فقط بالشعب العبري (الاسرائيلي)؟

لقد مرت هذه العقيدة في تيارات عدة كما سيتضح معنا. لقد جاء في مطلع هذا التحقيق ان موسى كان موحدا والناقل لعقيدة اتون الى شعبه، ما دامت هذه العقيدة توحيدية. واتون هذا كما علمنا ليس سوى ايل وفق ما برهنت عليه مكتشفات رأس شمرا الاثرية وآثار افمنيس الرابع. غير ان صفات التوحيد في خط سير العقيدة الموسوية، لا نجدها الا في الوصايا العشر التي اتى بها موسى من على الجبل وهي :

١ ـ لا يكن لك آلهة اخرى امامي.

٢ ـ لا تضع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن.

٣ ـ لا تنطق باسم الرب الهك باطلا، لان الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا.

٤ ـ اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة ايام تعمل اولا وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك.

٥ ـ اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك.

٦ ـ لا تقتل.

٧ ـ لا تزن.

٨ ـ لا تسرق.

٩ ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠ ـ لا تشته بيت قريبك ولا امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء لما لقريبك.

ان للوصايا العشر هذه صفة الشمولية والكونية وبشكل عام التوحيدية، ما عدا ما جاء في الوصية الاولى اذ فيها اعتراف بوجود آلهة اخرى. وهو مبدأ انفرادي يعود بنا الى معتقدات الملك حورابي البابلي الذي عبد الاله مردوخ المنفرد بجميع صفات الآلهة، وعددهم اثنان وخمسون. كما ان الوصية التاسعة والعاشرة تبتعدان عن الشمولية، اذ توحي بعدم الشهادة على القريب وعدم اشتهاء امرأة القريب الخ ... فلفظة قريب لا تعني الا الجار او القريب نسبا وهذا المبدأ يتضمن الروح القبلية، بعيدا عن كل شمولية بعكس الوصية ٦و٧و٨ المطلقة والشاملة جميع البشر. فنحن نعتقد باصرار ان هذه الوصايا محرفة لمصلحة قومية يهودية. فمن يعطي وصايا مطلقة مثل لا تزن، لا يمكن ان يعود القهقرة الى وصية خاصة مثل لا تشته امرأة قريبك. ونحن نرجح ان لفظة « قريب » كانت في البدء « غيرك » اتفاقا مع المضمون المطلق للوصية ولكنها حرفت من جملة ما حرفه كتبة التوراة.

من الواضح كما سبق وقلنا ان اقوام موسى كانت تتبرم بزعامته التي ابعدتهم عن خيرات مصر. وهذا ما دفع بموسى للاعتماد على الروح الدينية الجديدة عله يطبع شعبه بها فصعد الى جبل سيناء لمناجاة الحق. وكما رأينا عاد بعد اربعين يوما مقدما الى جماعته الوصايا العشر ورغم ذلك كان الاقتتال بين افراد هذه الجماعات شديدا سقط معه آلاف القتلى، دون ان يتمكن موسى من ايصال رسالته الى وجدان هذه القبائل. فرأيناهم يعبدون بعل وايل وعشتروت وغيرها من الآلهة، كما اقتبسوا عن الكنعانيين الطقوس

الدينية والعادات والتقاليد ومن ثم تزاوجوا معهم.

اما العالم فرويد فلقد واجه هذه المشكلة ووجد لها حلا بادعائه ان موسى قتل اثناء هذه الاضطرابات، وان موسى آخر مدياني الاصل، تزعم القبائل وان اله موسى المدياني هو يهوه اله البراكين، فهو اذن اي موسى المدياني، بوحي من الهه، لا اله موسى الاصلي، ارتكب العبريون جميع الاثام والجرائم في ارض كنعان حتى ايام السبي، ولذلك يبقى موسى المدياني والهه يهوه، المسؤولين عن كل جرائم وموبقات اقوام موسى في ارض كنعان.

ثم نرى الدكتور فرويد في كتابه موسى والتوحيد ينتقل من هذه المرحلة الى مرحلة الانبياء ويسميها «بعث الموروث» معتبرا ان المعتقد الموسوي الاصلي قد بعث من جديد على لسان انبياء اليهود ايام السبي، ليخلع على الاله يهوه، الذي يستمر اسمه هكذا، صفات جديدة يرتفع به من حيث الصفات فقط، الى الاله الكوني. ان الدكتور فرويد يضرب نطاقا حول الزمن من مقتل موسى بحسب زعمه، في قادش، حتى ظهور الانبياء. ونحن نحس بالبداهة، في ضوء ما اراد ان يرمي اليه، ان رسالة موسى مرت في حالة كمون لتستيقظ فيما بعد. وبرغم ان فرويد اراد خدمة شعبه اليهودي من الجرائم والمفاهيم التي تخللت هذه الاحقاب من الزمن، فقد هاجمته الصهيونية العالمية متهمة اياه بالخرف. ونحن لا نصدق مثل هذه الاتهامات التي ليست بنظرنا سوى محرض لنا على الاعتقاد بكل ما اتى به فرويد. فالدكتور فرويد خلص شعبه اليهودي من الجرائم التي اقترفها اثناء دخول ارض كنعان، كما ربط رسالة موسى بالانبياء محافظة على الخط التاريخي والعقدي في آن واحد.

من خلال جميع هذه المحاولات نرى ان التيارات الدينية في مسيرة الفكر اليهودي قد مرت في المراحل التالية :

١ ـ مرحلة الآباء الذين تبناهم الشعب اليهودي بينما لا يمتون اليهم بصلة.

٢ ـ مرحلة موسى منذ نشأته حتى وفاته على جبل نبو.

٣ ـ مرحلة ما بعد وفاة موسى حتى سبي بابل.

٤ ـ مرحلة ظهور الانبياء اثناء السبي وبعده.

والان لا بد من استعراض هذه المراحل واعطاء ملامحها الدينية.

اولا : مرحلة الانبياء :

بدأت مرحلة الآباء بابرهيم الخليل او ابرام وذريته، كما جاء في التوراة. ولقد سبق لنا وبينا في كتاب « اللآلىء » ان ابرهيم الخليل ليس يهوديا، لا دينيا ولا سلاليا وان ادعاء اليهود بالانتساب اليه، انما هو من باب التزوير والاختلاس. كما بينا ان معتقد ابرهيم الخليل توحيدي فهو من عباد ايل على غرار معتقد كاهن اورشليم ملكي صادق وبلعام الكنعاني. واما ايل هذا فهو مرادف، كما سبق وذكرنا، الى الاله أتون الذي تتلمذ موسى على ايدي كهنته في مصر.

ولقد سيطر هذا التيار الايلوهي (نسبة الى ايل) زمنا طويلا جدا حتى السبي، على معتقدات القبائل الموسوية التي عرفت فيما بعد تحت اسم يهود نسبة الى يهوذا. وبالاضافة الى عبادة ايل، فقد عبدوا بعل وعشتروت. ولما واجه اليهود هذه التعقيدات، نشأت المدرسة اللاهوتية الايلوهية لخلق التفسيرات اللازمة، والاجتهادات الضرورية حول المعتقد اليهودي الايلوهي بقصد دمجه بنتيجة الامر، بالمعتقد اليهوي (نسبة الى يهوه).

ونحن نلاحظ ان اسم ايل يتردد في التوراة ١١٩ مرة، في اسفار التكوين والخروج واشعيا وايوب. كما ان ذكر الاله بعل يملأ سفر القضاة. وعلى سبيل المثال نقرأ في الاصحاح ٢/١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ما يلي :

« وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب اله آبائهم الذي اخرجهم من ارض مصر، وساروا وراء آلهة اخرى من آلهة

الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها واغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتروت»

تعتبر مرحلة الاباء هذه، في ضوء المعتقدات الدينية، مرحلة كنعانية اصيلة لا لبس فيها ولا غموض. فليس لليهود في هذه المرحلة اية موروثات لا سلالية ولا دينية. انهم فقط اختلسوها.

- ثانيا: مرحلة موسى حتى وفاته على جبل بنو.

تعتبر هذه المرحلة بالنسبة لشخص موسى فقط لا لجماعته اتونية - ايلوهية، كما جاء معنا وذات صفة تجريدية توحيدية خالصة، كما جاء معنا في التحقيق اعلاه، ولكن موسى فشل في تلقين جماعته العقيدة التوحيدية. لان الموسويين لم يكنوا مؤهلين لاستيعاب هذه الرسالة، ويعود ذلك لحد كبير، الى تعدد هويات هذه القبائل وتعدد اتجاهاتها الدينية الاصلية ومنها الاتجاه الكنعاني لوجود بقايا من الهكسوس تحت رعاية موسى بالاضافة الى قبائل مديانية.

ان المستوى الفكري والنفسي لدى القبائل الموسوية وجلهم من المحرومين، لم يمكنهم من الانتقال بسهولة الى العقيدة الجديدة الصافية عقيدة التوحيد ولذلك فشل موسى في ايصال هذه العقيدة الى وجدانهم، وهذا يعني ان اليهود، حتى موت موسى، لم يأتوا بأية عقيدة توحيدية بالمعنى الصحيح، على غرار ما جاء به ابرهيم الخليل.

ثالثا: مرحلة ما بعد موت موسى حتى السبي:

تتميز مرحلة ما بعد موسى حتى السبي، بالحروب المتواصلة بين اليهود والكنعانيين ولم يتمكن اليهود من السيطرة على بقعة من البلاد الا في زمن الملك داود. وفي كل قتال كانوا يندحرون امام اهل البلاد من كنعانيين وفلسطينيين وادوميين وعمونيين الخ.. وفي كل مرة كانوا يعزون هذا الانكسار الى تخلي الاله عنهم. لقد ارتكبوا ابشع الجرائم في بدء احتلال

التلال الوسطى وسرعان ما انقلبت الاوضاع فاصبحوا بين كر وفر مع الكنعانيين. ولذلك بأ اليهود يشعرون بحاجة الى اله يحميهم وينصرهم، ومن هنا بدأت فكرة اله خاص بشعب اسرائيل. فكانوا يتمثلون مثل هذا الاله، دون معرفة لهم به، وذلك على اساس حاجتهم اليه فقط.

انا نقرأ في سفر القضاة ٦/١٠ -١١ ما يلي:

« وعـاد بنـو اسرائيـل يعملـون الشر في عيني الرب وعبـدوا البعليم والعشتروت وآلهة ارام وآلهة صيدون وآلهة مؤاب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه، فحمي غضب الرب على اسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون. فحطموا ورضضوا بني اسرائيل الذين في عبر الاردن في ارض الاموريين الذين في جلعاد. وعبر بنو عمون الاردن ليحاربوا ايضا يهوذا وبنيامين وبيت افرايم وتضايق بنو اسرائيل جدا قائلين: اخطأنا اليك لاننا تركنا الهتنا وعبدنا البعليم ».

ان اندحارات اليهود امام اعدائهم هي التي ولدت لديهم فكرة اله قومي خاص يرعى زمامهم في الحروب. ومن هنا تشابكت المعتقدات الدينية بين اقوام، معظمهم يعبد آلهة كنعان، وبين روادهم المفكرين الذين كانوا بحاجة الى لم شمل صفوف هذه الاقوام، تحت شعار اله خاص بهم، كما ذكرنا، ولكن دون ان يكون له اسم خاص سوى قولهم « الرب » او « الله ». لان لفظةيهوه لم تظهر على الالسنة الا بعد السبي. ومثل هذا المعتقد يدخل في مرحلة المعتقد الانفرادي Hono the isme الذي قال به حورابي اذ عبد مردوخ اله بابل منفردا بعبادته دون سائر الآلهة.

لقد استمر مثل هذا الاختلاط في العقيـدة بين التـوحيـد والتعـدديـة والانفرادية حتى السبي.

انا نقرأ في سفر الملوك الاول ٤/١١ ما يلي:

« وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم

يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه. فذهب سليمان وراء عشتروت الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود ابيه »

ثم نلاحظ انه في عهد الملك عزيا ملك يهوذا ويربعام الثاني ملك اسرائيل في القرن الثامن، بعد الانقسام، قام احد انبياء اسرائيل الصغار وهو عاموس بمحاربة الوثنية. دين الدولة الرسمي انئذ. كما ان النبي ايليا حارب في زمن الملك أخاب (٨٣٧ - ٨٥٣) عبادة البعليم.

بناء عليه نرى بوضوح ان التعددية كانت قائمة في جميع العهود منذ موت موسى حتى آخر ملوك اسرائيل ويهوذا. والى جانب ذلك كان يسمع على الدوام صوت واحد يردد دون انقطاع بوجود اله واحد لاسرائيل فقط، شعب الله المختار وهو مبدأ انفرادي لا توحيدي. فأين هو اذن التوحيد الذي اشتهر به اليهود كما يزعم العالم؟ واين هو موقع الاله يهوه الذي تعتبره المحافل الدينية العالمية مساو لاله العالم لدى جميع الديانات؟

والاله يهوه هذا قد عرف بصفات خاصة، تبعده عن الكونية والشمولية وبالتالي عن الاله الحقيقي واهمها:

- (خروج ٦/٣) ثم كلم الله موسى وقال له: « انا يهوه (هذا اذا سلمنا جدلا بصحة الاسم) اتخذكم لي شعبا واكون لكم الها...»

- (خروج ٢٣/٢٣) قال لموسى: « ان ملاكي يسير امامك ويجيء بك الى الامـوريين والحثيين والفـرزيين والكنعـانيين والحويين واليبـوسيين فابيدهم...»

- وجاء في نفس السفر:

«لا اطرد الشعوب من امامك في سنة واحدة لئلا تصير الارض خربة فتكثر عليك وحوش البرية...»

ومثل هذا الاعتراف، يدل على ان ارض كنعان كانت عامرة بالسكان وليست خربة.

- ثم قال لهم في سفر التثينة ١٠/٦ :

«سآتي بهم الى مدن عظيمة جيدة لم يبنوها وبيوت مملوءة كل خير لم يملأوها وآبار لم يحفروها وكروم زيتون لم يغرسوها»

كما وعدهم بان يكون هو «العابر امامهم نارا آكلة يبيد الشعوب ويذلها» (تثنية ٣/٩).

فهل تتفق هذه الصفات مع الفكر الديني التوحيدي؟ انا نستغرب كيف يأخذ بها المجتمع الكنسي حتى الان دون مناقشة؟! وفي اعتقاد الجميع ان اليهود موحدون؟!

رابعا: مرحلة ظهور الانبياء او مرحلة ما بعد السبي.

ان عدد الانبياء بحسب التوراة العبرانية ستة عشر بدءا من اشعيا الى سلاخي مرورا بعاموس. ويزعم الدكتور فيليب حتى ان النبي عاموس هو اول موحد في تاريخ البشرية. وقد جاء ذلك في تاريخ الدكتور احمد سوسا «العرب واليهود في التاريخ» . ونحن الان نستعرض اقوال الانبياء لنتعرف الى جذور التوحيد ان امكن ذلك. وقبل استعراض مثل هذه الشواهد، لا بد لنا من تذكير القارىء بقوانين الحرب في التوراة كما اتت على لسان يهوه قبل السبي. ولقد استخلصها الدكتور احمد سوسا في كتابه «العرب واليهود في التاريخ» صفحة ٢٨٢ كما يلي:

١ - «احترز من ان تقطع عهدا مع سكان الارض التي انت آت اليها، لئلا يصير فخا في وسطك» (خروج ١٢/٣٤).

٢ - «واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا، فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما. الحثيين والاموريين والكنعانيين

والفرزيين والحوريين واليبوسيين كما امرك الهك (تثنية ٢٠/١٠ . ١٧).

٣ ـ «اقتلوا كل ذكر من الاطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر، ابقوهم لكم حيات» .

ونحن اذ نأتي على ذكر هذه القوانين انما لتبقى صفات يهوه ماثلة في الذهن اذا ما اردنا مقارنتها بصفات الله الكونية ولنتمكن من فهم مضمون اقوال الانبياء وهم يتكلمون باسم يهوه.

اما الدكتور فرويد فقد واجه مشكلة هذه الصفات في كتابه: موسى والتوحيد فقال:

«لقد كان يهوه بالتأكيد اله براكين والحال ان ما من احد يجهل انه لا وجود لبراكين في مصر وان جبال شبه جزيرة سيناء لم تكن قط هي الاخرى بركانية وبالمقابل نرى ان السواحل الغربية لشبه الجزيرة العربية مملوءة ببراكين كانت ناشطة لفترة طويلة من الزمن. ولا بد ان احد هذه الجبال كان حوريب المعروف باسم جبل سيناء الذي قيل انه كان مقام يهوه. وبالرغم من كل التحوير الطارىء على النص فتمكن وفقا لرأي «ا. ماير» ان نعيد صورة الاله كما يلي:

«فهو شيطان مشؤوم ودموي يجوس ليلا ويخشى ضوء النهار» هذا بالنسبة لما آلت اليه التحقيقات حتى الان حول شخصية يهوه. اما اذا عدنا الى النصوص الكنعانية، فانا نرى ان بعض صفات يهوه هي من صفات بعل من حيث الصاعقةالمدمرة وحب السيطرة والغيرة، فهل يمكن ان يكون اليهود عبدوا بعل تحت اسم يهوه خاصة وان اقوام موسى بدأت تعبد بعل واستمرت حتى االملك سليمان؟ وبذلك يختفي بعل الكنعاني تحت اسم يهوه اله البهود الخاص؟ ان مثل هذه الفرضيات تتطلب دراسات اوسع وادق كما تتطلب مصادر جديدة في علم الاثار. ومع ذلك نشعر باحتمال وقوع ذلك؟!

عهد الانبياء.

بعد هذه التوطئة التي لا بد منها، نقرأ للدكتور فرويد في كتابه «موسى والتوحيد» ما يدعوه «بيقظة الموروث» ويعني بالموروث عقيدة موسى التوحيدية. اي ان عقيدة موسى بعد كمونها زمنا طويلا ظهرت على لسان الانبياء. فهل هذا صحيح والى اي مدى يمكن التسليم به؟

توصلا الى الكشف عن هذه اليقظة، علينا استعراض اهم اقوال الانبياء لدى اليهود وقد وقع اختيارنا على عاموس الموحد الاول في التاريخ كما يقول الدكتور فيليب حتي وعلى اثنين من كبار الانبياء وهما اشعيا وحزيقال. واليكم بعض اقوالهم:

١ ـ عاموس:

يعتبر عاموس من الانبياء الصغار عاصر عزيا ملك يهوذا ويربعام ملك اسرائيل وكان ذلك بعد الانقسام ومن اقواله:

ـ (٣/١ ٢): اسمعوا هذا القول الذي تكلم به الرب عليكم يا بني اسرائيل، على كل القبيلة التي اصعدتها من ارض مصر قائلا، اياكم فقط عرفت من جميع قبائل الارض لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم»

يبدو الاله في هذه الاية الها خاصا باسرائيل.

ـ ومن اقواله: (٥/١٤. ١٥) «اطلبوا الخير لا الشر لكي تحيوا فعلى هذا يكون الرب اله الجنود معكم كما قلتم. ابغضوا الشر واحبوا الخير وتبنوا الحق في الباب لعل الرب اله الجنود يترأف على بقية يوسف»

تبدو في هذه الاية صفة الاله الرحيم بصورة مطلقة وهي من الصفات الكونية.

ـ ومن اقواله: (٤/١٢. ١٣) «لذلك هكذا اصنع بك يا اسرائيل. فانه هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح واخبر الانسان ما هو فكره الذي

يجعل الفجر ظلاما ويمشي على مشارف الارض يهوه اله الجنود اسمه» .

تبدو في هذه الآية صفة الاله الكوني من جهة ومن جهة اخرى يستمر اعتباره اله اسرائيل الخاص فالفكرة التوحيدية غير واضحة وهي ضمن اطار الانفرادية .

٢ ـ اشعيا .

يعتبر اشعيا من انبياء اليهود الكبار الى جانب حزيقال . ونحن اذ نقرأ سفر اشعياء نلمس ان اله اشعيا هو اله خاص باسرائيل دون سائر الامم واليكم بعض الشواهد :

(٥/٧) «ان كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا . فانتظر حقا فاذا سيفك دم وعدلا فاذا صراخ» .

ومثل هذه الاقوال كثيرة جدا في سفر اشعياء الى جانب توصيات اخلاقية رخيصة على غرار ما جاء في سفر عاموس، ارتفعت بالاله يهوه من البدائية الى السمو الاخلاقي اذ نسمعه يقول :

(٥/٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢) : «ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا، الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما . الجاعلين المر حلوا والحلو مرا . ويل للحكماء في اعين انفسهم والفهماء عند ذواتهم . ويل للابطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج المسكر» .

ان في اقوال اشعياء كما ذكرنا نفحة روحية ولكن دون ان تفقد نزعتها الخاصة الاسرائيلية . ان اله اشعيا يبقى خاصا ببني اسرائيل .

٣ ـ حزيقال .

نلمس في اقوال حزيقال التقريع ببني اسرائيل لما اقترفت اياديهم من شرور وآثام، كما نسمع صوت النذير بالدمار على غرار ما يسمعنا اياه يهوه في بداية عهده .

ولقد بدأ حزقيال بنبوءاته ايام السبي منددا باعمال اسرائيل متوجعا على اورشليم وداعيا لنصرتها. وقد تناول التنديد باعمال اسرائيل القسم الاكبر من سفره. كما كان يشجب العادات التي اقتبسها اليهود عن الكنعانيين مثل البكاء على تموز معتبرا ذلك معصية ادت الى هلاك الارض. قال:

(١٤/٨) «فجاء بي الى مدخل باب الرب الذي في جهة الشمال واذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز. فقال لي: ارأيت هذا يا ابن ادم. بعد تعود رجاسات اعظم من هذه»

في هذه الاقوال يبدو الحقد الدفين على الكنعانيين وهي نزعة خاصة لم تفارق اليهود حتى اليوم.

ان دعوة النبي حزيقال تبدو عليها النزعة العنصرية الدينية وهي لا تصدر عن عقيدة دينية توحيدية. وفيها الكثير من نفس يهوه البدائي. ان سفر حزيقال مفعم بمثل هذه الاقوال ومعظمها في معرض التنديد باعمال اسرائيل الرجسة. واما من حيث التبشير فانه يطمئنهم الى جمع الشمل والعودة الى ارض اسرائيل ونسمعه يقول:

(٣٦/٧ . ٨) «لذلك هكذا قال السيد الرب: اني رفعت يدي فالامم الذين حولكم هم يحملون تعييرهم. اما انتم يا جبال اسرائيل فانكم تنبتون فروعكم وتثمرون ثمركم لشعبي اسرائيل لانه قريب الاتيان»

اننا نكتفي بما قدمناه من اقوال اعظم الانبياء فهي خالية من كل اتجاه توحيدي على الاطلاق. لا بل مشبعة بالنزعة العنصرية الدينية. فلا مجال اذن لاعتبار يهوه الها توحيديا على الاطلاق وانما اله حرب لشعب خاص وهو مذهب انفرادي لا توحيدي. وهو ايضا لم يتخط عتبة حمورابي صاحب اول مذهب انفرادي في التاريخ ولا بد من ان يكون كتبة التوراة في بابل، تأثروا بهذا المذهب وتبنوه في الاله يهوه.

وقبل ان نختم دراستنا هذه يحسن بنا ان نقدم للقراء رأي كل من العالمين

غوستاف لوبون وتوينبي في الفكر الديني اليهودي كما يلي:

ـ يقول غوستاف لوبون في كتابه الحضارات الاولى الفصل الخامس ما يلي:

«قدامى اليهود لم يتجاوزوا اطلاقا الشكليات الدنيا للحضارة التي يصعب تمييزها عن التخلف الهمجي. وعندما خرج هؤلاء البدو الرحل العديمو الثقافة من صحرائهم، ليستقروا في فلسطين وجدوا انفسهم يحتكون مع شعوب قادرة، ذات دول كبيرة وعريقة فكان مثلهم مثل جميع السلالات الدونية في حالات وشروط مشابهة: لم يقتبسوا من الشعوب القوية المتقدمة الآنفة الذكر سوى الجوانب التافهة، الصغيرة والعادات الدموية والخلاعات والمفاسد والعيوب والخرافات.

لقد قدموا القرابين لآلهة آسية جميعها (عشتار وبعل ومولوخ..) وذلك اكثر بكثير مما فعلوا بالنسبة لاله قبيلتهم الغامض والحقود يهوه الذي ظل ايمانهم به متقلصا جدا ومقيدا جدا بشتى القيود والشروط، على الرغم من عنف وصرامة انبيائهم. وكانوا يعبدون العجول المعدنية. ويقدمون نساءهم للدعارة والتعهر «المقدسين» في المقامات العليا... الخ.»

ـ واما العالم توينبي فيقول في كتابه مختصر دراسة التاريخ ما يلي:

«فاذا ما امعنا النظر في طبيعة يهوه، وفقا لتصوير العهد القديم، تقفز امامنا طبيعتان:

فان يهوه باصله اله محلي متصل بالارض بالمعنى الحرفي، ان كان علينا ان نصدق ما يقال انه ظهر لبصيرة الاسرائيليين لاول مرة على صورة كائن (جني) يسكن مكانا في شمالي شبه الجزيرة العربية ويتجلى في بركان.

وعلى اية حال ضربت تلك الربوبية بجذورها في اعماق مقاطعة محلية وفي قلوب جماعة معينة. وتم ذلك بعدما انتقلت تلك الجماعة الى الارض المرتفعة لافرايم ويهودا وقتما تألفت من عصابات حرب بربرية اندفعت خلال القرن

الرابع عشر قبل الميلاد الى المقاطعة الفلسطينية في الامبراطورية الحديثة المصرية.

والطبيعة الثانية ان يهوه اله غيور وتتبين تلك الصفة من وصيته لعابده: «لن تكون لك آلهة اخرى سواي»

وهكذا نرى ان جميع الذين بحثوا في طبيعة يهوه لا يرون فيه غير اله قبلي محلي وابعد ما يكون عن الكونية.

الى هنا نتوقف عن متابعة شرح هذه الامور الخطيرة، داعين معشر الكتاب الى مناقشتها وجلاء غوامضها تنقية لذهن الشباب العربي من اجيالنا الصاعدة، لان هذه المفاهيم تدخل حتى الان في صلب معتقداتنا دون مناقشة او تمحيص مما يزيد في غموض الخلفية التي نعيشها فتنعكس نتائجها على اتجاهاتنا السياسية والاجتماعية ونحن في احرج الظروف التي تحتم علينا كل صفاء في النفس ووعي في العقيدة.

اضواء

شغلت المسألة اليهودية الفكر البشري زمنا قويلا، واكثر من اية قضية اخرى، دينية كانت او غير دينية. وهي لا تزال تشغل الرأي العام العالمي حتى الان. وصدرت بشأنها الوف الكتب والنشرات.

ان كل ما يكتب عن هذه المسألة يبرزها باستمرار امام الرأي العام العالمي فيعطيها دينامية متواصلة. ولذلك يحرض اليهود دوما الغير للدفاع عن قضيتهم، وهذا فن اتقنوه جيدا وبذلوا من اجله المال الكثير. ليست القضية اليهودية معجزة كما يصورها بعض اقلام الغرب حتى انها ابعد ما تكون عن الفكر الديني المتسامي كما ارادوها ان تكون ايضا غير ان الجهل المسيطر على الامم، هو الذي البسها هذا اللباس الغيبي الذي استغله اليهود ابشع استغلال.

فاذا استعرضنا تاريخ اليهود وتاريخ قضيتهم لوجدنا ان العقيدة اليهودية ابعد ما تكون عما آمن به رجال الدين في العالم. وانها نابعة فقط من صميم فكرهم المعتقدي القبلي ومن حالتهم الاجتماعية المتحجرة لا غير. فهي ترتكز على المنطلقات التالية:

١ ـ المنشأ القبلي حيث لا تراث قومي ولا وطن ثابت. وقد رافقتهم هذه النزعة القبلية في جميع مراحل حياتهم.

٢ ـ وبصفتهم قبائل (بدو رحل اي عبريين) فقد تعلقوا بالثروة

المنقولة فقط منذ نشأتهم، فكان همهم الاوحد جمع الذهب والفضة، وهي نزعة بدوية لدى جميع القبائل « البدو الرحل » حتى يومنا هذا.

٣ ـ عقيدتهم الدينية عدائية خاصة بهم، دون سائر الامم، فيزعمون ان يهوه الههم هو خاص بشعب اسرائيل فقط، ويبيح لهم السطو على ممتلكات الغير، وان هذا الغير لم يوجد الا لخدمة شعب اسرائيل. فهم يحتقرون باقي الامم، ويسمح لهم الههم « بسل كل نسمة حياة » من بين الامم وقد وردت هذه التوصيات في تعاليم التلمود المفسرة للتوراة.

٤ ـ الرضوخ الكلي لرجال دينهم ولزعمائهم العلمانيين، على غرار القبائل في العالم، وبالتالي الايمان الاعمى باقوال انبيائهم وتفاسير هذه الأقوال على لسان رجال دينهم، وكلها موضوعة لخدمة اغراضهم الدنيوية. فالعقيدة اليهودية تنبع من هذه القواعد الاربع الرئيسية. ولما كانت سلوكيتهم بين الامم فاسدة على الدوام كما جاء بحثنا في هذا الكتاب، وكان ذلك بسبب تعاليمهم الدينية تلك، كانوا على عداء متواصل مع سائر الشعوب التي يقيمون بين ظهرانيها، سواء في التاريخ القديم او الحديث.

وهذه الروح العدائية، ساعدت على لم شعثهم وبوتقتهم في عقلية قبلية متحجرة، كما يحدث في العصر الحاضر لكثير من القبائل في العالم، تلك القبائل غير المتطورة حضاريا.

وعداونهم للامم، هذه، جرت عليهم الكثير من ردود الفعل السلبية وهذا ما شرحناه مفصلا في مقالنا عن السلوكية اليهودية، وهذه الردود التي هي اصلا بمثابة عقوبات لا اضطهاد، زادت من تماسكهم او على اقل تقدير، من الاحساس المتبادل فيما بينهم، على انهم شعب منبوذ من الامم ومضطهد، ولا سبيل له الا في ان يتعاون افراده فيما بينهم للحفاظ على حياتهم ووجودهم وكل ذلك كان بوحي من رجالات دينهم. وزعمائهم.

ولما كان اليهود، بفعل تعلقهم بالذهب والفضة، اي بالثروات المنقولة،

لم يكن لهم من هم في الحياة، وفي جميع ادوارهم التاريخية، الا جمع الذهب والفضة والمال المنقول.

ولما كان المال دوما عصب التجارة والاقتصاد في العالم راينا اليهود، سرعان ما انخرطوا في الاسواق التجارية العالمية، حيث لعبوا ابشع الادوار. فكانوا كلما احتاجت الحكومات الى المال، تحت ضغط المنازعات السياسية والحروب، بادروا الى تقديم الخدمات لهذه الحكومات سواء على اساس القروض، او شراء الضمائر والمرتزقة في الحروب. ومثل هذه الاعمال، كانت تدر عليهم ارباحا طائلة تتكدس في خزائنهم، حتى طاش سهمهم من كثرة الربح، وباتوا يعبدون المال على قدر ما يعبدون الههم «يهوه». ولقد قال فيهم كارل ماركس في كتابه «المسألة اليهودية»: «انهم يعبدون المال (اي اليهود) ولا سبيل لخلاصهم الا بالاشتراكية». ولكننا نرى انه حتى اشتراكية الاتحاد السوفياتي وبعد اكثر من خمسين عاما لم تفدهم في شيء. فها هم، بتحريض من نزعتهم النفسية الدينية، يسلكون شتى السبل للعودة مرة ثانية الى احتلال فلسطين.

المنعطف التاريخي للعقلية اليهودية

يبدو المنعطف التاريخي للمسألة اليهودية على اساس الفكر، بارزا من زاويتين: فكرية ومادية.

من حيث الفكر

بقي اليهود حتى الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ميلادية، يعيشون بمعزل عن المجتمعات التي احتضنتهم، بعيدين كل البعد، عن خدمة اغراض هذه المجتمعات خدمة حضارية انسانية.

فلقد عاشوا بين الشعوب عيشة المرتزقة والطفيليين مدة طويلة من الزمن، حتى قال فيهم احد المفكرين الالمان، في مطلع القرن العشرين «انهم يعملون كما يعمل الجندي في معسكر الاعداء.» والعجيب في الامر انه، كان يرافق

تحركهم على الدوام، شعورهم العدائي المتعالي على الامم، ذلك الشعور الذي انغرس في اعماق نفوسهم.

وقبل هذه الحقبة الحاسمة من تاريخ المجتمعات الاوروبية وبالتالي قبل نشوب الثورة الفرنسية، بدأ بعض مفكري اليهود الغربيين وعلى رأسهم المدعو موسى مندلسون»، اليهودي الالماني، يدعو الى الاندماج في المجتمعات غير اليهودية. لقد وجدت هذه الدعوة بعض التشجيع من قبل اليهود الغربيين، دون ان يصل تأثيرها الى اليهود الشرقيين (شرقي اوروبا).

والى جانب هذه الدعوة، انبرى كتاب اخرون، وبدافع ديني بحت، يدعون لاقامة دولة اسرائيل.

وهكذا اخذوا ينظمون ويدعمون بعض الجمعيات في اوروبا، اشتهرت من بينها: «الكابالا» و «الماسونية» و «فرسان المعبد» و «جماعة الصليب الوردي» وغيرها من الجمعيات السرية والغلنية.

لقد لعبت الماسونية دورا خطيرا في اشعال نار الثورة الفرنسية التي افاد منها اليهود بالدرجة الاولى، اذ اعطت ولادة شعارات جديدة لحقوق الانسان، كالحرية والعدالة والمساواة لجميع المواطنين، بغض النظر عن العرق والجنس، كما ان هذه الثورة قضت على خصوم اليهود التقليديين.

وفي باب لعبة الماسونية، في التحضير للثورة الفرنسية، نقدم للقارىء نص رسالة غير متداولة على الصعيد العام، كتبها الشاعر الفرنسي لامارتين، ابان اضطلاعه في عام ١٨٤٨ ميلادية ببعض اعباء السلطة في فرنسا. وهذه الرسالة موجهة الى احد محافل الماسونية في فرنسا، علما بان الكاتب الفيلسوف فولتير، كان سابقا، وقبل الثورة الفرنسية، عضوا في هذا المحفل. وتاريخ الرسالة هو ١٩ اذار ١٨٤٨ ميلادية، وهي موجهة الى لجنة الثلاثماية ماسوني في المحفل المذكور. تقول الرسالة: «أنا اعرف ما فيه الكفاية عن تاريخ الماسونية، حتى اقتنع بانه من صميم محافلكم، انبعثت في

الظلام اولا ومن ثم في وضح النهار: المشاعر التي ادت الى الانفجار الهائل الذي شهدناه عام ١٧٨٩، ذلك الانفجار الذي كاد ان يتكرر ليعطي الى الشعب الباريسي مثيلا له منذ بضعة ايام».

ثم يتابع لامارتين رسالته بروح ساخرة:

«ان مشاعر الاخاء والحرية والعدالة، التي هي اصلا انجيل الفعل البشري، فقد محصت باجتهاد كبير وبشجاعة في بعض الاحيان، وكما نشرت ايضا، فكنتم انتم تدرسونها في اقبيتكم الخاصة حيث تخبئون حتى الان فلسفتكم الرائعة...»

وتدل هذه الرسالة على مدى نفوذ - نجاح الماسونية انذاك بين صفوف الشعب الفرنسي.

وعلى اثر الثورة الفرنسية ونجاحها عام ١٧٨٩، كان نابليون بونابرت اول من فكر بالتظاهر في خدمة اليهود، واستخدامهم في اغراضه العسكرية، فقد اذاع «نداء وجهه الى اليهود، يستحثهم فيه للانضواء تحت رايته كي يفيد منهم، وعندئذ يعيد اليهم مجدهم الضائع ويرد لهم حقوقهم المسلوبة منذ آلاف السنين». (كذا). وهي دغدغة سياسية وذكية من قبل نابليون بونابرت.

ولقد نشر هذا النداء في الجريدة الرسمية الفرنسية بتاريخ ٢٠ نيسان من عام ١٧٩٩. وكان نابليون يرمي من وراء ذلك الى استخدام اليهود لمصالحه العسكرية كما ذكرنا. غير انه عاد الى بلاده قبل ان يصل هذا النداء الى يهود اسيا وافريقيا.

وفي القرن التاسع عشر، دخل اليهود، ولاول مرة في لعبة الدول، الامر الذي ادى الى تغيير كبير في اتجاهاتهم الفكرية. فالشعارات التي نادت بالحرية والعدالة، اثر اعلان الثورة الفرنسية والدستور الاميركي، خلفت اثارا عميقة في الفكر اليهودي بحيث طرحوا فكرة الاندماج في الامم خاصة

وان دساتير هذه الامم تضع اليهود على قدم المساواة مع بقية المواطنين. غير ان هذه الدعوة رفضها يهود روسيا ورومانيا وبولونيا وهنغاريا ودول البلطيق.

امام هذه التمخضات الفكرية، برزت بوصوح فكرة انشاء وطن قومي في فلسطين على اساس الوعد المزعوم في التوراة، بتحريض من رجال الدين. ولما اصبح اليهود على قدر من القوة المادية، كما سيجيء معنا، ساعدت احوالهم هذه على تنظيم فكرة انشاء الوطن القومي على اسس علمية فكانت ولادة الاساليب الصهيونية الحديثة، وفق ما نادى بها هرتزل في مؤتمر بال حيث قال:

« الصهيونية هي وليدة الضغط والاضطهاد، وانه لو لم يكن ثمة من اضطهاد لليهود، فان علينا ان نخلقه لنقوي الصهيونية ونحمل اليهود على التحرك لتحقيق اهدافها » (من كتاب فرانكفورت). « الصهيونية والشيوعية ».

وعلى هذا الاساس كرس هرتزل زعامته على الصهيونية العالمية في مؤتمر بال (المؤتمر الصهيوني العالمي) واعلن فيه « اقامة دولة اسرائيل ».

وفي هذا المؤتمر بالذات تمت سرقة بروتوكولات حكماء صهيون المعبرة عن الفكر اليهودي الجديد باساليبه، والمشتقة قواعدها الفكرية والدينية واللااخلاقية من التوراة والتلمود. فقد جاءت ترجمة حرفية لمضمون هذه الكتب وليس فيها من جديد سوى اساليب العمل وفقا لروح العصر وبصياغة جديدة، كما يتضح ذلك بجلاء في دراستنا عن واقعية بروتوكولات حكماء صهيون في مطلع هذا الكتاب.

بعد هذا التنظيم، بدأ تحرك اليهود الفعلي في استغلال الظروف السياسية وشراء الضمائر في سبيل العودة الى احتلال فلسطين بدلا من التضرعات والمراثي.

ان ما حققه هرتزل كان بفضل الشعور الديني وبفعل القوة المادية اليهودية التي برزت للوجود في تلك المرحلة وفي خط مواز للاتجاه الفكري كما سيأتي معنا .

من حيث القوة المادية

نلاحظ انه ، حتى القرن التاسع عشر ، كان اليهود يتاجرون بين الامم ويعقدون الصفقات ويربحون ارباحا طائلة كافراد ، دون ان تتمكن هذه الارباح من ارساء قاعدة تحرك جماعي لنصرة قضيتهم الباطلة .

غير ان الظروف ، ابرزت للوجود عائلة يهودية وهي عائلة روتشيلد ، كدعامة مادية اولى يرجع لها الفضل الاكبر في بعث الصهيونية الحديثة المنظمة ودعمها في جميع الميادين والاتجاهات حتى يومنا هذا .

ولما كانت هذه العائلة قد لعبت دورا رئيسيا في تحقيق اهداف اليهود ، كان لزاما علينا ، في هذا المجال ان نقدم للقارىء خطوطا عريضة عن نشأة هذه العائلة وتحركاتها ، علها تكون عبرة لمن يشاء ...

ان مسقط رأس عائلة روتشيلد هو مدينة « فرانكفورت سور مان » الالمانية . والشخص الذي عرفت به بشكل رئيسي يدعى « ماير امستل روتشيلد المولود عام ١٧٤٤ ميلادية .

بدأ ماير عمله بصفة موظف لدى احد اصحاب الاعمال في اوبنهايم الذي اعجب بذكاء الشاب فسلمه ادارة معظم اعماله . ولشدة اعجابه به ، قدمه الى بلاط الامير لانوغراف دي هيس مكثل له في المانيا وكان هذا الاخير ، تحت غطاء اعماله الرسمية ، يعقد سرا مختلف الصفقات التجارية بما يتلاءم وعقلية ماير ولذلك قدم اليه هذا الشاب .

وبالفعل سرعان ما ادرك ماير قيمة هذه الامارة الواضعة يدها على معظم الاعمال والصفقات التجارية ، فاصبح بفعل ذكائه واستعداده النفسي ، المحرك الاول لهذه الاعمال .

انجب ماير خمسة اولاد ، بعد ان استقر نهائيا في فرنكفورت بالتفاهم التام مع لاند غراف على تصريف اموره التجارية انطلاقا من هذا المركز الجديد . اما اولاده الخمسة فهم :

امستل ، ناتان ، سلومون ، يعقوب وشارل ، وكانوا كلهم يتعاونون في الاعمال التجارية بين فرنكفورت ولندن وباريس . لقد بدأوا اعمالهم براس مال بسيط نسبيا . ولكن سرعان ما اتسعت تجارتهم وقويت رؤوس اموالهم .

واترلو ـ الصفقة المذهلة

عشية معركة واترلو ، احست عائلة روتشيلد ان النصر لن يكون حليف نابليون لانه سيفاجأ بخدعة عسكرية بينما كان الرأي العام على يقين من نجاحه على الانكليز . فسارع اولاد روتشيلد الى شراء السندات المالية الحكومية المطروحة بين ايادي الشعب الانكليزي باسعار منخفضة جدا لان الاعتقاد السائد وقتئذ كان بنجاح نابليون ، مما سيجعل من هذه السندات حبرا على ورق .

وهكذا ، بعد ان اتم اولاد روتشيلد وبسرعة فائقة ، شراء اكبر كمية من السندات المالية المذكورة ، وكانت الحرب في اوارها ، ورد نبا سقوط نابليون في معركة واترلو . وعلى الأثر ارتفعت أسعار السندات التي اشتراها اولاد روتشيلد ، الى درجة خيالية .

وهذه الثروة الجديدة الهائلة مكنت فجأة عائلة روتشيلد من ان تدخل في لعبة الدول .

وبصدد تحرك روتشيلد الجديد يقول « قيصر كورتو » ان ولنغتون الذي كان يحارب في اسبانيا ضد فرنسا ، كان سيواجه صعوبات جمة في عملية تموين الجيش لولا مساعدة اولاد روتشيلد المالية له . وهذه المساعدات قد تلقاها بطرق غريبة عن طريق لندن ، ولولاها لانسحبت الجيوش الانكليزية من اسبانيا فتعرضت انكلترا الى احتمال نزول جيوش فرنسية على شواطئها .

ففي زمن المنازعات الاوروبية الداخلية تلك، كانت تعمل عائلة روتشيلد، فانفتحت امام اليهود منافذ جديدة، دفعة واحدة، دخلوا من خلالها في لعبة الدول. وكان لكل ذلك، الثمن الباهظ ماليا، بالاضافة الى النفوذ السياسي الذي اصبحوا يتمتعون به دون حساب، ما دام المال قد اصبح بلا منازع، عصب الدول الاوروبية الحساس، ومعظم المال متوفر لدى اليهود.

من هنا بالذات اتت القوة المادية لتدعم العقيدة الصهيونية في احتلال فلسطين، ولتثبت اتجاهات هذه العقيدة بزعامة رأس المال. فتحركت الصهيونية وفق قواعد عملية منظمة بينما كانت فكرة طوباوية نفسية، ومن نتائجها الفعالة المباشرة كان مؤتمر بال الصهيوني العالمي واعلان هرتزل، رئيس المؤتمر، «اليقين بقيام دولة اسرائيل».

ان هذه التحولات المفاجئة معا، ولولا هذا، لاستمر اليهود في التعثر والانغلاق على ذواتهم، وهذا ما يسمونه سر اليهود وليس فيه سر على الاطلاق.

وبفعل التنظيم الجديد بدأ انتشار رأس المال الصهيوني واستخدامه في المصارف العالمية فسيطروا على البورصة وعلى دور الاعلام، وكثير من المرافق الحيوية. وكانت ثروتهم تزداد باطراد ويترسخ نفوذهم المالي والسياسي بين الامم باطراد ايضا. وهكذا انتزعوا وعد بلفور من انكلترا عام ١٩١٧ وحصلوا على كل مساعدة لاحتلال فلسطين.

ولما كانت تحركاتهم هذه قد اعطتهم القوة الكافية، واحسوا بقيمة العلاقات الجديدة والخدمات التي يقدمونها للدول، دخلوا مؤخرا في لعبة الامم، كصهاينة ومرتزقة جشعين يقدمون المساعدات الى جميع الخصوم في العالم، ما دام الربح رائدهم بموازاة خط تدعيم المخطط الصهيوني.

وها نحن اليوم نرى ان الولايات المتحدة الاميركية ترث السياسة

الانكليزية في دعم قضية اليهود ومساعدتهم على الاستيطان والغزو فلا يهم الولايات المتحدة الاميركية سوى ارضاء اليهود على حساب مصالح اوفى حلفائها، والافادة من خدماتهم سواء في اعمال التجسس ام احياء الفتن بين الشعوب وغير ذلك.

لقد وعى اليهود قضيتهم كما يريدونها هم وعملوا على تحقيقها ونجحوا نسبيا حتى الان.

وها نحن وقد اوجزنا سيرة الشعب اليهودي بخطوطها العريضة يبقى علينا ان نتساءل: لماذا لا نزال نحن قاصرين عن خدمة قضيتنا خدمة صحيحة فعالة، لا بل نتعامى في كثير من الظروف عن المخططات التخريبية التي ينشرها اعداؤنا بيننا وعلى ارض وطننا، دون ان نتمكن من صدها او دحرها؟ ولبيان ذلك كان لزاما علينا ان نقابل بين مرتكزات القوة اليهودية ومرتكزات القوة العربية مستخلصين من هذه المقابلة وما ينشأ عنها، من تعليلات، ما يمكن ان ندعوه بمفهوم جديد لخدمة قضيتنا.

المعضلات العربية وكيفية معالجتها

مرتكزات القوة اليهودية (نظرة اليهود الى الحياة)

١ ـ النزعة النفسية الدينية المتزمتة جعلت اليهود كتلة واحدة ضد الامم.

٢ ـ الروح القبلية ، وقد اعتمدت على الثروة المنقولة فقط ، دفعت باليهود للانخراط في الاعمال التجارية مما ادى الى سيطرتهم على رأس المال.

٣ ـ العقيدة تقول: الغاية تبرر الواسطة ولذلك كانوا دوما عناصر تخريب بين الامم وافادوا من ذلك في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية ، ما دامت ليست لهم ممتلكات ثابتة يخشون عليها.

٤ ـ الولاء القبلي اليهودي ، اخضعهم خضوعا اعمى الى قادتهم.

٥ ـ العقوبات التي تعرض لها اليهود وهذا ما يسمونه « الاضطهاد » ثبتت تراصهم وولاءهم لقادتهم.

٦ ـ قوتهم المادية اجبرت الدول المحتاجة اليهم الى دعم مخططاتهم.

٧ ـ نفوذهم في اجهزة الاعلام في العالم رسخ قضيتهم في ذهن الرأي العام العالمي وفق ما ارادوا ان تكون هذه القضية.

٨ ـ عدد سكان اليهود في العالم لا يتجاوز ستة عشر مليون نسمة

يمثلون كتلة واحدة من حيث التجارة والاقتصاد والاتجاهات السياسية بين الامم.

متطلبات وقواعد القوة العربية

١ ـ عدد سكان العرب يناهز المئة والخمسين مليون نسمة.

٢ ـ موقع بلدان العالم العربي الجغرافي، يعتبر اعظم مركز استراتيجي في العالم.

٣ ـ ثروة العالم العربي النفطية اعظم من ثورة روتشيلد.

٤ ـ ثروة العالم العربي الزراعية تفوق كل تقدير فيما اذا احسن استثمارها.

٥ ـ مناخ الاقاليم العربية معتدل ومتنوع يساعد على كل نشوء وارتقاء حضاري.

٦ ـ العلم منتشر وللعربي شغف كبير بالعلم.

٧ ـ ازدياد عدد العلماء باطراد، ويستخدم الغرب معظمهم في اعماله.

٨ ـ الحضارة العربية منذ فجر التاريخ تعتبر مهد الحضارات في العالم، باعتراف علماء الغرب انفسهم

٩ ـ ثروة العالم العربي منقولة وغير منقولة معا مما يزيد من مناعتها.

١٠ ـ انفتاح العقل العربي على العالم فكرا وفلسفة وفنا. فهو انساني بطبيعته.

١١ ـ العالم العربي يعبد الها موصوفا بالرحمة والمحبة والسلام وهو اله جميع البشر شمولي كوني. فنظرة العربي للكون والحياة تختلف كل الاختلاف عن نظرة اليهودي.

والان نلاحظ من هذه الخطوط العريضة الاساسية ان القوة اليهودية تقوم على التعصب والشر بينما القوة العربية على الخير والانفتاح.

وليس الشر من الناحية الفلسفية كيانا قائما بذاته وانما نتيجة ضعف الرؤية ولذلك قال سقراط: المعرفة خير. فكلما اقتربنا من منبع النور اتضحت لنا معالم الحقيقة وكلما ابتعدنا عنه وقعنا في التخبط والسلبية اي في الشر. فهل العالم العربي بجميع شعوبه يسير في النور اي في درب الحقيقة؟ لو كان يسير في هذا الدرب، لما تخلف في السير ولكان استمر في طليعة البشرية علما وفنا وفلسفة. فكيف نتجه، كي نصل الى الحل الصحيح؟ ان ذلك يقتضينا استعراض معضلات العالم العربي بخطوطها الرئيسية العريضة.

المعضلات العربية وكيفية معالجتها

- ١ -

لا بد وان للرقعة الجغرافية دورا كبيرا في احتضان الشعب الذي استوطنها منذ فجر التاريخ وبنى فوقها حضارته وتراثه. والرقعة الجغرافية للعالم العربي مترامية الاطراف، من المحيط الى الخليج، وتعتبر معبرا لعدة قارات مما جعلها محط انظار الفاتحين منذ القديم حتى اليوم، كما وان مركزها الجغرافي الممتاز هذا، ساعد على انطلاق شعوبها القديمة في الميادين الفكرية والدينية والتجارية والصناعية الى ابعد الحدود وعلى رأسها الشعب السوري.

ولقد تعرضت هذه الرقعة الواسعة الى اطماع الدول وبفعل نتائج الحروب العالمية، توضعت فيها كيانات دولية صغرى، كانت بمثابة تمزيق لبنيانها على الصعيد الجغرافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي.

والشعار المطروح حاليا من قبل العروبيين هو وحدة هذه الاقطار اي شعار الوحدة العربية. وهذا الشعار يقوم على العاطفة الوطنية دون ان يرتكز على واقع يقوم على اساس نشوء الامم. لان السياسات المحلية، تحت مجهر السياسة العالمية خلقت تناقضات كبيرة بين الدول العربية في جميع بيئاتها

بالطريقة المطروحة تتعارض مع فكرة تحقيق الوحدة عمليا انها لا تخدم في الواقع الحالي الا على اساس افكار طوباوية بالدرجة الاولى وعلى اساس بعض المصالح المشتركة التي لا تفي بالغرض المنشود، انها تهمل علم نشوء الامم.

ان رقعة العالم العربي اشبه ما تكون بملكية واسعة يتقاسمها عشوائيا ابناؤها وبدأ كل واحد يدير حصته من الاملاك على هواه دون تنسيق كامل مع اصحاب بقية الحصص. ومن هنا ضاعت قيمة هذه الاملاك وضاع الانسان المتفاعل معها، لانه فقد انتسابه الاصيل الى هذا الارث والى طبيعته الانسانية، حتى بات يشعر وكان العالم العربي بجميع كياناته الحالية هكذا كان وهكذا يسظل. ومن هنا اتى الضياع.

- ٢-

ولما كان الانسان ابن بيئته التاريخية، فلم تقم امة من الامم الا على اساس التاريخ الذي صنعته وعلى اساس كبريائها القومي وتراثها المنتقل من جيل الى جيل.

اما التراث العربي، قديمه وحديثه في جميع الكيانات، ضائع بين الكتب العتيقة وعلى رفوف الوراقين، وبسبب تفكك العالم العربي في دويلات مصطنعة كما ارادها الاجنبي، اخذ الفكر العربي ايضا في التفكك وبسبب بعده عن اصالته توضعت في طياته نزعات وتيارات عديدة دون ان تستند واحدة منها الى علم نشوء الامم، فبرزت على لسان الكتاب والمفكرين نزعات متناقضة منها ما تقول بالعودة الى فجر التاريخ ومنها الى الفتح الاسلامي ومنها ما تقول بالانعزالية والعرقية. فليس ثمة من اجماع على وحدة الشخصية الا من خلال المذياع وهذه ابعد ما يكون عن الوجدان القومي السليم.

ان للتاريخ دورا كبيرا في حياة الشعوب ومستقبلها. ومن حركة التاريخ

الحضاري، نستطيع ان نحدد العقيدة التي يجب ان نعتنقها، والنابعة من صميم وجداننا القومي وعندئذ تصبح هويتنا واضحة وبالتالي عقيدتنا التي تتغذى منها الاجيال علما وفنا وفلسفة.

ولنأخذ عبرة من اليهود الذين لم يكن لهم تاريخ، فصنعوه ودونوه وزوروه واختلسوا تاريخ شعوب المشرق العربي وتبنوه ثم مزجوه كما ارادوا في عقيدة دينية خاصة، حتى تم لهم توحيد الكلمة وتوحيد نظرتهم المستقبلية. انهم صنعوا لهم تاريخا غير واقعي، بينما نحن اضعنا تاريخنا وتراثنا.

فالعودة الى فجر التاريخ كما يقول به علم نشوء الامم مطلب قومي لجميع الشعوب العربية ومفكري العرب والا ما الفائدة من المعارض الاثرية ودور المتاحف ومكاتب السياحة، اذا بقيت هذه الثروات القومية تصب في تاريخ غير تاريخنا القومي، وتحت الف لون ولون مزيف ومن هنا بالذات بدأت تضيع القضية واصبحت بين ايدي اكثر من عشرين دولة عربية تعيش في واقع غير واضح الاهداف ومدروس قولا وفعلا ويمثل هذا الضياع السياسي الدولي، ضاعت الشعوب العربية نفسها في خضم التيارات السلبية والاتجاهات السياسية المتناقضة في كل قطر من الاقطار القائمة. وبذلك ايضا انفصمت وحدة الحياة الاجتماعية وبرزت الولاءات القبلية والعشائرية والعائلية والطائفية والمذهبية والعرقية في الوقت الذي يجب ان تنصهر فيه هذه الولاءات جميعها في الولاء للدولة القومية في كل من هذه الكيانات.

وفي صميم هذه التخبطات القومية من قبل الشعب كان على الحاكم ان يحكم باسم الشعب وان يكون حكمه نابعا من الشعب والى الشعب، فكيف يمكن ان يتحقق ذلك على الصعيد القومي والمتحد، ما دام الشعب نفسه مغمورا بالتناقضات والمتطلعات المتباينة؟ ان الحاكم، والحالة هذه لا يمكنه ان يدير دفة الحكم الا على اساس التسويات فقط.

فالتربية القومية الصحيحة القائمة على حركة التاريخ وعلى البيئة في تفاعل ايجابي ودورة حياة اقتصادية اجتماعية واحدة، هي وحدها التي ترسم لنا

الطريق وتصل بنا الى الخلاص والهدف المنشود في ضوء علم نشوء الامم.

- ٣ -

ما دامت دراسة الانسان لا تقوم الا على اساس المثلث الطبيعي: الجسم والنفس (العقل) والمحيط، وجبت دراسة الانسان العربي في البيئة التي يخضع لها منذ فجر التاريخ وهي دراسة اولية لا يمكن تخطيها ومن هذه الخطوة تتوضح معالم السير في المستقبل.

ان رقعة العالم العربي الممتدة من المحيط الى الخليج تقسم بموجب التاريخ الحضاري والبيئة الى وحدات كبرى اولية. وتتألف هذه الوحدات من الاقطار المجاورة لبعضها البعض بحيث يسهل فيها تحقيق دورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية. فالعمل العربي الشامل، يبدأ في تحقيق وحدة الاقطار المجاورة، دون تجاوزها بالتعاون مع جميع بقية الاقطار. ولا يمكن لهذا العمل ان يتم الا على مراحل اي بانضمام قطر الى قطر حتى يشمل جميع الاقطار المتجاورة، على اساس حكم فيدرالي، في طريق وجدة هذه الاقطار واتحادها في نهاية المطاف في كيان بيئي واحد.

ووفق هذا المنهاج الواقعي تزداد مناعة الاقطار الموحدة فتفيد منها بقية الاقطار، قاضية تدريجيا على التجزئة الحالية وعلى الاختلافات في وحدة العمل والنظرة الى تحقيق استراتيجية موحدة كبرى.

وبموجب هذا العمل المرحلي المتواصل تتقارب تطلعات الشعوب العربية الى ان تصل بنهاية الامر، ومهما طال الزمن، الى مستوى حضاري واحد وعندئذ تتحقق تلقائيا وحدة الجبهة العربية دعامة اساسية للمتحدات القومية.

والدساتير العربية المعمول بها حاليا، يجب ان تنص على هذا المنهاج المرحلي حتى يصبح مطلبا شعبيا تلتزم به السلطة الحاكمة في كل قطر وتحاسب على كل تقصير في هذا المضمار.

وهذه الخطوات المشتركة يجب ان تبقى دوما في اطار الستراتيجية العربية ذات المصالح والارتباطات الواضحة لدى كل قطر، ودون هذا الانسجام الستراتيجي تقع الشعوب العربية في شرك الانقسامات كما هي عليه في الوقت الحاضر.

وعلى هذا الاساس، تتوحد لدى الاقطار المتحدة مناهج التعليم والانظمة الاقتصادية، كما تتوحد القوانين العامة والجمركية. ومنذ الان نرى ان الاقتصاد يجب ان يخضع الى المبدأ الاشتراكي القومي القائم على الضرائب التصاعدية والضامن لمبادرة الفرد في الانتاج من ضمن مصلحة المجتمع، وعلى اساس امكانيات وحاجات الشعب وضرورات مصلحة التصدير، وذلك وفق مصالح وامكانيات كل بيئة.

كما يجب فتح الحدود بين الاقطار الموحدة حتى تبدأ شعوب الاقطار بالتفاعل فيما بينها اجتماعيا واقتصاديا بحيث تفشل كل دعوة تفرقة في المستقبل لان الشعب عندئذ هو الذي يحول دون وقوعها.

وفي سبيل تنسيق الاعمال بين الاقطار المدعوة للوحدة فمن البيئة الواحدة يصار الى تمثيل هذه الاقطار بعضو عن كل قطر وهؤلاء الاعضاء يضعون بالتعاون مع حكوماتهم خطة عمل منسقة بالنسبة لجميع المرافق دون ان تتعارض فيها مصلحة اي قطر مع قطر آخر من جميع الوجوه، مع المحافظة على جميع الامكانيات ودفعها في طريق التنسيق والتطور. وكل ذلك ضمن اهداف الستراتيجية العامة.

واعضاء مجالس الوحدات الكبرى وبقية الاقطار يشكلون مجلس الجامعة العربية او الاصح الجبهة العربية فعندما يضع هذا المجلس خطوط الستراتيجية العربية فان اعضاء المجالس يوفقون عندئذ بين الستراتيجية العامة ومتطلبات اقطارهم من ضمن المصلحة العامة، تلك المتطلبات المدروسة مسبقا.

وعلى هذا الاساس يعقد اعضاء الوحدات الكبرى اجتماعات دورية خاصة بهم يرسمون فيها خطة عمل وحداتهم التي يمكن ان يدافعوا عنها ويلحظوا لها ما يلزم عند وضع التستراتيجية العربية الشاملة.

بمثل هذا المفهوم تتوحد النظرة العامة الشاملة في التربية القومية فتقل بالضرورة التناحرات السياسية بين الدول العربية التي منشؤها بالاساس اختلاف في وجهات النظر لا غير. كما تنتفي من بين صفوف الشعب ولاءاته القبلية والعشائرية والعائلية والطائفية والمذهبية لينتصر الولاء للدولة وللامة فقط.

- ٤ -

وفي سبيل وحدة الكلمة على اساس البيئة والمصالح المشتركة لا بد وان نتخلص مسبقا من العقد السياسية الموروثة وهي العامل الاشد فتكا في مقدرات الشعوب العربية.

نحن نذكر في هذا المجال قول بيغن رئيس مجلس وزراء اسرائيل عند لقائه بانور السادات في مخيم داود حيث قال:

« لقد اتفقنا على عدو لا يأتينا الا من الشمال ». وهذا يعني ان مصر ترث عداوة الشمال اي المشرق العربي فهذه العداوة كانت قائمة في التاريخ القديم وقد سجلت مصر بعض المخاوف على ارضها قبل اجتياح الهكسوس والاشوريين والمد الحثي. كما ان مصر كانت دوما طامعة بالقطر السوري لحاجات اقتصادية اختلطت بعض الاحيان بالمصالح العسكرية الامنية. ذلك كان في زمن الفراعنة وكانت له بعض المبررات اما اليوم فقد انقلبت الاوضاع راسا على عقب وبفضل التوازن الدولي والمفهوم الحقوقي للشعوب، اصبح الدعم يأتي لمصر من الشمال لا الخطر، واذا كان ثمة من خطر، فعلى اسرائيل وليس على مصر.

هذا ما يجب ان تفهمه مصر حتى لا تخشى من قيام دولة قوية منيعة في المشرق العربي، لا بل لتساعد على قيام مثل هذه الدولة، وباسرع ما يمكن.

وما نقوله عن مصر ينطبق على كل دولة عربية قائمة الان، لها موروثات سلبية بالنسبة لدولة عربية اخرى مجاورة او غير مجاورة. ان التعاون الايجابي هو وحده المؤدي الى خير العرب. ولنعلم ان اعداء العرب يغذون في كل سانحة هذه الموروثات ويوقظونها حتى تستمر النزاعات ويستمر تفتيت نضال شعوبنا.

كما علينا ان نتخلص من الانانية الدولية. فاذا كنا فعلا ننتمي الى عالم واحد، كان لزاما على كل دولة عربية ان تتحسس باوجاع اية دولة عربية اخرى، لتقدم لها المساعدات اللازمة، التي غالبا ما تكون مساعدات مالية - اقتصادية للنهوض بمستوى عيش ابنائها، وعلى اساس مشاريع ثابتة ومنتجة.

ان الحاكم الذي يرزح تحت وطأة الاقتصاد، تنزلق رجله في مهاوي اليأس والتردي ويصبح مستعدا الى طلب العون حتى من اعداء امته. ان مثل هذه الدولة يجب الا تبقى في العجز، وعلى الدول الغنية في العالم العربي ان تمد لها يد المساعدة الفعلية وعلى اسس علمية وافية للنهوض باقتصادياتها بصورة ثابتة. ان المعونات التي تقدم الان في مثل هذه المجالات، انما هي مساعدات سياسية وليست اقتصادية بالمعنى الصحيح، ولذلك لا تثمر ولا تغير من الاوضاع في شيء. وما ماساة مخيم داوود في ايامنا هذه، سوى مثل صارخ على ما حدث ويمكن ان يحدث في كل زمان، اذا ما بقيت الاوضاع على ما هي عليه الان.

وكما تخلينا بالامس عن مصر الى حد ما، تخلينا في الماضي القريب عن اجزاء سورية مثل كيليكيا ولواء الاسكندرون وفلسطين التي اصبحت ركيزة لعدو لا يرحم يحلم بوطن يمتد من النيل الى الفرات. فهل يجوز ان تستمر عقليتنا السياسية على ما هي عليه الان؟

ان الاقلاع عن الانانية الدولية والاحساس بالمصلحة العامة هو القمين بدرء الخطر والابتعاد عن حبائل الاعداء، علما بان النزر القليل من الثروة

النفطية على سبيل المثال، يمكن ان يسد هذه الثغرة بما يدفع بالاقتصاد القومي الى الاستقرار ودون اللجوء الى المساعدات المالية السياسية الموقتة.

فالانانية هي التي تفت في عضد الامة لتلتهم بصورة مباشرة كل دولة على حدى، الى ان تأتي بنهاية الامر على جميع الدول، بما فيها المترفة حاليا وهذا لن يطول الى ابعد من مئة سنة على وجه التقريب.

- ٦-

الانانية الدولية على الصعيد الشعبي، لها تأثيرات سلبية تفوق كل تقدير، فان اصداء هذه الانانية تتردد في نفوس ابناء العروبة في كل مكان وبخاصة شعوب الدول الضعيفة، فتولد الحسد والغيرة والحقد وكل ذلك ينسحب على الحياة السياسية والاجتماعية مما يباعد بين الشعوب بدلا من ان يقارب فيما بينها.

وتعتبر هذه السلبية من افظع السلبيات في التاريخ لانها تكون قد مست روح المجتمع لتتوارثها الاجيال تلو الاجيال، الى درجة، لا يمكن محوه الا على اسس سياسية ايجابية مباشرة تمتد الى اجيال واجيال.

الانانية هذه، هي علة العلل ويجب العمل على الا نجعلها تترسخ في ضمير الشعوب. ان الاجيال القادمة سوف تحاسبنا الحساب العسير على تصرفاتنا الحالية اللامسؤولة.

- ٧ -

ومن اجل الوصول بالدوله الى حل مشاكلها على اساس وحدتها الكبرى يجب عليها الا تخرج عن محورها والا ضاعت اهدافها وتردت في المتاهات القاتلة لسيرها القومي.

ان مجالس الوحدات الكبرى في ظل الستراتيجية العربية الشاملة، هي الضابط الواعي لكل تحرك سياسي. وعندما يصل صوت مجالس الوحدات، الى الجامعة العربية يكون هذا الصوت منبعثا من مصالح الوحدات هذه دون

ان يتعارض مع المصلحة العامة لجميع الشعوب العربية.

نحن نعلم جميعا ان مصر تعد اكثر من خمسة واربعين مليون نسمة، وهي تمثل كتلة شعبية هائلة في قلب العالم العربي سواء من حيث ستراتيجية الرقعة الجغرافية او القدرة التعبوية تحت السلاح وغيرها من المميزات، ومع ذلك انها ترزح تحت وطأة الحاجة الماسة الى العيش الكريم، لا بل هي في عوز وتنشد المساعدة من اي مصدر كان دون ان تأتيها المساعدة بشكل كاف ومنتظم.

فاذا سارت القضايا العربية على اساس الوحدات المجاورة الكبرى، سنرى ان السودان الذي يعد ما لا يزيد على ستة عشر مليونا، بينما رقعته الزراعية تكفي لمأتي مليون، يكفي وحده لانعاش مصر والسودان معا دون التطلع الى اية مساعدات خارجية من شأنها ان تعمق الهوة التي تسير نحوها، وقس على ذلك تكامل بقية الاقطار ضمن وحداتها الكبرى اي سوريا والجزيرة العربية ووادي النيل والمغرب العربي.

فما هذا الحيف في ترك الفاقة تتعايش مع الاهمال وكل ذلك باسم العروبة ؟ انها فعلا مأساة!...

\- ٨ -

وثمة موضوع اخر فائق الاهمية لدى كل دولة عربية وهو المغترب. فالعرب واكبر عدد منهم هو من السوريين - البنانيين، منتشرون في جميع اقطار العالم وبخاصة في افريقيا واميركا. ان انتشارهم هذا الواسع، يضاهي انتشار اليهود في العالم. غير اننا لا نحصل على الفائدة المرجوة من المغتربين. ان العربي ينصهر في بوتقة المغتربات تدريجيا من حيث الانتاج، وهذا يؤثر تدريجيا ايضا في نفسيته وتوقه الى الوطن الام، وبخاصة الاجيال التي تولد في المغترب، مما يشكل خسارة مزدوجة اي خسارة الوطن وانتاجهم المباشر، فيما لو بقوا على ارض الوطن، والخسارة الناجمة عن عدم الافادة منهم كما يجب ان تكون هذه الافادة.

لذلك وجب على كل دولة عربية ان تنشىء في ظل نظامها الحالي وزارة تحت اسم « وزارة المغتربين » تعنى بشؤون المهاجرين واحوالهم النفسية والمادية واللغوية مع الترغيب في العودة او عودة قسم من راس مالهم لاستثماره على ارض الوطن. وهذا لا يتم الا عندما نوفر للمغتربين الجو الملائم للعمل والثقة التامة بالستراتيجية العربية العامة والعمل التكتيكي في الوحدات الكبرى وعندئذ سيشتد حنينهم الى وطنهم، فيقدمون كل المساعدات اللازمة اقتصاديا وسياسيا. وخلاف ذلك سيمتصهم المغترب ويقضي على هذه الثروة البشرية الهائلة.

اما المعضلة الكبرى فانها نكبة فلسطين على يد اليهود بمعاونة الدول الاستعمارية في العالم. لقد تعرض جنوبي سورية (فلسطين) الى الاحتلال الاسرائيلي وهي تعتبر اكبر نكبة منيت بها الشعوب العربية حتى الان، كما انها تعتبر من ابشع جرائم التاريخ انها تهدد الكيان السوري والدول العربية.

لقد التقت على ارض فلسطين المطامع اليهودية والعالمية على السواء فكان الفكر اليهودي والعالمي (الغربي) يتعاونان على تنفيذ هذه الجريمة، بدقة ودهاء وتخطيط مسبق، لضرب العرب في ديارهم بعد ان فشلت جميع الاجتياحات القديمة والحديثة في احتواء او تمزيق الشعوب العربية وبخاصة شعوب المشرق العربي.

ولما كان العالم العربي يمثل اعظم مركز ستراتيجي بين الشرق والغرب، وكان يتمتع باوسع الثروات البترولية والزراعية، ويعد اكثر من مئة وخمسين مليون نسمة ومفتوحا على قارات ثلاث، كان لا بد وان يدخل هذا العالم في حساب الدول الاستعمارية، على الصعيد العسكري والاقتصاد والتجاري والاستهلاكي والستراتيجي الدولي. ان جميع هذه المميزات تجمعت لتشد اليها الاخطار، ولتصبح هدف كل غاصب طامع.

ولكن الاجتياحات العسكرية القديمة باءت كلها بالفشل وبقي هذا العالم

العربي محتفظا بجذوره لا بل متوثبا للنهوض فكان لا بد من مؤامرة من نوع اخر يخضع هذا العالم الى مشيئة الطامعين.

لقد راودت هذه الفكرة قادة الغرب على التوالي من نابليون بونابرت عام ١٧٩٩ - الى قادة بريطانيا عام ١٨٤٠ على اساس توسطهم لدى السلطنة العثمانية «لتسهيل دخول المهاجرين اليهود الذين تضطهدهم - كذا - حكومة القيصر الروسي، الى الاراضي المقدسة فلسطين» - الى تدخل القيصر الالماني في اقناع السلطان العثماني بتسهيل امتلاك اليهود لبعض الاراضي الزراعية في فلسطين - الى الجمعيات الاميركية في الولايات المتحدة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر داعية لمساعدة «اليهود المضطهدين في بلدان اوروبا الشرقية» - الى السماح في عام ١٨٦٩ الى اول سفينة روسية تحمل الى ميناء يافا الفوج الاول من المهاجرين الغزاة وعددهم قرابة مائة شاب يهودي بنوا لهم اول مستعمرة عند مدخل يافا عرفت باسم الدكتور نيتر - الى حماس اليهود للهجرة بتشجيع من يهود بولونيا عام ١٨٨٤ - واخيرا الى مؤتمر بال المنعقد برئاسة هرتزل حيث تم تنظيم الصهيونية العالمية وفق منطلقات جديدة، لدعم اقامة دولة اسرائيل.

وعلى اساس المنطلقات السياسية الجديدة للصهيونية، تتابعت حلقات الخيانة والتآمر باعلان الانتداب البريطاني على فلسطين في عام ١٩٢٠ بقرار من عصبة الامم، مما ساعد على ان يأخذ الغزو اليهودي لفلسطين شكلا جديدا من التنظيم والاتساع - الى تعيين اول مندوب سامي بريطاني وزيرا يهوديا معروفا بتعصبه الصهيوني وبدوره الكبير في التقريب بين وجهات النظر البريطانية واليهودية حول الحرب الاولى، بحكم منصبه الوزاري انذاك وهو المدعو «هربرت صموئيل» الذي عمل على تنفيذ وعد بلفور باغتصاب اراضي العرب الزراعية وتسليمها لليهود - الى اعطاء اليهود اراضي الدولة وباسعار زهيدة لبناء المستعمرات والمؤسسات - الى انشاء الوكالة اليهودية التي اعترفت بها بريطانيا ممثلة لليهود وكانت «بمثابة حكومة مستقلة ضمن

حكومة الانتداب في فلسطين » ـ الى السماح لليهود من قبل بريطانيا باستغلال مياه نهر الاردن ليقيموا عليه مشروع « روتمبرغ » لتوليد الكهرباء ـ الى حق استغلال مياه بحر الميت لاستخراج البوتاس ـ الى مساعدة اليهود على انشاء الجيش اليهودي المؤلف من منظمات الهاغانا والبالماخ والايرغون ـ الى تقديم السلاح، سواء ابان الانتداب او بعده.

وامام هذا المد التآمري على حقوق الشعوب، كان لا بد لعرب فلسطين من المقاومة وبجميع اشكالها. فقد تظاهروا واضربوا واحتجوا وكان اضراب فلسطين الشهير قصة من قصص النضال الشعبي العنيد، استشهد فيه المئات من الشباب في شوارع القدس ويافا وصفد وطبريا، في معركة الشرف ضد القوى المتفوقة، التي دفع بها الانكليز واليهود لسحق المقاومة.

ولما وجد الفلسطينيون ان هذه الاساليب غير مجدية عمدوا الى استخدام السلاح فكانت ثوراتهم المسلحة واشدها في عام ١٩٣٥. وهكذا بدأت الثورة واتسعت ضد اليهود والانكليز حتى شملت معظم مدن فلسطين. انها معركة الشرف وقد استمرت حتى عام ١٩٣٩ عشية الحرب العالمية الثانية رغم كل التدمير الذي الحقتها القوات العدوة في المدن من نسف للبيوت واعدام المجاهدين بالجملة.

ورغم هذه التضحيات الغالية كانت الحكومات العربية تقف من هذه الثورات موقف التردد وعدم الاحساس العميق بالواجب، فكانت مساعداتهم للثوار دون مستوى المعركة.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وفي مرحلة تضعضع القوى النازية، احس اليهود بان المانيا النازية ستنهزم، وان مرحلة جديدة تواجههم للتخطيط الى اغتصاب فلسطين. ولما كانت قد دخلت عوامل جديدة على الوضع الدولي، عمد اليهود الى اظهار قوتهم امام الراي العام العالمي فنظموا عدة عمليات عنف كنسف بعض الدوائر البريطانية في فلسطين واغتيال وزير

بريطاني في القاهرة وخطف بعض الجنود الانكليز.

ولا يمكن ان نعلل مثل هذا الارتداد ضد الانكليز، الا لاسباب دولية سببتها نتائج الحرب العالمية الثانية، علما بان الولايات المتحدة الاميركية بدأت تساعد اليهود على تنفيذ مخططاتهم، كما ان بريطانيا بدأت تعمل حسابا للعرب الذين بمنظورها السياسي لن يقفوا مكتوفي الايدي ازاء اعتداءات الصهاينة.

انها كانت فرصة العرب الذهبية لو عرفوا استغلال ذلك التردد من قبل انكلترا والظروف الدولية الحاسمة، ولكنهم كعادتهم لا ينظرون الا الى وراء متعامين عما سيحدث في الغد.

في حمأة هذا التخبط، قررت بريطانيا ان تحيل الامر كله الى الامم المتحدة في نيسان ١٩٤٧. وعلى اثر ذلك ارسلت المنظمة الدولية لجنة لدراسة الامور في فلسطين، كان من نتيجتها ان لوحت بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود كما اوحى فريق منها باقامة دولة اتحادية للعرب واليهود.

بعد ان قدمت اللجنة اقتراحاتها الى الجمعية العامة للامم المتحدة، تقرر التقسيم بتاريخ ٢٥ - ١١ - ١٩٤٧ وكان ذلك تحت الضغط الاميركي المتواصل وبرضاء الاتحاد السوفياتي.

ومن هنا بدأت الولايات المتحدة الاميركية ترث تدريجيا السياسة الانكليزية في التعاطف مع اسرائيل ودعمها باستمرار حتى يومنا هذا.

ولما رفض العرب قرار التقسيم بدأت كتائب الجهاد تنظم في القدس ويافا وصفد وعكا وبدأت تقاتل في المدن والقرى ببسالة.

ولقد اشترك مع الفلسطينيين في القتال جيش الانقاذ الذي جهزته الجامعة العربية، ورغم ذلك لم تتوقف المخططات اليهودية الانكليزية الاميركية. فبعد ان انتهى الانتداب الانكليزي في ١٥ -٥ - ١٩٤٨، تم لليهود بمعونة الجيش الانكليزي احتلال عكا وحيفا ويافا وصفد وبيسان

وطبريا ومعظم احياء القدس وطردوا اصحابها الشرعيين قبل زوال احكام نظام الانتداب.

وفي ١٥ ايار من عام ١٩٤٨ كان العالم يتوقع زحف الجيوش العربية لسحق المعتدين. غير ان السياسة العالمية الانكليزية اليهودية الاميركية لعبت بهذا الزحف المرتقب باساليبها المغطاة بالف لون ولون، الى ان انتهت المقاومة باعلان اربع اتفاقيات هدنة، مع مصر والاردن ولبنان وسورية بواسطة الامم المتحدة. فتحقق لليهود اقامة دولة عنصرية متعصبة دخلت منظمة الامم المتحدة في عام ١٩٤٩ بتأييد من الاسرة الدولية وبتشجيع ظاهر منها.

بعد هذه الجولة الفاشلة بسبب غياب مضمون المسألة الفلسطينية من نفوس العرب وعقولهم وبسبب تعدد المشارب والاهواء، استجمعت اسرائيل انفاسها بعد ان خبرت المضمون العربي اكثر من السابق، فكانت حرب السويس ومن ثم نكبة حزيران عام ١٩٦٧ وبعدها حرب تشرين عام ١٩٧٣ التي استرجعت للجندي العربي بعض ارادته للقتال والدفاع عن الحدود.

وفي كل جولة كانت تربح اسرائيل ويخسر العرب، وها هي الان تساوم العرب على اراضيهم سواء في سيناء او الضفة الغربية او الجولان وتشد بأزرها الدول الغربية وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية دون اي تردد او وجل من رد فعل الدول العربية المنتشرة من المحيط الى الخليج. ان سورية وحدها هي الموجودة في خط المجابهة الاول والضغط كله يقع على سورية دون سواها للركوع امام اسرائيل والسياسة الدولية.

ونحن نعلم الان ان اسرائيل والدول الحامية لها، لا تشرع في تنفيذ مخطط تفيد منه اسرائيل الا بعد ان تفرغ المنطقة من القوى العسكرية والسياسية. فالحرب اللبنانية الدائرة منذ عام ١٩٧٥ والحرب العراقية الايرانية والفتن الداخلية في سورية والسعودية والبحرين والكويت وغيرها، كلها من شأنها

تفريغ الطاقة العربية من كل مقاومة ، وتجعل اسرائيل اكثر تشددا في المساومة ، ولتحصل على المزيد من الاراضي المغتصبة كما هو الحال اليوم في لبنان. وما موقفها الان من المباحثات المصرية المترديةفي البطء والمساومة واعلانها ضم الجولان ورفض اقامة دولة فلسطينية والتخلي عن القدس ، والتشبث بعدم الانسحاب من لبنان ، سوى مطالب تفرزها الظروف السياسية العربية الخانعة تحت وطأة الانجرار وراء القوى المعادية والتخلي عن السيادة القومية .

انها مأساة العصر ولا يمكن للاجيال القادمة ان تغفر لنا مثل هذا الهروب الوضيع .

ان تردي الشعوب العربية امام الاطماع الاسرائيلية ومؤامرات الدول الاستعمارية ضد العالم الغربي ، مستخدمة اسرائيل كبؤرة اعتداء وتخريب . كل ذلك ما كان قد حدث لو ان العرب وعوا قضيتهم منذ مطلع القرن العشرين . ومن المؤسف ان هذا الوعي لم يتحقق حتى الثمانينات من هذا القرن ، ولذلك نحن شهود على التجزئة والانهيار وضياع الاقتصاد والثقافة والاجيال الطالعة .

فلو وعينا قضيتنا لكانت قدرتنا على الدفاع عن ارضنا وتاريخنا اصلب وامنع ، ولما استطاع العدو ان يفتت هذه القوى باسرع مما كان يقدر .

لا تقوم اسرائيل وفق التخطيط الموضوع لها ، باية عملية عدوانية الا بعد ان يتم التمهيد لها منذ وقت طويل . وها نحن اليوم نشهد فصلا هائلا من فصول المأساة ، وهي قضية الصلح مع اسرائيل وهذا الصلح قد مهدوا ليكون على مراحل . حتى لا يواجه العدو القوة الكاملة العربية مجتمعة ، فكانت مبادرة الاستسلام المصرية . وما اوشكت هذه المبادرة ان تنتهي ، ونحن نعتقد انها لن تنتهي الا ان راح ضحيتها من تبرع لها منفردا دون سائر اخوانه من حكام وملوك العرب ، وما اوشكت المباحثات تصل الى عتبة بقية القضايا المعلقة وهي الجولان والضفة الغربية والقدس والفلسطينيين

المشردين، حتى راينا الالغام تستمر بالتفجر في لبنان وسورية وبين سورية والاردن والعراق وسورية واشدها بين العراق وايران وفي قلب المملكة السعودية، وكل ذلك لانهاك السياسة العربية حتى لا تصل الى حلبة النقاش، الا وهي شبه مدمرة وفي خوف على مستقبل كياناتها الحالية. انها خطة محكمة بين اصابع الدول الكبرى واداتها الفعالة اسرائيل. فهل نعي هذه الحقيقة او اننا نستمر في تجاهلها خوفا على مصالحنا الشخصية؟ هذا هو السؤال الذي نطرحه على كل عربي حر جدير بالحياة.

فما العمل اذن وكيف يمكن ان ننقذ ما تبقى لنا من تراث؟ ان قوتنا لا تزال صامدة في وجه المغتصبين ولا تزال الاوراق الرابحة بين ايدينا. فلتحسن استخدام هذه الاوراق في لعبة الامم التي اغرقت جميع الامم الضعيفة في لجتها لتبقى السيطرة للدول العظمى تتحكم كما تشاء بمقدرات الشعوب وفي مقدمتها شعوب ما يسمونه بالعالم الثالث.

الفكر السياسي الاسرائيلي
مرحلة ما بعد حرب ١٩٦٧

في الصراع الحالي الدائر بين العرب واسرائيل، علينا ان نفهم جيدا عقيدة العدو السياسية والحربية حتى نستطيع ان نخطط لما سيقع ونحول دون المفاجآت التي قد تطرأ ولا نستطيع بعد حدوثها الا مقاومتها وذلك بردود فعل اضعف من ان تؤدي الى نتائج حاسمة او بأقل تقدير مرضية. وهذا ما نقع فيه دوماً منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم.

ففي مجال دراستنا هذه تحت عنوان «اضواء» لا بد لنا من ان نتطرق الى ما ينطوي عليه الفكر السياسي الاسرائيلي في قلب العالم العربي وكيف يعمل لكسب جولته النهائية على ارضنا السورية.

من اجل ذلك، راينا من المفيد ان ننقل للقاريء العربي ما اتى على لسان احد مفكري اليهود المدعو «وولتر لاكور» في كتابه المعنون «الحرب الحقيقية ليوم الغفران» وهو يمثل الفصل الاخير من هذا الكتاب بعنوان «الاعوام المقبلة» والجدير بالذكر ان هذا الكتاب صدر عام ١٩٧٤ اي في السنة التالية لحرب تشرين عام ١٩٧٣ يقول الكاتب:

«حتى زمن قريب، جرت العادة ان يعقب الحروب، مؤتمر يؤدي الى معاهدة صلح. ووفق التقاليد الحقوقية الدولية كنا نعيش اما في حالة حرب واما في حالة سلم.

قبل الحرب العالمية الاولى، كان ممثلو المعسكر المغلوب، يعاملون بكل لياقة. واذا كانت الحرب قصيرة المدى فان مؤتمر الصلح يتم بسرعة. وعلى عكس ذلك اذا امتدت الحرب على مدى طويل فان معضلات عديدة تبرز على الساحة وفي هذه الحال ان حل المعضلات يتطلب وقتا طويلا.

وفي الواقع ان معظم الحروب التي حدثت بعد عام ١٩٤٥، لم تنته بموجب معاهدة سلام صحيحة ومرد ذلك الاهمال، او اسباب اعمق من ذلك بكثير. فعلى مدى التاريخ، يبدو ان تسوية بعض النزاعات الحربية كان صعبا مثل الحروب الجماعية حيث لا يتمثل العدو بزعامة فرد او بحكومة، وانما بكل فرد من افراد المعسكر المعادي.

ورغم ان حرب الثلاثين، انتهت بموجب معاهدة سلام، الا ان الدين في مثل هذه النزاعات، لا يمثل سوى سبب واحد من جملة بقية الاسباب العديدة.

فالى اي مدى يا ترى، يعتبر العرب نزاعهم مع اسرائيل بمثابة حرب دينية او حرب تحرير وطني بالمعنى الحديث؟

اذا تطلعنا الى الايام المقبلة، شعرنا فورا ان المستقبل لا يوحي بالاطمئنان. فمؤتمر الجزائر الحديث اعلن ان غاية هذه الحرب بالنسبة للدول العربية هي اعادة حقوق الفلسطينيين، وان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. وهذا المفهوم انما هو مستقى من نصوص المؤتمر الوطني الفلسطني المنعقد في شهر تموز من عام ١٩٦٨ الذي يقول ان قيام اسرائيل يعتبر لاغياً وغير واقعي وهذا يعني بالضرورة ان مؤتمر الجزائر يقول ايضا بازالة اسرائيل.

بموجب هذه الشروط يصبح اشتراك اسرائيل بهذا المؤتمر لا نفع منه، مهما تعرضت له من ضغوط.

ولحسن الحظ يوجد فاصل بين ما يسمى اماني ووقائع، حتى في اهداف

الحرب الناتجة عن تحركات دينية او ما يشبه ذلك، ولولا هذا لما راينا الكاثوليك والبروتستانت يتعايشون حتى الآن، او الاسلام والمسيحيين او الشيوعيين وغير الشيوعيين.

وفي مؤتمر السلام في جنيف، اكتشفت اسرائيل انه حتى الى الحد الذي وصل اليه النزاع، يمكن ايجاد تسوية. ففيما يتعلق بمصر، يبدو ان مؤتمر السلام سيمتد الى ابعد من المنتظر، بينما يعتبره بقية العرب سابقا لاوانه، لكونهم غير مستعدين نفسيا حتى ذلك الحين، لقبول وجود اسرائيل ناهيك عن وضع الحدود. وهذا يدل على ان جنيف لا تشكل سوى بداية لطريق طويلة تتخللها المؤتمرات والازمات والضغوط والتهديدات والانقسامات وعودة النزعات العدائية، ومن ثم الى مساومات جديدة...

ان دراسة وجهات النظر المتعلقة بالصلح بين اسرائيل والبلدان العربية انما تعني اعادة كتابة تاريخ الشرق الاوسط بدءاً من حرب الايام الستة، فمحاولات التسوية السلمية طويلة الامد ومعقدة جداً وفي نهاية المطاف، تبدو غير مجدية.. اننا نرى ان ورقة عمل روجرس ويارينغ وكثير غيرهما، كلها ذات طابع اكاديمي لا غير الا اذا طرأ ما يجعلها صالحة لاغراض جديدة اخرى.

ان تاريخ هذه المفاوضات المثبطة للآمال، يترك قضايا عديدة معلقة وفي مقدمتها السؤال عما اذا كانت اسرائيل فوتت عليها بعض الفرص التي ربما كانت تسمح باقامة صلح مع جيرانها؟

من الواضح ان اسرائيل لم تهمل اية نافذة للصلح يمكن للعرب ان يفتحوها، مع العلم انه لم تمتد اليها اية يد لهذه الغاية، وانه لم يوجد واحد على الاقل يعد بالصلح حتى ولو بشرط تراجع اسرائيل.

ولكن في سبيل الكشف عما اذا كان من المستحيل التوصل الى اتفاق مع مصر شرط تجريد سيناء من السلاح وذلك على سبيل المثال، او ان مثل هذا

الاتفاق قد لا يؤدي الى عدم نشوب قتال مرة ثانية، فالمسألة من هذه الزاوية تأخذ مجرى آخر.

نرى انه، بعد حرب ١٩٦٧، كان من المعتقد ان حربا قد تندلع من وزاء حدود تلك المرحلة، الامر الذي يعرض اسرائيل للخطر، هذا مؤكد ولكن هذه الحجة تكون مرفوضة ان لم تستند الى دراسة اكثر عمقا. فقد اكدوا ان سيناء بعد ان تجرد من السلاح، تصبح منطقة انذار اكثر مناعة من منطقة السويس، كما يجب الا ترفض فكرة قيام مصر بهجوم جديد.

حقا ان زعماء مصر كانوا يواجهون مشاكل عديدة داخلية وخارجية، فكان من المفروض، الا تقع حرب ١٩٧٣، الا في حالات حرجة لا بديل معها للحرب. فكان من الممكن ان نسمع خطابات عدائية، وتهديدات ووعود زعماء مصـر بهدم دولة اسرائيل في يوم من الايام. غير ان مصر نفسها لا تشعر شعورا ملحا باسترجاع الارض المحتلة مما يخفف مع الزمن من وطأة النزاع، كما كان من الممكن والحالة هذه ابرام اتفاق مع الاردن.

المصالحة مع سوريا عقيمة

اما بالنسبة لسورية ففكرة المصالحة معها كانت عقيمة حقا، غير ان سورية المنعزلة لن تشكل خطـراً، وهـذه الحالـة تنطبـق على منظمـة فتـح وخصومها الذين سيواصلون هجماتهم الشكلية من الجهة الاخرى للحدود، وكان بامكانهم تحويل مسار خطوط الطيران وقتل بضعة يهود دون ان يتعرض وجود اسرائيل لاي خطر. كما ان الزمن كان سيساعد الفلسطينيين كي يفهموا ان ليس بامكانهم الاعتماد على الحكومات العربية وان عليهم في نهاية المطاف بقبول اسرائيل.

في ذلك الوقت، كانت جميع هذه التصورات تشكل خطورة بالنسبة لمن يدعون فهم النفسية العربية. ولكن كان من المفروض ان يلحظ إثر ذلك ان المنظمات الارهابية لم يكن يساورها سوى خوف واحد وهو ان سياسة اللين

الممكن ان تتبعها اسرائيل قد تنفي عن هذه المنظمات مبرر وجودها. وفي هذا المجال قال ياسر عرفات.

« لنشكر الله من اجل ديان » ولقد كتب بعد انكسار ١٩٦٧ ما يلي:

« بعد نكبة ١٩٦٧ كان الرأي العام العربي المنهزم اليائس على استعداد للتوقيع على الصلح بأي ثمن كان. فلو ان اسرائيل بعد انتصارها الصارخ، اعلنت ان ليس لها مطامع توسعية وسحبت جيوشها من الاراضي المحتلة مع الاحتفاظ ببعض المواقع الستراتيجية الضرورية لامنها » فان المشكلة كان بالامكان حلها ».

وبالتأكيد كان عرفات يبالغ، فالمسألة لم تكن قابلة للتسوية ولكن كان من الممكن ايجاد فرص للتراجع وفرص للسلام انما لم يحسن استثمار هذه المرحلة وذلك لاسباب عديدة اهمها ان اسرائيل تقبل بأسوأ الاحوال ما دام ذلك لا يعرض حياة يهودي واحد للخطر. ومثل هذا الوضع لا يصعب فهمه في ضوء التاريخ الحديث للشعب اليهودي.

لقد هدد زعماء العرب بازالة اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ بسنين عديدة وهي تصاريح يجب عدم اخذها باستخفاف.

لقد اتخذ عرب الخرطوم موقفاً ثابتاً وكان على اليهود ان يحذوا حذوهم لان كل موقف آخر سيفسر ضعفا من قبل اسرائيل.

كانت الحدود ما قبل الحرب، بين اسرائيل والاردن على مدى ٣١١ كلم طولا، فاضحت بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧، على مدى ٨٧ كم الى امام.

كما كان الاردنيون قبل الحرب على بعد ٣٠ كم من تل ابيب والمصريون على بعد ٨٠ كم ولكن بعد الآن اصبح المصريون ابعد بمئات الكيلومترات واصبح الاردنيون وراء ضفة الاردن.

كان يمكن للطائرات الاسرائيلية ان تصل الى القاهرة خلال بضع دقائق ولكن في الوقت الحاضر، يلزم للمصريين وقت اطول بكثير للوصول الى تل ابيب، كما كان يمكن لاسرائيل ان ترفض التخلي عن هذا الخط فيما لو اخذت برأي الاقدمين: «الى ذريتك اعطي هذه الارض...» (تكوين ١٥ ـ ١٨) وبرأي الكثير من النبوءات.

في بداية الامر لم يدخل في خلد اي اسرائيلي الاحتفاظ بالاراضي المحتلة اثناء حرب الستة ايام. ولذلك عارض ديان الوجود الاسرائيلي على القنال بقوله: «اذا بقي الجيش على القنال فالحرب لن تنتهي ابداً..» هكذا صرح ديان عام ١٩٦٧ وهذا يعني توضيع الخنجر على رقبة مصر. وكذلك ابا ايبان، فقد حذر بلاده من مغبة نشوة النصر، كما صرح اكثر من مرة، بن غوريون بضرورة وجود قوة عسكرية قادرة ومع هذا لن تكون كافية لضمان مستقبل بلاده. فكان ينشد حلا سياسياً الا وهو التراجع عن الشاطىء الغربي ضمن شروط. كما كان يعتقد ان سيناء يجب الا تبقى بين ايدي الاسرائيليين.

كانت الحكومة الاسرائيلية منقسمة على ذاتها بالنسبة لمخطط الون ذلك المخطط الذي يرمي الى الاعتراف للعرب بالحكم الذاتي. ولكن مع مرور الزمن كان اليأس يستحوذ على ديان وغولدا مايير وغاليله وحكام آخرين في تطلعاتهم الى تسوية سلمية.

فاذا كان العرب غير مستعدين للحوار، كان على اسرائيل ان تبقى متصلبة والا تتنازل عن شيء تحت الضغط. وهذا التشدد في اسرائيل كان يزداد حتى بالنسبة لبحث شروط اتفاق ما.

فعندما يصبح العرب مستعدين للدخول في مفاوضات مباشرة مع الاسرائيليين فهؤلاء يقدمون عندئذ مقترحات محددة من اجل معاهدة الصلح. وهذه السياسة كانت تقوم على مبررات تاريخيه ولكن دون ان تخلو

من اخطاء كبيرة، لانها كانت تجهل ان النزاع العربي الاسرائيلي ليس قائما على مجرد بقعة محلية صرف وان المساعدة الاميركية لاسرائيل لا تقاس بالدعم السوفياتي للعرب.

كانت الولايات المتحدة الاميركية تدخل في حسابها مصالحها الاخرى في الشرق الاوسط، بينما الاتحاد السوفياتي يستطيع ان يقدم المساعدات الى حلفائه العرب دون حساب. وهذه السياسة قللت من شأن قوة الجيوش العربية الحقيقية المدعومة من قبل الروس منذ عام ١٩٦٧. كما انها بالغت في تأثير حالة الاسترخاء كما انها لم تدخل في حسابها اهمية سلاح النفط المتصاعد، ذلك السلاح الذي في حال استعماله، كان سيؤدي الى عزل اسرائيل على المسرح الدولي.

فكانت اوروبا واليابان على استعداد للتضحية باسرائيل مقابل النفط العربي فالتوازن الدولي كان يمكن ان يتغير وهذا لن يكون لمصلحة اسرائيل. ان دولة عظمى كان يمكن لها ان تراقب بهدوء مثل هذا التطور، ولكن ذلك يستحيل على بلد صغير الا اذا كان لديه سلاح فعال وكان على الاخص يستطيع الصمود، الى ما لا نهاية له، في وجه الضغوط السياسية والاقتصادية. ولذلك قامت السياسة الخارجية الاسرائيلية على عدة فرضيات خاطئة. ولذلك ايضا كانت حرب ١٩٧٣ مفاجأة لاسرائيل التي لم تكن تتوقع مثل تلك الحرب قبل انصرام عشر سنين على حرب ١٩٦٧، على اقل تقدير.



الفكر السياسي الاسرائيلي
بعد حرب ١٩٧٣

بعد حرب ١٩٧٣ ظهرت في اسرائيل بوادر فكر جديد حول النزاع العربي الاسرائيلي وحول وجود وسائل تؤدي الى اتفاق. ومثل هذا التطور عبر عنه سيل من المقالات والخطب المتناقضة. فالبعض كان يقول بضرورة ابرام معاهدة دفاع بين اسرائيل والولايات المتحدة، والبعض بانشاء مجلس امن وطني. وراي ثالث كان يدعي لنفسه اولوية التفكير بمقدار عمق النزاع العربي الاسرائيلي ورابع كان يقول بانشاء وزارة اعلام دينية فكانوا يبحثون دون انقطاع الفرص التي اضاعتها اسرائيل عسكريا. فمنهم من كان يقول ان كان على اسرائيل متابعة حرب استنزاف حتى عام ١٩٧٠ وغيرهم يقول بضرورة دعوة الاحتياط قبل ٦ تشرين الاول، كما بعضهم كان يقول فيما لو اعطي الضوء الاخضر الى اريبل شارون باجتياز القنال في ٩ تشرين الاول. كما قال اخرون: فيما لو ان كيسنجر لم يستعجل في توقيع اتفاق ٢٠ تشرين الاول. مع الروس...

ان المقترحات التي طرحت كانت مقبولة وقتئذ ولكن بعد بضعة اسابيع ظهرت اولى بوادر الدروس المستخلصة من حرب تشرين بكل اتساعها وعمقها وهذا التحليل الذاتي وافق بدء الحملة الانتخابية التي كانت تحتم على الاحزاب تحديد سياستها الخارجية.

ركز حزب حيروت حملته الانتخابية على انتصار الشعب الاسرائيلي

العسكري رافضاً ان يدافع عن فشل الغرب فوق حقول النفط العربي. ولكن هذا الحزب كان يرفض في نفس الوقت « انه حزب يريد الحرب » ورغم كل ما تعرض له من انتقادات بقي اجدر من اتحاد العمال لتحقيق السلم. غير انه كان ينقصه القليل من الرقة في الاجابة عن بعض الاسئلة مثل: هل يتمسك بسياسة عدم التخلي عن شبر من الاراضي المحتلة ؟ او هل كان يقبل بقرار هيئة الامم؟ وهل كان مستعداً لحضور مؤتمر جنيف؟ بينما كان الاحرار انصار حيروت في حزب ليكود اكثر تساهلا مع الاحتفاظ ببعض الامتيازات لاسرائيل مقابل الصلح.

فكان من نحو يدور الخلاف بين الاحرار على نوع هذه الامتيازات. ومن نحو آخر كان ينطوي برنامج حزب العمل على اربع عشرة نقطة توضحت نهائيا في عام ١٩٧٣ وكانت ثمرة حلٍّ وسط بين الاتجاهات المتعارضة.

وفي مقدمة هذا البرنامج نقرأ مايلي:

يجب ان ندخل في حسابنا الدروس التي يمكن اخذها من حرب يوم « الغفران » فكان يطالب بحدود آمنة مبنية على تسوية جغرافية دون الرجوع الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧. ثم ان البند العاشر من هذا المنهاج يؤكد على ان الصلح مع الاردن يمكن ان يتم على اساس قيام دولتين مستقلتين: اسرائيل وعاصمتها اورشليم ودولة عربية في الشرق.

ان الصقور في قلب حزب العمل كانوا يؤكدون ان منهاج غاليلة المعمول به عشية الحرب لم يهمل تماما. وبالفعل تضمن برنامج العمل الجديد نقطة تقول بضرورة متابعة اقامة المستعمرات في الاراضي المحتلة « وفقا لقرار الوزارة التي تعطي الاولية الى الامن الوطني ».

وفي المجمل فان النقاط الاربع عشرة كانت تؤلف نصرا « للحمائم » وبالتالي التخلي عن المطالب المتطرفة التي سبقت الحرب. وبفعل الصدفة.

اعلن عن هذه المطالب في نفس اليوم الذي فيه اعلنت مطاليب المعسكر الثاني التي عبر عنها مؤتمر الجزائر على لسان رؤساء الدول العربية. فقد اعتبر هؤلاء ان الكفاح ضد الاجتياح الصهيوني مسؤولية تاريخية طويلة الامد تتطلب الكثير من التجارب والتضحيات. ان وقف اطلاق النار ليس معناه السلم، والسلم نفسه يتطلب شروطا عديدة اثنان منها اساسيان بصورة مطلقة: انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة، وبالدرجة الاولى من اورشليم، واعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني كاملة. وقد بدا وقتئذ ان السادات قد ربح القضية في الجزائر، لانه لم يثر فيه اي اعتراض على اجراء مفاوضات مع اسرائيل. علما ان مؤتمر الخرطوم في عام ١٩٦٧ سبق ورفض كل مفاوضة. والبيان الذي نتج عن اجتماعات هذا المؤتمر اعلن ان المؤتمر كان ناجحا، ولكن العراق وليبيا قاطعتاه منذ البداية حتى ان سورية كانت ستقرر عدم الاشتراك في مؤتمر جنيف ما دامت وحدة العرب غير تامة. وبعد اسابيع كان المتطرفون يرفضون باطراد قبول قرارات الجزائر فقد اعلن راديو بغداد يوم الجمعة الواقع في ٢١ ك - ١ ١٩٧٣، يوم افتتاح مؤتمر جنيف،: ان « الجماهير لا تشعر بانها مرتبطة بانظمة الخيانة والاستسلام المتمثلة في مؤتمر جنيف» كما ان اذاعة طرابلس وقفت نفس الموقف معلنة: « ان حكام الامة العربية (السادات) يعتقدون بان هذه الامة خاضعة لهم الى حد يمكن شتم كرامتها دون الخوف من غضبها ».

الانتخابات الاسرائيلية

لقد جرت الانتخابات في اسرائيل بنهاية عام ١٩٧٣، وبموجب نتيجة التحقيقات التي جرت في ايلول الماضي، لم تكن النتائج مختلفة عما كان يمكن ان تكون عليه في حال عدم حدوث الحرب.

ان حزب اتحاد العمال المنقسم على ذاته خسر كثيرا من الاصوات. فكانوا ينتقدون في قلب الاتحاد السيدة مايير ودايان، متهمين السيدة مايير

بعدم المرونة وتقديرها للاحوال الدولية. فلولا ضرورات المعركة الانتخابية كان يمكن للسيدة مايير ودايان ان يضطرا الى تقديم الاستقالة ما دامت الاكثرية لا تؤيدهما. حزب ليكود ايضا ليس له ان يفخر بنتيجة الانتخابات: فاذا كان حزب بيغن لم ينجح على خصومه في هذه الظروف المثالية، فلن يحرز النجاح مطلقا الا اذا حدث انفجار في قلب حزب العمل.

فالحملة الانتخابية كانت مشوشة لان الناخبين لم يواجهوا وضعا يمكنهم من اختيار واضح. ولقد كتب احد الصحفيين الاسرائيليين في هذا المعنى قوله: « ان الذين يريدون دايان كان عليهم ان يشتروا بيغن » فحيال اختيار واضح لم يكن للانتخابات ان تأتي بنتائج حاسمة.

كان بيغن مرتاحا الى حد ما لعدم تحمله مسؤوليات كبرى ففي حال نجاحه كان عليه ان يقدم امتيازات الى جنيف تناقض وعوده الانتخابية. ففقدان وحدة الرأي في داخل البلاد كان سيجعل مهمة ممثلي اسرائيل في جنيف صعبة للغاية، وذلك بعد الشروع في المفاضات. ان معالجة امر الحرب او السلم في اسرائيل كانت ستستمر وبدرجة قاسية. ومثل هذا الاتجاه في الرأي العام كان سيجعل حرية المناورة من قبل اسرائيل محدودة في ذلك المنعطف التاريخي لكيانها.

وحول هذه الامور كتبت صحيفة الايكونوميست اللندنية قولها: « ان الانتخابات تمنع كل حكومة من اخذ قرارات رئيسية تفرضها مفاوضات جنيف ». وحالة من هذا النوع لا يمكنها ان تدوم طويلا، وربما نتجت عنها اختلافات جديدة او حتى انتخابات جديدة او الاثنتان معا.

مؤتمر جنيف

بدأ مؤتمر جنيف يوم الجمعة الواقع في ٢١ كانون الثاني في جو من

التفاؤل الحذر. وقد سبق ان اعلن الرئيس نيكسون قبيل انذار تشرين، ان التصورات لم تكن في يوم من الايام مشجعة اكثر مما هي عليه الآن. كما ان الدكتور كيسنجر عند افتتاح المؤتمر، دعا للعمل من اجل «فرصة سلام تاريخية».

وهكذا ايضا، كانت تسمع اصوات مشجعة، كما ان القاهرة نفسها كانت تتحدث عن «خيوط امل» ومثل هذا التفاؤل كان من طبيعة ما يعقب كل حرب حيث تبدو صورة السلام اكثر لمعانا في الافق، فتكون عندئذ جميع الاطراف من الناحية النفسية، اكثر تقبلا لشروط كانت في السابق مرفوضة.

ولكن خلف التفاؤل الرسمي، ومنذ البدء، بدت شكوك عميقة مع مطلع مؤتمر جنيف. وتعود هذه الشكوك الى عدة اسباب، يمكن ارجاعها الى قاسم مشترك واحد وهو معرفة امكانية، تحقيق سلم منفرد (او تسوية) بين مصر واسرائيل وهل يكون هذا السلم لامد طويل؟ هذا ما كان يبدو ممكنا وهذا ما يفسر حصر القسم الاول من المؤتمر بالقضايا المعلقة بين مصر واسرائيل. ومثل ذلك لا يعني مطلقا انه كان بسبب انفكاك القوى المتحاربة بين هذين الطرفين.

في بدء المؤتمر، ظهرت امكانية تخطي الصعوبات في حال عودة سيادة مصر على سيناء وذلك في حال قبول مصر بمبدأ نزع السلاح بصورة فعالة. وبناء على ذلك لن يبقى سوى صيغة شكلية لتحديد المنطقة المجردة من السلاح الاسرائيلي، بالاضافة الى موضوع غزة وشرم الشيخ، علما بأن كلا الخصمين لا يرغب في تحمل مسؤلية غزة.

فاذا افترضنا ان اسرائيل انسحبت تدريجيا من سيناء وان المصريين قبلوا بمبدأ نزع السلاح، فعندئذ يمكن ان يقع اتفاق بين الطرفين بعد مفاوضات حادة. غير ان اسرائيل تقبل بصعوبة الانسحاب من الاراضي المحتلة مقابل

فقط اتفاقية هدنة، ومن هنا بالذات، « تبدو الصعوبات الجمة، الا في حال عدم امتداد المفاوضات الى هذا الحد.

لقد اكدت مصر الى حلفائها العرب انها لن تقيم معاهدة سلم مع اسرائيل الا تحت شرط انسحابها من كل الاراضي العربية واعادة الحقوق الوطنية للفلسطينيين. فمن الناحية الرسمية لا تعني هذه الصيغة سوى ازالة اسرائيل. ولكن يمكن ان تفسر على وجه آخر، كما يمكن الشك من جهة اخرى في نوايا مصر نحو قضية حلفائها.

لقد مر على مصر ٢٥ سنة وهي تتحمل وحدها عبء القتال مع اسرائيل بينما الاحساس بالقضية العربية في القاهرة هو اقل مما عليه في بقية بلدان العالم العربي.

ان عبد الناصر والسادات، في نزاعهما مع اسرائيل، تلقيا تأكيدات شفهية عديدة بالدعم والنصائح العديدة التي لم يطلباها ولكن في الواقع العملي لم تتناول مصر سوى مساعدة رمزية.

كما انه يوجد لدى سورية والعراق شعور عدائي نحو مصر، اذ يطمعان في السيادة على العالم العربي.

لقد صرح القذافي مرارا عديدة ان مصر منحطة وفاسدة كما ان التعاطف بين الجزائر ومصر ليس على ما يرام.

والمصريون من جهتهم يعتبرون شعوب سورية والعراق نصف برابرة، كما انهم لا يكنون للفلسطينيين سوى الاحتقار.

ورغم ان لمصر بعض الروابط المشتركة مع البلدان العربية، الا ان لها طبيعة خاصة من عدة وجوه كما ان الفكر السائد حاليا يضع مصالح مصر في المرتبة الاولى.

كانت حرب الستة ايام صدمة وقد اتفقت الكلمة في مصر على ضرورة ازالة عار ١٩٦٧ على ارض المعركة واعادة سيناء. ولكن عندما تتحقق هذه

الاهداف، لن تصبح مصر بحاجة الى ان تكون البطل رقم واحد في القتال مع اسرائيل. والجيش المصري يتحرق للقتال من اجل الاسماعيلية ولكن ليس بهذا المقدار من اجل نابلس وطولكرم، مع تحفظه في اظهار ذلك الى اخوانه العرب، مع الاستمرار في التأكيد على ان الهدف النهائي هو تحرير فلسطين بكاملها. ومن هنا والى عدة اجيال سيستمر جريان الماء في نهر النيل والاردن.

بعد عام ١٩٦٧ ، وبنوع خاص بعد موت عبد الناصر، كان يجب على اسرائيل اقامة هدنة منفردة مع مصر وهي نفس السياسة التي يجب ان تقوم بالوقت الحاضر غير ان العقبات جمة. فمصر تعاني من الفقر الشديد وتعتمد على المساعدات المالية التي تأتيها من المملكة العربية السعودية ودول الخليج. وهذه البلدان، لاسباب مختلفة، ترغب في اطالة امد الحرب مع اسرائيل من جملتها انها تضمن لهم حماية ضد النزعات التي تهدد كيان هذه الدول. وحقا يقال ان موقف السادات هو اقوى اليوم مما كان عليه قبل الحرب ولكن ذلك لا يكفي. ان معاهدة ما تقوم بين اسرائيل ومصر اذ من الممكن بعد الان ان تقع مجابهات. كما ان احتمال دخول مصر في حملة جديدة ضد اسرائيل متوقع، هذا اذا خلق السوريون والفلسطينيون، جوا مؤاتيا وطالبوا بالتعاون العربي.

ثم اذا افترضنا ان مصر بقيت محايدة، فان زعماءها سيتهمون بالخيانة في العالم العربي وسيتهمون بالجبن او بأكثر من ذلك. وفي هذه الشروط يصعب على الحكومة المصرية التخلي عن العالم العربي.

واذا كان اتفاق ما مع مصر يشكل اخطارا كبيرة فان الفرضيتين الاخريين تشكلان خطرا ادهى. فالاولى لا تقدم شيئا والثانية تدعو للانصياع الى اتفاق مقبول من قبل عرب فلسطين. فاذا ما قوبلت هذه الفرضيات مع نتائجها الممكنة فان التحول الى مصر يصبح امرا منطقيا. ومثل ذلك يتطلب تحولا نفسيا وبصورة جذرية.

تعتبر مصر عدوة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ولكن ما دامت مصالح البلدين لا تتناقضان، فمن المعقول ان تقوم صلات طبيعية بينهما ان لم نقل صلات صداقة.

والعالم العربي سيصبح مسرح محاور عديدة في السنين المقبلة رغم ان ذلك لا يبدو هكذا تماما في الوقت الحاضر. وقد لا يكون مستحيلا على اسرائيل ان تخرج من عزلتها الحالية فتدخل في لعبة سياسية في الشرق الاوسط لتتحالف مع عدة بلدان عربية ضد بلدان اخرى.

ان الفرضية الثانية قد اشير اليها باختصار فيبقى اذن التصدي للاعصار برفض اي انسحاب عندما ينفك ارتباط الجيوش بعضها عن بعض. واذا صدق القول ان كل تراجع اسرائيلي يشكل بالضرورة المرحلة الاولى في تفتيت البلاد التدريجي، فيكون والحالة هذه من الافضل قبول تجربة القوة ومنذ الآن.

وعلى كل حال ستكون اسرائيل وحدها. وليس من داع في ان تتوافق مع الرأي العالم العالمي ما دام ليس بالامكان اقناع هذا الرأي العام، وهذه الفرضية ترتكز في الواقع على ان الولايات المتحدة الاميركية وقد تتعرض هيبتها للخطر في هذه اللعبة، تجد نفسها غير مهيأة للتضحية باسرائيل. وستؤدي مثل هذه السياسة الى حرب جديدة وبعد فترة وجيزة لا تتعدى بضعة اشهر، لان السادات يتعرض بالوقت الحاضر الى ضغوط كثيرة في داخل بلاده مما يحتم عليه ان يسجل شيئا ما ايجابيا او ان يعود للحرب. ومثل هذا النزاع سيكون طويلا ومتعبا واما الحظ في النصر فسيكون لاسرائيل في النهاية، ذلك لان اسرائيل تقاتل في سبيل وجودها الامر الذي ليس كذلك بالنسبة للعرب.

ويفكر البعض الآخر، انه من الخطر على اسرائيل ان تعمل بترو فالقواعد الدولية المتعارف عليها تسمح للقوى العظمى بابتلاع البلدان

الصغيرة مثل إسرائيل وعلى أن تكون لها حدود آمنة .فيطلب اذن من اسرائيل ان تتقيد بهذه المفاهيم وان تعمل بمشيئة الكبار على غرار ما تعمل اوروبا في سبيل نفس النتائج .

ولكن ماذا يحدث اذا قامت اسرائيل بعمل لا عقلاني ، على غرار ما يقوم به منتجو البترول والارهابيون العرب ؟

ان ذلك سيثير اشمئزاز الجميع. فستهدد روسيا وبعض البلدان بقطع علاقاتها مع اسرائيل. ومن ثم تضغط واشنطن على اسرائيل ، وهذا كل ما سيحدث لا اكثر .

ان السنين المقبلة ستشهد انقلابات سياسية كبيرة في العالم وربما سقوط اوروبا او عكس ذلك او ربما نهوضها من جديد وهو اقل احتمالا .

كما يمكن ان تنشب حرب بين روسيا والصين . وستخضع العلاقات الدولية الى شريعة الغاب. فان لم تأتلف اسرائيل مع هذه التطورات ، يكون مقضيا عليها تقريبا . لذلك يجب ان تبدو صلبة غير مكشوفة الاهداف والى حد ما غير عقلانية .

هذه الترجمة الدقيقة لسياسة الصلابة لا يمكن اجمالها تطبيقا للمبدأ القائل ان في السياسة كل امر ممكن ، دون المبالغة في تقدير فرص النجاح. ان اسرائيل تقلل من تقدير اهمية ارتباطها العسكري والاقتصادي بالولايات المتحدة وتبالغ في تقدير دعم الولايات المتحدة لاسرائيل مستقبلا .



المسألة الفلسطينية في الفكر الاسرائيلي

تبقى مسألة الاتفاق مع الفلسطينيين، وهو الحل المثالي من جميع الوجوه لان هذه المسألة هي لب الموضوع. فيجب على الاسرائيليين والفلسطينيين ان يتوصلوا الى اتفاق يؤدي الى قيام دولة فلسطينية على الضفة الغربية من نهر الاردن، وقبول اسرائيل بعودة قسم من الفلسطينيين واقامة الباقين منهم في اماكن اخرى. ان مثل هذا الحل ينهي النزاع دفعة واحدة ولكن ليس ثمة من امل في احتمال قبول منظمة فتح والمنظمات الفلسطينية بمثل هذا الحل. ان هدفهم الاساسي يبقى تدمير « الدولة الصهيونية ».

الفلسطينيون يمنعون عن الاسرائيليين حتى تقرير المصير وهو بالنسبة لمنطقهم واقعي ما دامت اسرائيل بنظرهم لا تشكل امة. فهم عندما ينادون بالدولة الفلسطينية الديموقراطية العلمانية » عوضا عن اسرائيل، انما يعنون « الدولة العربية » التي فيها يتم دفن الاسرائيليين في مقابرهم الخاصة. ان منطق فتح والمنظمات الفلسطينية الاخرى لا يستند الى ثورة اشتراكية دولية ولكن الى قومية متزمتة وبذلك تبدو ضحالة فكرة تروتسكي التي تقدر ان اسرائيل ستدخل في اتحاد اقتصادي سياسي في الشرق الاوسط على اساس اشتراكي ».

ومهما كان هذا الهدف مقبولا او غير مقبول على المدى الطويل، فانه غير قابل للتحقيق الا اذا اعتبرنا ان الاشتراكية هي مرادف للوطنية المتطرفة والتعصب الديني.

يمكن لفتح تحت ضغط وتوجيه الاتحاد السوفياتي، ان تقبل بالدولة الفلسطينية على الضفة الغربية من الاردن واكثر احتمالا غزة. من نحو آخر ان اكثرية سكان هذه الدولة الفلسطينية العربية، في حال قيامها وبغض النظر عن مشاعرهم نحو اسرائيل، لن تشن حربا على اسرائيل لانها تعرف جيدا ان بلادها تكون عندئذ معرضة للاضرار علما بان دولة عربية فلسطينية من هذا النوع لن تستطيع العيش اقتصاديا ولذلك ستنحاز الى بقية الدول العربية والاتحاد السوفياتي. فسياسة هذه الدولة ستقررها العناصر المتطرفة وليس المسالمة. وبذلك سيعتبرون الضفة الغربية نقطة انطلاق لمتابعة الكفاح ضد اسرائيل.

ويمكن القول مسبقا ان عن هذه الدولة الفلسطينية العربية ينشأ صراع على النفوذ من قبل مختلف المنظمات الفلسطينية.

ومن هنا ايضا لن يكون من المحتمل انتصار « حزب السلام » ولا تهدئة اوضاع الارهابيين في مستقبل قريب، ما داموا لم يحصلوا على كامل اهدافهم، وهذا يعني بالنسبة لهم خيانة مثلهم، فكل ما يقدر حدوثه من اقامة دولة عربية فلسطينية هو مجابهة اسرائيل الدائمة مع هذه الدولة (التي يدعمها الاتحاد السوفياتي والدول العربية) دون ان تؤدي الامور الى حرب شاملة مما يجعل الفلسطينيين في نهاية الامر يقبلون بالدولة اليهودية.

ان مستقبل عرب فلسطين يكمن في لب هذا الخلاف. واذا لم يوجد حل لهذه المسألة فالقضية العامة تبقى دون حل. ان دول عظمى حسمت مثل هذه المواضيع بالقوة مثل طرد المان اوروبا الشرقية وهو اقرب مثال اليه تاريخيا. ولكن ذلك غير مقبول بالنسبة لبلدان صغيرة ومن هنا تبرز عقدة مباحثات مؤتمر السلام.

فاذا اردنا البحث في « مؤتمر سلم واقعي » ضمن هذه الشروط، علينا عندئذ ان نتجاهل الرأي العام او ان نتجاهل اطلاقا القضية. فاذا كانت امكانية وقوع سلم حقيقي لن تتحقق الا بعد وقت طويل، فانه يوجد اليوم

دون شك كما كان في عام ١٩٦٧، فرصة جديدة لعدم اشعال النزاع وبالتالي عدم وقوع حرب اخرى.

ومثل هذه السياسة تتطلب قبول المطاليب المصرية الرئيسية وهي التراجع التدريجي لقوات اسرائيل عن قسم كبير من سيناء والاعتراف بالسيادة المصرية على معظم شبه الجزيرة هذه.

واذا لم تتحقق هذه المطاليب فان الحرب ستنبعث من جديد بين مصر واسرائيل. دون ان يتمكن احدهما من احراز النصر. فالمخرج الوحيد اذن، هو ان يفرض سلم من قبل الدول العظمى وهذا لن يكون لمصلحة اسرائيل.

ان صحفا عديدة اكدت منذ امد طويل ان مثل هذا الحل يـؤدي الى سلام في الشرق الاوسط، لان جميع المروجين للنزاع لن يصبحوا قادرين على ذلك بعد ان يكون اصابهم الضعف العسكري والاقتصادي، فاذا ما تمت التسوية مع مصر فسيصبح الحل المفروض اكثر قابلية للتحقيق.

لم يحضر الكبار مؤتمر جنيف الا فوق مقاعد صغيرة ومع ذلك لن يدوم هذا الوضع طويلا اذا عاد القتال او طال امد المساومات.

ان سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل متناقضة وتشبه الى حد كبير سياسة روزفلت تجاه ازمة التشكيك عام ١٩٣٨. انهم يريدون ان تكون اسرائيل دولة قوية ولكنهم يطالبون مقابل ذلك باحتكارات جمة. حتى يمنعوا، ولو مؤقتا، نشوب حرب في الشرق الاوسط.

والاتحاد السوفياتي من جهته يريد العودة الى قرار هيئة الامم المتحدة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ اي القرار الذي يقول بانشاء دولة عربية فلسطينية حيث يكون للسوفيات فيها النفوذ الاول. وهذا بطبيعة الحال يرمي الى هدف في مستقبل بعيد. ثم ان اتفاقا مع الولايات المتحدة في هذا الاتجاه، غير ممكن التحقيق في مستقبل قريب، وزيادة على ذلك لم تظهر اية نية من كل من الفلسطينيين العرب والسوريين والعراقيين، ان المتطرفين

العرب وحدهم يتابعون رفض وجود دولة يهودية مهما كان حجمها ويعتبرون قرار هيئة الامم في عام ١٩٤٧ غير مقبول.

بمثل هذه الشروط ان تعنت العرب سيخلق اللعبة الاسرائيلية وفي مثل هذه الحال لا يستطيع الاتحاد السوفياتي الدفاع عن تسويته المقترحة.

وفي الاوساط العربية المتنفذة مثل حزب البعث العراقي والسوري يعتقدون ان ازالة اسرائيل تتم على مرحلتين. والمسألة الوحيدة المشكوك بها هي الفترة الفاصلة بين نهاية المرحلة الاولى وبداية الثانية. وهذه السياسة قد شرحها هيكل في مقال له في جريدة الاهرام في شباط من عام ١٩٧١، فهي تتركز على ازالة اثار عدوان عام ١٩٤٨. وذلك بازالة اسرائيل نهائيا. وبرأيه ارتكب زعماء العرب خطأ وهو محاولتهم انهاء النزاع بتصفية المرحلة الثانية قبل الاهتمام بالاولى.

وفي اول ايار من عام ١٩٧٢ صرح السادات في الاسكندرية انه لن يكون بعد الان « سلام او نصر » دون تصفية كاملة لاسرائيل.

ان مثل هذه التصاريح عديدة ولا شك في ان الزعماء العرب يقولون ذلك بجدية، كما كان يقول كرومول حيث كان يسمي الاسبان « العدو الطبيعي القدري » غير ان الفكرة الصليبية بكل اسف ليست ابدية فغالبا ما تفشل في الوصول الى هدفها.

واذا ما عدنا الى الموضوع المتعلق بيوم الغفران فيتنبأ هيكل بوقوع حرب خامسة وسادسة لا بد وان تؤدي بالنتيجة الى ازالة اسرائيل. وفي خطاب للرئيس السادات بتاريخ ٢ حزيران ١٩٧١، قال في نفس المعنى « ان الحرب الصليبية العربية لن تنتهي قبل استرجاع الاراضي المحتلة وهذا سيدوم الى عدة اجيال ».

ان الذين يجهدون النفس في ارهاب عدوهم، يجهلون غالبا مفعول الزمن الذي ينتهي بتفتيت الاعمال والنيات في آن واحد. فللتهديد حدود وما دام الوجدان العربي يخيم عليه « الخطر الاسرائيلي » فان وحدة

الكلمة ضد العدو قائمة. ولكن ما دام العدو اصبح اقل خطرا، فان النزاعات الداخلية قائمة، والايديولوجيات المختلفة والشخصيات البارزة، كلها التي سبق للصهيونية ان وحدتها، ستظهر ثانية، وذلك لان بعض البلدان العربية ستصبح قريبا في ثراء كبير بينما الاخرى مقعدة وهذا بالتأكيد من شأنه ان يزيد في هذه الخلافات القائمة.

كما ان شبح روسيا ستشتد وطأته على الشرق الاوسط مما يغير في اتجاهات العرب. سنرى ان اول دول النفط التي ستزداد مطاليبها ستصبح اقل شعبية بالنسبة لدول العالم، فعليها منذ الان ان تحمي مصالحها ووجودها ضد اخطار اعنف واكثر واقعية من خطر اسرائيل. وهذا لا يعني ان اسرائيل ستكون بمعزل عن عداوات المجانين والمتعصبين.

في يوم الجمعة الواقع في ١٨ كانون اول من عام ١٩٧٤ وفي نفس مخيم نقطة الحدود رقم ١٠١ كم حيث تم توقيع الهدنة قبل ذلك التاريخ بشهرين ونصف، وقع كل من الجنرال داود اليعازر رئيس اركان الجيش الاسرائيلي والجنرال محمد الغني غماشي باسم مصر، على اتفاق فك الارتباط بين قواتها. فانسحب الجيش الاسرائيلي الى غربي ممر ميتلا وجيدي وهي منطقة مصرية عرضها من ٨ الى ١٢ كم تقع على الشاطىء الشرقي من قنال السويس اما الفاصل بين الجيشين فقد عبأته قوات الامم المتحدة. وبموجب هذا الاتفاق كان على المصريين في شرقي القنال وعلى الاسرائيليين غربي الممرات ان يحدوا من تواجد قواتهم وسلاحهم. وبموجب ذلك تصبح صواريخ ارض جو محرمة.

وقد اتسم هذا الاتفاق بانه خطوة نحو السلام وليس اتفاقا نهائيا وذلك بموجب قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨.

وعلى الاثر ابرق دايان معربا عن ارتياحه لهذا الاتفاق كما ان السادات اعلن من جهته الى الصحفيين ان هذا الاتفاق تاريخي اذ وضع حدا لحالة لا حرب ولا سلم واضاف:

« ان مهمتنا لم تنته بعد ولن تنتهي ما دامت منطقتنا غير محررة بكاملها ». ولكنها في خلال ذلك سبق ان عانق كيسنجر وهو يناديه « ليس فقط صديقي ولكن اخي ».

كان هذا الاتفاق ثمرة شهرين متواصلين من الجهود غير المثمرة في جنيف وثمرة اسبوع كامل من الضغوط الدبلوماسية المكثفة كان خلالها كيسنجر يتنقل بين مدام ماير والسادات فلم يكن من السهل تحقيق هذا الاتفاق مما حدا بكيسنجر للقول « كانت هذه المباحثات من اصعب ما مر علي في حياتي » فاذا كان مثل هذا الاتفاق المحدود تطلب كل هذا الجهد، كم يكون من الصعب التوصل الى اتفاق حول القضايا الرئيسية؟

كان فصل القوات من الناحية العسكرية ضرورة ملحة، فاذا ما استطاع وضع حد لعودة القتال، فانه يرجيء وقوعه بعض الوقت. ان ربح الوقت هو المهم. ويبقى ان نرى اذا كان بالامكان الافادة من ربح الوقت هذا.

مناقشة للفكر الاسرائيلي
واقتراحات لاستراتيجية عربية شاملة

في الحلقات السابقة عرض الكاتب نماذج من الفكر السياسي الصهيوني، كما ورد في كتاب «حرب الغفران» الحقيقية» لوولتر لاكوز وفي هذه الحلقة (الاخيرة)تعليق ومناقشة لما ورد في الحلقات السابقة، وخلاصات تكشف السياسة العدوانية الصهيونية مع جملة مقترحات تشكل بمجملها «استراتيجية عربية شاملة داخليا وخارجيا».

رغم ان مضمون هذه الدراسة واضح لكل قارىء عربي، لا بد لنا من ان نستجلي بعض القواعد الرئيسية للفكر الاسرائيلي المتعلق بالنزاع الاسرائيلي العربي في هذه المرحلة التاريخية بالذات.

- ١ -

في مقدمة هذه الدراسة لا يتطرق الكاتب الى تبيان اسباب النزاع الذي أدى حتى الآن الى عدة حروب. انه يعرض المسألة وكأنها نزاع على بعض المصالح بين دولتين قائمتين لم تتوصلا الى حل بشأن هذه المصالح، فأدى ذلك الى اللجوء للحرب والقوة. بينما النزاع الحالي قائم على اساس معتد اجنبي على ارض عربية فهو اجتياح عسكري بكل ما في الكلمة من معنى واعتداء عسكري بكل ما في الكلمة من معنى واعتداء صارخ على حق شعب في ارضه وحريته وهو الشعب السوري.

ان الكاتب يهمل عن قصد طبيعة النزاع فهو يكتب للغربيين بالدرجة الاولى وكأن الغربيين مناصرون له في هذا الاعتداء، لا بل هو وسيلتهم للنيل من كرامة العرب على ارضه ووطنه. ان الاعلام الصهيوني يركز دوما على هذه النواحي حتى لا يرسخ في ذهن العربي انه معتد لا بل على العكس يريد ان يفهمهم انه مظلوم ومضطهد ولا يستطيع ان يسترجع امنه في الحياة الا عن طريق القوة والحرب وبمساعدة الدول الغربية نفسها. وهذا ما يهمله العرب في اعلامهم اهمالا مخزياً.

- ٢ -

وبعد هذه المقدمة المقتضبة، يدخل الكاتب السياسي في صلب الموضوع الذي يهمه بالدرجة الاولى وهو التحري عن الحل للنزاع الاسرائيلي العربي بعد ان اجتاحت اسرائيل الارض وشردت القسم الاكبر من اهلها وهم يعيشون منذ عشرات السنين في الخيام تحت وطأة قسوة الطبيعة والحرمان. ان خيام الفلسطينيين المشردين قد شهدت عدة اجيال تدور في حلقة مفرغة. وفي دوامة السياسة الدولية، لا تجد امامها سوى المعتدين والطامعين ولا تعيش الا على معونات المتآمرين على حقها في العيش والحياة.

وهذه النقطة بالذات يهمل الكاتب السياسي شرحها وعرضها عن عمد وتصميم لانه يعتبر وهذا ما اتى على لسان العديد من زعماء اليهود ان فلسطين ارض بلا شعب، ولذلك كانت تحركات اليهود على ارض فلسطين انما من اجل اعمار الأرض التي هي بزعمهم أرضهم. واذا ما اخذنا بهذا المنطق، لماذا لا تكون إذن فلسطين رومانية أو يونانية أو صليبية الى ما هنالك من اجتياحات دخلت الى هذه الأرض ثم جلت عنها، كما حدث لجميع دول وأمم العالم في الشرق والغرب حتى الآن .

- ٣ -

والكاتب وهو يستعرض النزاع الاسرائيلي العربي لا يجد مخرجا له صحيحا من هذه الازمة لان محور النزاع قائم على حقوق الفلسطينيين

المشردين واعادة حقوقهم الوطنية وهذا ما يقول به الفلسطينيون والعرب على السواء. وهو يعتبر ان تحقيق مثل هذا المطلب انما يعني ازالة اسرائيل.

وفق هذا التصريح يدين الكاتب السياسي نفسه اذ فيه اعتراف بان هنالك شعبا مشردا. ثم اختلاس أرضه بالقوة وهو يطالب باسترجاع ارضه ويدعمه في ذلك العرب ابناء جلدته، ان الكاتب يصمت ازاء اعتداء بني قومه على فلسطين ويريد بعد هذا الاعتداء ان يجد تسوية للنزاع محتفظا بكل مختلساته واعتداءاته. وهو مبدأ يدين به اليهود وفقا للعقيدة الصهيونية الحديثة التي تقول: «ان الحق يكمن في القوة».

- ٤ -

يعتمد الكاتب في فكره السياسي على الفاصل الزمني بين الاماني والوقائع وهذا يعني بالنسبة له ان الزمن سيضعف من الاماني التي لم تقترن بوقائع او بمعنى آخر ليس ما يتمناه المرء يمكن ادراكه اذا ما حيل دون ذلك بشتى الاساليب ما دامت: «الغاية تبرر الواسطة» فهو يعتمد على المناورة وعامل الزمن ولا تجوز مثل هذه المناورة لولا مساعدة الغير اي مساعدة الدول العظمى.

على اساس الاماني والوقائع يتراءى للكاتب وجهان في العالم العربي: مصر وبقية الدول العربية، فيعتبر ان مصر لا تستطيع ان تستمر في نزاع طويل الامد على عكس بقية البلدان العربية: التي بموجب نظرته «لا تقبل نفسيا بوجود اسرائيل ناهيك عن وضع الحدود» وكأنه يريد ان يقول ان مصر غير متعنتة وهي مستعدة للمصالحة. وما دام العرب على هذا الانطواء فان مؤتمر جنيف غير مجد ولا يمكن ان يأتي بثمرة. وهذا اعتراف ايضا ان اسرائيل غير مستعدة للاعتراف بحقوق الفلسطينيين وهو تكريس للاعتداء.

- ٦ -

امام هذه التعقيدات التي منشؤها اطماع اسرائيل، يريد الكاتب ان يبرىء ذمة اسرائيل. متسائلا عما اذا كانت اسرائيل اهملت بعض النوافذ المؤدية

للصلح. وهو يجيب عن ذلك بقوله ان اسرائيل لم تهمل اية سانحة في هذا السبيل وان العرب لم يمدوا لها اية يد ، فهي مراوغة واضحة.

ان من لا يعرف تاريخ اعتداء اليهود على ارض فلسطين. تغرب عن ذهنه قواعد الصلح ومتى يمكن ان يتم الصلح بين فئتين متخاصمتين. فالاعتداء الاسرائيلي اجتياح ارض وطنية من قبل عدو اجنبي وهذا الاجتياح لم يتوقف لحظة واحدة منذ عام ١٩٤٨ وما قبل حتى اليوم ولن ينتهي فاسرائيل لم تقف عند اي حد واطماعها لا حدود لها الا وفق ما هو مدون على مدخل الكنيست في تل ابيب « حدودك يا اسرائيل من النيل الى الفرات ». فكيف يمكن للعرب ان يثقوا بهذا المعتدي، ما دامت ساديته تجاه العرب لا حدود لها وما دام دايان نفسه يقول بعد حرب ١٩٦٧ : « لقد اوصلنا حدودنا الى هذا الحد وعلى الاجيال القادمة ان تتم ما تبقى ». الكاتب يعرف جيداً كل هذه الاطماع وكلّ هذه التصاريح وهو يعرض عنها متجاهلا وقوعها اذ انه يكتب للغرب والغرب لاه عن مصالحه ومصالح الغير، لا بل يساعد اسرائيل على تفتيت قوة العرب ليبقى هذا العالم سوق استهلاك له في جميع امكانياته وتبقى ثرواته نهبا لكل معتد. هذا هو منطق العالم الصناعي الذي ادعى انه العالم المتقدم، المرصود له العالم الثالث من اجل استهلاك انتاجه، ونحن العرب انما اتى تصنيفنا في هذا العالم الثالث المتخلف على حد زعمهم لان التقدم لا يبين في واقعهم على اساس الحق والخير والجمال، وانما على شريعة الغاب والشر وبشاعة الخلق.

- ٧ -

ثم يتطرق الكاتب الى ما بعد حرب ١٩٦٧ ويشرح اوضاع مصر فيقول، ان مصر تواجه مشاكل داخلية عديدة وانه كان من غير المعقول ان تقوم بحرب ١٩٧٣ خاصة وانها لا تشعر شعورا ملحا باسترجاع الارض. كما انه لا يستبعد ان تبرم اسرائيل اتفاقا مع الاردن. ولكنه يستبعد فكرة المصالحة

مع سورية المتعنتة غير ان سورية اصبحت منعزلة وهذا يعني انها لا تشكل خطرا محدقا باسرائيل.

ثم يتحدث عن الفلسطينيين مقللا من خطر هجماتهم التي لا تتعدى قتل بضعة اشخاص من اليهود، ومع الزمن سوف يشعر الفلسطينيون ان لا مندوحة من قبول اسرائيل.

كما ان الكاتب يشير الى انه كان من شأن سياسة اللين ربما لو اتبعتها اسرائيل، ان تفت في عضد الارهابيين لانتفاء مبرر وجودهم اثر هذه السياسة. وينتهي للقول بان اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ لم يدخل في خلدها الاحتفاظ بالاراضي المحتلة.

كل هذه التساؤلات متناقضة. لان اسرائيل لم تغير في شيء من سياستها العدوانية ضد الفلسطينيين وقد اعتمدت عامل الزمن لتهجير ما تبقى منهم في الارض المحتلة ووضع اليد على اكبر مساحة ممكنة من ارض فلسطين.

فاذا كانت مصر غير راغبة في الحرب وكان الاردن مستعدا للصلح مع اسرائيل وكانت سياسة اللين من قبل اسرائيل سوف تنهي حركة المقاومة، لماذا اذن بقيت اسرائيل في سياستها العدوانية حتى اعطت حجة الى مصر والاردن والفلسطينيين للدخول في حرب جديدة وهي حرب ١٩٧٣ ؟ ان سياسة العدوان المخطط لها منذ زمن بعيد هي التي حالت دون فتح منافذ للصلح وذلك لانتهاك قوة الدول العربية وخلق بذور الشقاق فيما بينها حول السياسة الواجب اتباعها. والبرهان على هذه السياسة تبجح اسرائيل بالمكاسب التي جنتها من حرب تشرين على حساب الاردن. ومصر فيما يتعلق بامكانية الدفاع عن عمقها الستراتيجي. هذا ما كانت ترمي اليه اسرائيل من وراء عدم فتح نوافذ للصلح فالكاتب يلبسها ثوب الحمل وهي تتحفز بمساندة الدول العظمى الى اعتداءات جديدة.

والبرهان على ذلك قول الكاتب ان اسرائيل كان يمكن الا تتخلى عن

الخط الفاصل بينها وبين مصر فيا لو ارادت العمل برأي الاقدمين وبرأي الكثير من النبوءات: «الى ذريتك اعطي هذه الارض». ان المخطط الاسرائيلي العدواني يدعو الشعب اليهودي لاحتلال البقعة الممتدة من النيل الى الفرات وقد البس هذا المخطط الثوب الديني لاستغلال المواقف واستثمار النفوس المؤمنة من مسيحيي الغرب، فاذا ما تخلت اسرائيل في مرحلة ما عن هذا المخطط انما يكون ذلك لفترة زمنية معينة توافقا مع السياسة العالمية في تلك الفترة الى ان يحين الوقت فتعود وتتوسع على قدر ما تسمح لها السياسة الانترنسيونية المساندة لها.

- ٨ -

يقول الكاتب انه لم يدخل في خلد الاسرائيليين الاحتفاظ بالاراضي المحتلة، دون تحديد اية اراض، انما يشير الى ان رؤساء اسرائيل كانوا يؤمنون بضرورة التخلي عن سيناء لمصر. وهذا يعني ان اسرائيل اعتمدت منذ اللحظات الاولى على المساومة سواء مع المصريين بشكل منفرد او مع العرب شرط الا يتصلب العرب في مواقفهم. غير ان الكاتب يعود ويقول ان موقف العرب كان سلبيا بالنسبة للمفاوضات المباشرة ولذلك كان على اسرائيل ان تتصلب اذ يترتب عليها مستقبلا تحديد مقترحات الصلح في حال قبول العرب الدخول في مفاوضات. فنحن نرى من هذا القول ان اسرائيل غير مهادنة للعرب وان من عقيدتها التصلب لربح جميع الجولات السلمية. فاذا كان الاسرائيليون يؤمنون بهذه السياسة منذ بدء النزاع، كيف يمكن ان نفسر ادعاء الكاتب بان اسرائيل لم تهمل نافذة واحدة لحل الخلاف بينها وبين العرب. ان تصلب العرب هو من تصلب المعتدى وسياسة اللين الممكن ان تتبع وقتئذ هي سياسة استسلام لا سلم. وقد تكون اسرائيل تعمدت سياسة التصلب لتعقيد الامور والافادة من الزمن مادامت احوالها الامنية مضمونة من قبل دول عظمى وان التوازن العسكري هو بيد الولايات المتحدة الاميركية في الشرق الاوسط أكثر مما هو في يد السوفيت.

اذ ان السلاح الذي تقدمه روسيا الى دول المواجهة لا يعني اكثر من صفقات تجارية بحسب قدرة هذه الدول الشرائية بينما الولايات المتحدة تغدق على اسرائيل المعونات دون حساب لجعل الكيان الاسرائيلي ترسانة الولايات المتحدة الاميركية في قلب العالم العربي.

- ٩ -

ثم يتطرق الكاتب الى موضوع النفط السلاح الفعال بايدي العرب، وان موضوع اهمية النفط فيما لو احسن استخدامه كان سيجعل اسرائيل في موقف حرج وفي عزلة دولية. لان دول مثل اليابان واوروبا كانت مستعدة للتضحية باسرائيل مقابل نفط العرب ومثل هذا التصاعد في اهمية الحرب لا يمكن لاسرائيل أن تتحمله وهو بلد صغير لا يقوى على مثل هذا التطور السلبي . ولذلك وقعت حرب تشرين قبل أوانها .

فما دام الكاتب يعتبر ان اسرائيل تخشى من تصاعد اهمية النفط كسلاح فعال بيد العرب وانها لا تستطيع ان تتحمل تطور هذا السلاح، فانها، والحالة هذه، وذلك وفق مفهوم الكاتب السياسي، كانت ترغب في حدوث حرب جديدة في الثمانينات تغير من اوضاع المنطقة، غير ان هذه الحرب وقعت قبل اوانها بعشر سنين اي في عام ١٩٧٣، وكانت مفاجأة غير متوقعة وفق منطوق الكاتب (هكذا).

- ١٠ -

بعد وقوع حرب ١٩٧٣، ووفق النتائج الحاصلة تغير الكثير من المفاهيم السياسية في اسرائيل، وكلها تدور حول امكانية اجراء صلح مع العرب وتحديد الشروط الموافقة لهذا الصلح وجلها يتركز على الحدود الآمنة لاسرائيل.

ومن هنا بدأ الكاتب يشير الى الاتجاه المصري المعتدل بدءا من مؤتمر الجزائر لان فكرة المفاوضات لم ترفض في هذا المؤتمر فالكاتب يعتبر ان

انور السادات ربح الجولة، بينما بقي التصلب العربي قائما وبخاصة من جهة ليبيا والعراق كما ان سورية كانت على وشك رفض حضور مؤتمر جنيف، مادامت وحدة العرب غير تامة. كما ان الكاتب يشير الى موقف العراق يوم افتتاح مؤتمر جنيف بقوله عبر الاذاعة «ان الجماهير لا تشعر بانها مرتبطة بانظمة الخيانة والاستسلام المتمثلة في مؤتمر جنيف».

كما ان اذاعة طرابلس وقفت نفس الموقف منددة بسياسة السادات ومن على هذا المنعطف السياسي العربي اي سعي مصر الى معاهدات صلح، وتصلب الدول العربية حتى تأتي هذه السياسة منسجمة مع روح العدل: من على هذا المنعطف بدأت السياسة الاسرائيلية بموجب مقولة الكاتب، تتجه نحو تحضير النفسية المصرية الى الصلح المنفرد بداعي ان مصر لا تستطيع الانتظار مدة طويلة على الحالة الراهنة وقتئذ: خاصة وان الدول العربية لا تمد يد العون الى مصر لحل قضاياها الداخلية الاقتصادية، عدا ان سورية والعراق كما يقول الكاتب تكنان روحا عدائية نحو مصر وهذا غير صحيح بالاضافة الى ان القذافي يتهم مصر بالانحطاط والفساد. ومن جهة اخرى ان مصر نفسها تحتقر الفلسطينيين وهذا ايضا دس رخيص وتضع مصلحة مصر فوق كل مصلحة وانها لا تهتم جديا الا باسترجاع سيناء وليست مستعدة للقتال من اجل الفلسطينيين ثم يقول الكاتب ان دول النفط لا ترغب في الاسراع في نهاية النزاع الاسرائيلي - العربي حتى تبقى الدول ذات النزعات المتطرفة منشغلة عن سياسة دول الخليج وعلى راسها السعودية.

وبعد ان يحلل الكاتب السياسة المصرية ازاء العالم العربي، يخلص للقول ان بالامكان اقامة معاهدة صلح لا بل صلات طبيعية مع مصر. وانه من المعقول ان تدخل اسرائيل فيما بعد باتفاقات مع بعض الدول العربية تشكل معها محورا ضد محاور عربية اخرى.

والكاتب لا ينس ايضا مشكلة الفلسطينيين فيقول بضرورة اقامة اتفاق بين هذين الطرفين وذلك باقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية من نهر

الاردن وبقبول اسرائيل عودة قسم من الفلسطينيين واقامة الباقين منهم في اماكن اخرى. ويدعي الكاتب ان الفلسطينيين متعصبون ضد اسرائيل فيبرزهم كاصحاب نزعة شيفونية عدائية متناسيا ما اصاب هذه الفئة من ظلم وعدوان وتشريد. فالذي اعتدى على الغير هو المطلوب منه ايجاد المخارج الحقوقية الصحيحة لا ان يطلب من المعتدى عليه التساهل والاستسلام امام تصلب وتعنت المعتدي. كما ان الكاتب يشير الى عدم جدوى الانظمة الاشتراكية القائمة في الوطن العربي مادامت لا تؤدي الى قبول اسرائيل. انه دوما منطق المعتدي الهادف الى الاستيلاء، المخطط الى عدوان توسعي في المستقبل.

وعندما يشدد الكاتب على ضرورة ايجاد حل للفلسطينيين معتبرا ان ازمة الشرق الاوسط تكمن في ايجاد حل لهذه القضية، يعود ويؤكد ان الدولة الفلسطينية في حال قيامها في الضفة الغربية ستتحالف في يوم من الايام مع الاتحاد السوفياتي وبعض الدول العربية لشن غارات على اسرائيل. وهذا يعني ان اسرائيل لن تكون مستعدة لقبول مثل هذه الدولة.

بعد هذا العرض ينتقل الكاتب الى نقطة جوهرية يريد الوصول اليها وهي «اقامة سلم دائم مع مصر» فيعتمد على ان الشعور ببعد خطر اسرائيل، سوف يزيد من الخلافات العربية فيما بين دول هذا العالم المتناقض داخليا من حيث تفاوت الايديولوجيات وشخصية الزعماء فاسرائيل اذن بنظر الكاتب يجب ان تبتعد عن اعتداءات جديدة حتى ينسى العرب وحدتهم السابقة ضد الخطر الاسرائيلي فتعم الخلافات بينهم وهذا ما تفيد منه اسرائيل قطعا.

- ١١ -

وفي نهاية هذا البحث السياسي الذي هو بمثابة مخطط، يعلن الكاتب ان تراجع الجيش الاسرائيلي الى نقطة حدود ١٠١ في الارض المصرية بعد

توقيع هدنة مع الجيش المصري، يعتبر خطوة نحو السلام تلقاه كل من دايان والسادات بارتياح فقد اعلن السادات ان هذا الاتفاق وضع حدا لحالة « لا حرب ولا سلم » بين اسرائيل ومصر. وهكذا تركزت السياسة الاسرائيلية على السير في طريق صلح منفرد مع مصر كما ان مصر السادات استعدت نفسيا لقبول مثل هذا الصلح.

كان ذلك في عام ١٩٧٤ عند صدور كتاب وولتر لاكور وها نحن في الثمانينات نشهد كيف ان الفكر السياسي الاسرائيلي استطاع ربح مصر ضد العالم العربي بجميع دوله فتفككت عرى الروابط العربية تجاه اسرائيل ونفذت اسرائيل المرحلة الاولى من سياسة « خطوة خطوة » كما رسمها ووضعها كيسينجر. ان العرب والاسرائيليين يلعبون باوراق مكشوفة ولكن للاسف تخطط اسرائيل بموجب الاوراق المكشوفة امامها اما العرب فبالرغم من اوراق اسرائيل المكشوفة لا يتوصلون الى اي تخطيط جديد يضمن الحد الادنى من مصالح العرب. واوراق اسرائيل المكشوفة منذ زمن طويل، يتحدث عن مضمونها بكل صراحة مفكرو اسرائيل السياسيون ولذلك نرى الكاتب وولتر لاكور يتنبأ منذ عام ١٩٧٤ في كتابه « حرب الغفران الحقيقية » عن الاحداث التي ستقع في الثمانينات وفي مقدمتها الصلح المنفرد مع مصر.

- ١٢ -

فاذا ما استخلصنا العقيدة السياسية لاسرائيل في هذه المرحلة الحاسمة نجدها تعتمد على المبادىء التالية:

١ ـ العمل على تفتيت وحدة العرب في شتى المجالات.

٢ ـ احياء الصراع بين الدول التقدمية والدول المحافظة.

٣ ـ احياء الفتن الداخلية في معظم الدول العربية كما نلاحظ ذلك

بوضوح في سورية ولبنان والسعودية والعراق والخليج والمغرب العربي في جميع كياناته.

٤ ـ اشغال الجيش السوري في لبنان وفي داخل سورية.

٥ ـ انهاك الاقتصاد السوري بفعل الفتن والخلافات الداخلية.

٦ ـ تغييب العراق عن الساحة العربية السياسية بزجه في الحرب مع ايران.

٧ ـ التلويح بالشبح السوفياتي الممكن ان يخيم على الشرق الاوسط مما يهدد مصالح الخليج ويدعو دول هذه المنطقة للاعتماد على الولايات المتحدة الاميركية لحمايتها.

٨ ـ ابراز اسرائيل مسالمة وان ليس لها من مطلب سوى انهاء النزاعات والوصول الى حالة سلم حقيقي ومثل هذه السياسة كما يقول وولتر ليكور تساعد على عدم جمع كلمة العرب ما دامت اسرائيل لا تهدد هذه الدول مباشرة وفي هذه الحالة تبرز خلافات العرب فيما بينهم ما دام لا يوجد خطر مباشر يهدد مصالحهم.

ان جميع هذه القواعد السياسية التي يتبناها باسم اسرائيل صاحب كتاب «حرب الغفران الحقيقية» تنفذ بكل دقة ونتائجها السليمة في تفاقم مطرد واهمها ما تحقق على يد مصر العربية.

فهل نعي تماما ان اوراق اسرائيل مكشوفة؟ وهل نبادر الى تخطيط جديد يحفظ لنا اوطاننا؟

بناء على كل ما تقدم، يجب ان يتنبه المسؤولون في العالم العربي الى الدرك الذي نسير بسرعة اليه، حتى نحفظ لشعوب هذا العالم ما تبقى له من امل، وعند ذلك ستعود له كرامته كما تعود لحكام العرب قدسية التخطيط والتنفيذ وبذلك يعيدون الى هذا العالم اصالة تاريخه وحضارته ولن يتم ذلك الا بالعمل على تحقيق ما يلي:

١ ـ احياء المصالحة العربية بين رؤساء العرب.

٢ ـ التنسيق على مختلف الصعد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين الكيانات العربية القائمة حاليا.

٣ ـ التخلي عن جميع الموروثات السلبية.

٤ ـ مبادرة دول النفط الى مساعدة الاقتصاد العربي، بموجب قروض لاقامة مشاريع مدروسة يمكن معها ان يستقيم الاقتصاد القومي في الدول المتخلفة. وتسديد القروض المشار اليها.

٥ ـ تبني فكرة اقامة الوحدات البيئية الكبرى بدءا من التنسيق الى الاتحاد الفيدرالي، الى وحدة كل بيئة.

ومثل هذا التخطيط يجب ان يمثل مطلب الشعب الرئيسي بحيث يكون الحاكم بموجب دستور الدولة مؤتمنا على تحقيق هذه الاهداف. ولن يتم ذلك الا في ظل سياسة عربية موحدة في ستراتيجية عربية شاملة داخليا وخارجيا.

وفي ضوء ما تقدم يحل التكاتف بين الدول العربية محل التناحر والتنابذ، فتتجلى شخصية شعوب العالم العربي في جميع المجالات فتعود للعرب، عزتهم وكرامتهم. انها اماني جميلة في وجدان كل عربي وما علينا الا ان نترجمها الى اعمال.

من حضارتنا - المقارنة

حتى يكون ذلك فاصلا بين طبيعة الابحاث السابقة والبحث الوارد في هذ المقال وما يأتي بعده.

تعمدت البحثين المشار اليهما حتى تستيقظ كرامة القارىء على تراثنا، بعد ان اتعبته الابحاث السابقة القائمة.

وشكراً



مفهوم الانسان السوري العربي في التاريخ القديم

(القيت هذه المحاضرة في ندوة الرعية الجامعية لدمشق بتاريخ ٢٣/١/١٩٨١)

ونحن اذ نضمن كتابنا هذا نص المحاضرة وعنوانها « مفهوم الانسان السوري القديم » انما نريد ان نوضح بها جانبا من تراث الانسان العربي في التاريخ القديم في احدى كياناته الكبرى، مكتفين بهذا المثل للتدليل على اهمية تراث هذا الانسان، الذي لا يقل شأنا حضاريا في تنوعه عبر العصور الغابرة في كل كيان عربي آخر وبخاصة في مصر.

اذا ما اردنا دراسة الانسان، كان لزاما علينا ان نصفه في اطاره العام الخاضع له، وهو « ناموس العلاقة البيولوجية المثلثة الاضلاع: الجسم والنفس (اي العقل) المحيط» .

لقد تعرف الانسان الى الوجود، في المحيط الذي نشأ فيه، وتفاعل معه وبفعل هذا التفاعل، كون لنفسه نظرة للكون والحياة والفن. فانطلاقا من هذا الواقع الانساني كان لزاما علينا، ان نحدد البيئة التي احتضنت السوري العربي، منذ فجر التريخ، لننتقل بعدها للبحث عن نظرته الفلسفية للكون، وما يتبع ذلك بما نسميه من تكنولوجيا الحياة، حققها في حياته عبر العصور.

نشأ السوري العربي منذ فجر التاريخ، في رقعة جغرافية مميزة تمتد من جبال طورس الى زغروس والخليج العربي ومن طوروس على امتداد شواطىء البحر الابيض المتوسط، حتى عريش مصر ومن الشرق على امتداد القوس الصحراوي.

وهذه الرقعة من الارض، اطلق عليها العالم الاميركي بريستد : صفة «الهلال الخصيب» بالنظر لشكلها الجغرافي (قوس هلال) وخصوبة تربتها وغناها.

وقد تبنى العرب هذه التسمية في مدوناتهم فنسمع مثلا الشريف حسين يقول: «ليس هنالك من سورية صغرى او كبرى، انها الرقعة الممتدة من جبال طوروس حتى العريش» وهو يعني بذلك منطقة الهلال الخصيب هذه بكاملها.

وتقسم هذه المنطقة اصطلاحا الى منطقة بلاد الرافدين (العراق) ومنطقة بلاد الشام. ولفظة الشام هذه كنعانية الاصل، تعني صفة من صفات النبل يرادفها بالعربية عند العامة، الشيمة اي الشهامة وعزة النفس.

لقد عثر على بقايا الانسان الاول في وادي الرافدين، في الفترة الواقعة بين مئة الى ستين الف ق.م. وهذا ما دلت عليه التنقيبات في موقع (بردة ملكه) في العراق القديم. كما عثر على بقايا الانسان المعروف بالنياندرتل من العصر الحجري، يرقى زمنه كما يشير جهاز كربون ١٤ (النظائر المشعة) الى الفترة الواقعة بين ٦٠ الى ٤٠ الف سنة ق.م. وهو من صنف الانسان العاقل، بقاياه محفوظة الان في متحف بغداد.

وتكررت المكتشفات عن بقايا الانسان القديم، فعثروا على بقايا هياكل عظيمة في كهفين من كهوف جبل الكرمل في فلسطين. كما في الناصرة وغربي بحيرة طبريا، ترقى الى مائة الف سنة على الاقل، كما عثروا ايضا على

نوع آخر من النوع النياندرتل، وهو النوع المتوسط بين الانسان البدائي والانسان الحديث، يرجع تاريخه الى العصر الحجري القديم.

ان جميع هذه المكتشفات، تدل على ان منطقة الهلال الخصيب شهدت الانسان الاول العاقل، قبل المدونات بعشرات الاف السنين..غير ان تاريخها الجلي لم يبرز على مسرح الاحداث، الا بعد ان اتتها الموجات البشرية الجديدة عن طريق بادية الشام واطراف الجزيرة العربية، فاختلطت الاقوام، بعضها ببعض، في حيوية حضارية قل نظيرها، امتزجت معها السلالات، فانصهر بعضها في بعض، فوق بيئة معطاء، قدمت للبشرية ارقى الحضارات، بينما كانت الاقوام انئذ في مختلف اصقاع العالم، تعيش في عتمة الجليد.

فاذا امعنا النظر في تطور حضارة الشرق الادنى القديم، في حدود الالف الثاني قبل الميلاد، سواء في مصر او سورية او جزر بحر ايجه واليونان، نراها في اوج ازدهارها، بينما كانت بريطانيا مثلا، في بدء التنبه لاقامة معبد للشمس من الحجر الميغاليتي، وبهندسة بسيطة لا تتعدى الحجارة المستطيلة، تقوم عموديا يعلوها حجر طويل مسطح لا غير، كما ان الجرمان، في ذلك العهد، كانوا يتعاطون حراثة الارض بالخشب، وفي اسفل جبال هملايا توجد بذور حضارة جديدة على وشك الانطفاء بسبب عزلتها القاتلة، كما ان الصين ببواديها الشاسعة، وروسيا وافريقيا، كلها كانت غارقة في الظلام.

اما بالمقابل، فان الشرق الادنى القديم احتوى بجميع اجزائه : في مصر وسورية وكريت واليونان، سطوع شمس الحضارة المتحفزة للسيطرة على الطبيعة وفهم الكون والحياة، مما حدا بالعالم الالماني بريستد للقول:

«انه في هذه الاماكن، وخلال الالف الرابع والثالث قبل الميلاد، اقام انسان هذه المناطق، حضارة متنوعة، من اغنى ما شهد العالم، وما زلنا نحن حتى الان ننعم بتلك الحضارة، التي تعود الى فجر التاريخ الجلي، كما سجلتها لنا المدونات».

وفي مناسبة أخرى اعلن العالم الفرنسي أندره بارو ، رئيس بعثة حفـريات راس شمرا قوله :

«ان كل انسان في العالم له وطنان : وطنه الاصلي وسورية»

والان في ختام هذه التوطئة، يجدر بنا ان نتعرف الى الشعوب التي استوطنت الهلال الخصيب وان نكشف بعد ذلك عن اصالة هذه الشعوب، للوقوف على ما كنا عليه، تحفزا الى مستقبل افضل.

الشعوب السورية القديمة

تعددت اسماء الشعوب التي استوطنت قديما الهلال الخصيب : سومريون، واشوريون، واكاديون وبابليون قدامى، وبابليون جدد ، وكلدان. ومن ثم اموريون وكنعانيون وأراميون وميتانيون وحوريون وفلسطينيـون، وذلـك نسبة الى المواقع التي ظهروا فيها او الى عواصمهم.

فالاشوريون نسبة لآشور ، والسومريون لسـومـر ، والبـابليـون لبـابـل والكلدانيون الى كالدة والاموريون لمواقعهم غربي وادي الرافدين، اذ ان لفظة اموري تعني الغرب. والاراميون نسبة الى أرام وهي الارض المرتفعة، والكنعانيون الى كنع وهي الارض المنخفضة، الى ما هنالك من تسميات اخرى لشعوب معظمها يعود الى ارومة اثنولوجية واحدة، الى العرق العربي (اصطلاحا) الصاعد من الجزيرة العربية والبوادي الشامية، باتجاه وادي الرافدين وعلى امتداد بلاد الشام.

وهذا لا يعني ان سورية كانت خالية من السكان، كما سبق وذكرنا ، انما امتزجت هذه السلالات الممتازة بالسكان الاصليين الذين لا نعرف عنهم شيئا لان تاريخهم يعود الى ما قبل المدونات ومن ثم طغت الموجات الجديدة على كامل حركة البيئة ، فعرفت باسمائهم الجديدة منذ فجر التاريخ، مؤلفة شعبا حضاريا واحدا ، يعيش في تفاعل ديناميكي كبير ، وفي دورة حياة

اجتماعية واقتصادية واحدة، وله تطلعات مستقبلية واحدة، ساعية الى توحيد البلاد، وربط اجزائها ، بعضها ببعض.

وثمة خطأ شائع علينا تصحيحه. فقد رسخ الى حد ما في ذهن الرأي العام المثقف ان العراق امتاز بدور طليعي، في العمل على توحيد اجزاء سورية، بدءا من سرجون الى حمورابي الى نبوخذ نصر. فهذا خطأ، ولا يمثل سوى نصف الحقيقة لان الشعوب التي سكنت بلاد الشام، كان لها دور طليعي مماثل، في العمل على توحيد الرقعة الجغرافية. وعلى سبيل المثال، اسوق اليكم فكرة نشوء الدولة الامورية، والدولة الكلدانية وقد لعبت كل منها، اروع صفحات التاريخ.

فالدولة الامورية، التي اشتهرت بالملك العظيم حورابي، قامت على الاموريين الذين كانوا يسكنون التجويفة السورية، بدءا من حدود الاناضول حتى جنوبي فلسطين. فكانوا يتسربون الى بلاد الرافدين مشدودين الى خصب المنطقة.

فلما وقعت بلاد الرافدين بعد الاكاديين في فراغ سياسي مطبق، برز الشعب الاموري في هذه المنطقة واقام اعظم دولة في تاريخ سورية.

وما نقوله عن الاموريين ينطبق تماما على الكلدانيين، وهم آراميو الاصل من سكان بلاد الشام، في مناطقها الداخلية. وقد اشتهر العهد الكلداني بمليكه نبوخذ نصر سابي اليهود الى بابل.

فاذا وعينا التحرك البشري السابق للاحداث العسكرية، ادركنا ان ليس للعراق ولا لبلاد الشام دور طليعي كل بمفرده، في عمليات التوحيد. فالدور مشترك، ولقد قام به شعب واحد، له نفس التطلعات الحضارية، هو الشعب السوري العربي، في جميع اجزاء سورية الطبيعية.

غير ان هنالك ميزة واحدة لمنطقة الرافدين، وهي ان هذه الرقعة كانت بعيدة عن الضغوط السياسية والعسكرية المجاورة، وذات اطار جغرافي

ستراتيجي ممتاز، يسمح بانشاء دولة عسكرية تتحقق مناعتها قبل ان تحتك باعدائها، على غرار ما نقول في يومنا الحاضر على سبيل المثال: ان المدينة الفلانية تسمح استراتيجيا ان تكون عاصمة للدولة اكثر من سواها.

اما بلاد الشام، فتقع على شريط جغرافي طويل، يمتد من حدود الاناضول حتى عريش مصر، وبعرض قليل العمق، لم يسمح لشعوب هذه المنطقة بانشاء دولة عسكرية على غرار ما حدث في وادي الرافدين. وكانت هذه المنطقة مهددة مباشرة، بالجيوش الفرعونية والحثية وشعوب البحر.

ولذلك نرى ان الشامي من جملة تحركاته كان الاعتماد على رقعة وادي الرافدين وعلى تعاونه مع شعوب هذه المنطقة، في سد الفراغ السياسي الذي كان يحصل فيها، كما حدث للاموريين والآراميين.

وكان يعتمد سكان بلاد الشام، صونا لحضارتهم، ولبلادهم، على المرونة السياسية، بحيث استطاعوا في خضم الاحداث والاطماع، السير بالحضارة الى اعلى المراتب.

ومثل هذه السياسة يطلق عليها الدكتور فيليب حتي صفة « النفاق الكنعاني » وهو تشويه تاريخي لا ينم عن فكر نزيه في كتابة التاريخ. لقد اطلق الدكتور فيليب حتي هذه الصفة، على حركة عبدي اشيرته في القرن الثالث عشر ق.م. حين كان هذا الملك في اعالي منابع نهر العاصي، اثناء دخول اليهود فلسطين، وتفكك اتحاد الملوك في كنعان، والفشل في صد هجمات اليهود عبر الاردن.

امام هذه الاخطار والاضطرابات، انبرى عبدي اشيرته، يستجمع كامل قواه العسكرية والسياسية ويعمل على توحيد البلاد الساحلية وقسم من الداخل امتدادا من جزيرة ارواد حتى مشارف دمشق (مملكة ابن داغون) وذلك في قلب الصراع القائم وقتئذ، بين الاطماع الفرعونية والحثية على ارض سورية.

ان مرونة عبدي اشيرته قنعت حركته هذه بالنسبة للحثيين والفرعونيين معا، فتمكن من انقاذ البلاد من الفوضى السياسية والزراعية والاقتصادية على السواء.

ان مثل هذه السياسة، في سبيل خدمة البلاد، تعتبر قبساً يهتدى به، وليس نفاقا كما يزعم مؤرخ تاريخ سورية.

والان يجدر بنا ان نحدد تاريخ بروز هذه الشعوب على مسرح التاريخ كما يلي:

في العراق القديم:

ـ السومريون	من ٢٨٠٠ الى ٢٣٧١ ق.م.
ـ الاكاديون	من ٢٣٧١ الى ٢٢٣٠ ق.م.
ـ الكوشيون وسلالة لجش ٣	من ٢٢٥٠ الى ٢١٠٠ ق.م.
ـ سلالة اور الثالثة	من ٢١١٣ الى ٢٠٠٦ ق.م.
ـ العهد البابلي القديم	من ٢٠٠٠ الى ١٥٥٩ ق.م.
ـ السلالة الكاشية	من ١٥٩٥ الى ١١٥٧ ق.م.
ـ العهد البابلي الوسيط	من ١٥٠٠ الى ٦٢٦ ق.م.
ـ العهد البابلي الحديث	من ٦٢٦ الى ٥٣٩ ق.م.

اما الاشوريون فقد ظهروا في بداية العهد البابلي القديم في حدود ٢٠٠٠ ق.م. الى ١٥٠٠ وهو عصر الاشوريين القديم.

- ـ ثم اتى العصر الاشوري الوسيط من ١٥٠٠ الى ٩١١ ق.م.
- ـ وثم العصر الاشوري الحديث من ٩١١ الى ٦١٢ ق.م.

في بلاد الشام

عرفت شعوب بلاد الشام تحت اسم: اموريون وكنعانيون، وآراميون

وفلسطينيون، وهي الموجات الرئيسية في هذه المنطقة. علما بان الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد. اما الفلسطينيون فيعود اصلهم الى جزيرة كريت وهم فرع من شعوب البحر، التي اشتهرت بالقرصنة على نطاق واسع، فقسم منهم هاجر الى شواطىء بحر مرمرا، ومن ثم اجتاز شمالي سورية، حيث كان له فضل كبير في تشتيت قوة الحثيين، كما ان قسما آخر دخل دلتا النيل عن طريق البحر، ثم انحسر عنها تحت ضربات رعمسيس الثالث فانكفأ الى الساحل السوري فيما نسميه اليوم بفلسطين نسبة الى تسميةهذا الشعب الاصلية، حيث استقر في خمس مدن ساحلية وتفاعل مع الشعب الكنعاني منصهراً في بوتقته بحيث اصبح المدافع الاول عن ارض كنعان في الجنوب، جنبا الى جنب مع الكنعانيين، ضد اليهود.

ولقد امتازت منطقة الهلال الخصيب بصهر الشعوب في بوتقتها، فنرى السومريين وهم على الارجح شعب آري، وكذلك الميثانيين، ينصهرون انصهارا كاملا في المتحد السوري، على غرار الفلسطيني.

يبدأ تاريخ شعوب بلاد الشام، منذ فجر التاريخ، وقد بزغت شمس حضارتهم في مطلع الالف الثالث قبل الميلاد، في مملكة ايبلا المكتشفة حديثا، والممتد تاريخها الحضاري من ٢٨٠٠ الى ٢٢٠٠ ق.م. وكان نفوذ هذه المملكة يشمل منطقة بلاد الشام والرافدين بكاملها وحتى قسما من بلاد الاناضول. وهي تعتبر المنارة الثالثة في الشرق الادنى القديم، الى جانب منارتي بلاد الرافدين ووادي النيل.

قبل اكتشاف مملكة ايبلا. كان العلماء يعتقدون، ان الحضارة الكنعانية تبدأ بالازدهار في مطلع ١٥٠٠ ق.م. واذ بمملكة ايبلا، الواقعة في بلاد الشام، تعود بالتاريخ الحضاري الى الف سنة خلت، مما جعلها معادلة في زمن، لحضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل. وهذا الكشف الجديد قلب نظريات العلماء رأسا على عقب ولا يزال.

وايبلا هذه تقع فوق تل يدعى «تل مرديخ» جنوبي مدينة حلب بحوالي

٦٠ كيلو مترا . وهي جديرة بالاهتمام وبالاطلاع على معالمها وتاريخها .

ان اول موجة سامية دخلت بلاد الشام ، كانت الموجة الامورية ، لقد استوطن هذا الشعب ، التجويفة السورية ، على كامل امتدادها ، من الشمال حتى الجنوب ، بمحاذاة الموجة الثانية الكنعانية الممتدة على طول الساحل .

ويعتبر بعض العلماء ، ان الشعب الاموري والكنعاني واحد من حيث الارومة مما حدا بالمؤرخين العراقيين حديثا الى تسمية الاموريين بالكنعانيين الشرقيين ، وقد يكونون على حق في ذلك . مع العلم بان لفظة اموري كما جاء معنا صفة جغرافية ومعناه الغرب ، اطلقها السومريون على هذا الشعب (مارتو) نسبة الى انتشارهم غربي العراق القديم .

وبعد الشعب الكنعاني ، أتى الآراميون . وكان دخولهم قبل منتصف الالف الثاني ، ثم تغلغلوا في وادي الرافدين ضمن احلاف عرفت تحت اسم (الأخلامو) اي الرفقاء ، تصدوا للدولة الاشورية دون جدوى . وما كان لهم عندئذ الا ان الفوا بعض الممالك المستقلة مثل مملكة (آرام النهرين) ومملكة (آرام دمشق) وغيرهما العديد من الممالك .

ولقد لعب الآراميون دورا سياسيا هائلا في الهلال الخصيب ، واصبحت لغتهم الآرامية اللغة الرسمية ، استمرت حتى عهد المسيح وبعده بزمن طويل حتى القرن السابع . ومن ثم اعقبتها السريانية وهي الآرامية الحديثة .

وعلى هذا النحو ، شهدت سورية ثلاث لغات رئيسية سادت كل منها المنطقة وتعاقبت على النحو التالي : الاكادية والآرامية والعربية .

هذا هو الانسان في الهلال الخصيب ، في موقعه الجغرافي التاريخي اي محيطه ، قدمناه لكم بكل ايجاز وما علينا الان ، الا ان نتعرف الى نفسه ، الى عقله في سلم الحضارة .

الفكر الحضاري السوري

يقول العالم كريمر : « التاريخ يبدأ بسومر » . ويعني بذلك سومر في القسم

الجنوبي من وادي الرافدين التي كشفت المدونات عن تاريخها الحضاري بدءا من الالف الثالث قبل الميلاد. ولقد شهد هذا الشعب، مولد اول حضارة في العالم.

والسومريون مشكوك في انتسابهم العرقي . ففي حضارتهم الاولى، توجد بعض البصمات الآرية كما عليها الكثير من السمات السامية. ولذلك بقي انتسابهم العرقي غير واضح. علما بانهم تفاعلوا مع البيئة الرافدية، واصبحوا من أبنائها ، دون منازع . فلقد صهرتهم البيئة نهائيا كما صهرت غيرهم وهذا من خصائص البيئة السورية الطبيعية .

والانسان البدائي تعرف الى الوجود وفي نفسه توق طبيعي للمعرفة والكشف عن المجهول، بارادة وحركة حرتين وبدت عليه منذ نشوئه اشراقات غيبية، اختلجت في نفسه، فجعلته مشدودا الى المقدسات. ان ولادة النار بين يديه، والخدمات المتأتية عن استعمال الحجارة، وفكرة اجزاء الموجودات المبعثرة الممكن ردها الى وحدة الاصل، كأجزاء الحطب والحجارة وغيرها، كل ذلك، كان من شأنه ان يولد في نفسه التسأؤلات العديدة، فبدأ يسبر اغوار الوجود، على قدر ما تسمح له امكانياته، مكونا له نظرة خاصة بالكون والحياة ومن ثم بالفن.

وهذه النظرة الشمولية، بدأت مع الانسان في مطلع العهد الزراعي، بينما كانت قبل ذلك باربعة عشر الف قرن، تدور ضمن حاجات الرعي ، حيث عبد الانسان القمر، ذلك الكوكب الصافي المنير، انيس الرعاة في حلهم وترحالهم.

ولكن ما ان بزغ فجر الزراعة، حتى تنبه الانسان الى اسرار جديدة في الكون، كلها مكرمات وكأنها خلقت من اجله، فتوجه بفكره الى الكون، مستجليا غوامضه، باحثا عن الاصول، مكونا لنفسه النظرة الاولى للتكوين فاعتقد بما يلي:

- في البدء كانت الالهة (نمو) وهي المياه الاولى.

- وقد ولدت الالهة نمو (ان) اله السماء المذكر و (كي) الهة الارض المؤنثة.

- بزواج (ان) و (كي) ولد (انليل) اله الهواء الذي باعد بين ابيه وامه.

- وجد انليل نفسه وحيدا في ظلام دامس فانجب (نانا) او (سن) الاله القمر، ليبدد الظلام في السماء وينير الارض.

- ثم ان (نانا) اي القمر انجب (اوتو) اله الشمس الابن الذي بز اباه في الضياء.

هذا هو ميت الاصول في التكوين السومري (واعني بلفظة ميت الفكر الديني الذي وصل الينا في اطار اسطوري)، والتكوين السومري هذا، لم يأتنا بصورة متكاملة في لوحة واحدة. فقد اميط اللثام عن لوحات عديدة اوضحت تدريجيا نظرة السومري للكون نلخصها كما يلي:

- في البدء السماء في الاعلى وعليها الهواء ثم سطح الارض فالعالم السفلي (كور) ثم المياه الاولى في الاعماق.

- وفي المرحلة الثانية نرى (انكي) اي سيد الاعماق، ينظم العالم ويقوم بتيسير اسباب الحياة والحضارة وتعيين مصائر سومر.

ولقد عثر على اسطورة خلق الانسان كما تصورها السومري وهي اول اسطورة عن الخلق في العالم:

تحدثنا الاسطورة ان الآلهة كلت من العمل وتحصيل قوتها، فبدأت تشكو وتتذمر. ولقد حاولت اسماع شكواها الى (أنكي) فتوسطت امه (نمو) المياه الاولى التي ولدت السماء والارض وجميع الآلهة. فعرضت (نمو) على ابنها خلق الانسان، فوافق وطلب منها ان تأخذ طينا من فوق مياه الاعماق وتصنع له الاعضاء، كما طلب من الأم (تناخ) ان تساعدها في ذلك وتعلق عليه، بعد صنعه، صورة الآلهة فيكون شبيها بها.

ان اسطورة الخلق هذه ترددت اصداؤها فيا بعد، في معظم اساطير المنطقة من بابلية واشورية وغيرها، كما ترددت نفسها في التوراة.

هذه هي خلاصة اسطورة التكوين لدى السومريين. ولما ظهر الاكاديون والبابليون والاشوريون بعد السومريين، لم يرفضوا نظرة السومري للكون، لا بل تبنوها واتموها، وهذا يدل على ان التفاعل الحضاري في المنطقة، ذو اصول واحدة، فكان كل شعب يتبين حضارة الاسبقين، ويطورها، وفقا لروح العصر وحاجاته الحياتية.

وتثبيتا لذلك نقدم لكم نظرة البابلي للكون والحياة، في ملحمة معروفة تحت اسم (اينوما ايليش) اي «عندما في الاعالي». وهي من اهم النصوص السماوية القديمة في علم الانتروبولوجيا والميتولوجيا، تعود كتابتها الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد باللغة الاكادية، اي قبل ١٥٠٠ سنة من كتابة الياذة هوميروس اليونانية.

وهذه الملحمة، تعطينا صورة واضحة عن الخلق والتكوين، كما تقدم لنا صورة عن جميع الآلهة، نشأتها ووظائفها. وهي في شبه كبير مع الاصحاحين الاولين من كتاب التوراة، مما اثار الكثير من الجدل والنقاش، علما بان اصول الملحمة سومرية ـ اكادية. واليكم ما جاء فيها:

اسم الملحمة (انيوما ايليش) اي «عندما في الاعالي»:

فعندما في الاعالي لم يكن هناك سماء وفي الاسفل لم يكن هناك ارض، لم يكن في الوجود سوى ثلاثة آلهة بدئية، انبثق منها فيما بعد كل شيء كائن وهي:

ـ (آبسو) المياه العذبة البدئية

ـ (تعامة) المياه الاولى المالحة

ـ (ممو) الضباب المنتشر فوقها المنبعث منها.

كانت هذه الالهة في حالة سرمدية وفي سكون مطلق، تشكل كلا

واحدا. ثم اخذت هذه الآلهة تتناسل. فقد انجب آبسو وزوجته تعامة طفلين الهين (لحمو) و (لحامو) وهذان بدورهما انجبا (انشار) و (كيشار) فاقا ابويهما قوة ومنعة. ومن ثم ولد لانشار وكيشار ابن اسمياه (آنو) صار فيما بعد اله السماء.. وآنو بدوره انجب (نوديمود) شبيها له. ونوديمود هذا هو (انكي) او (ايا) اله الحكمة والفطنة والسحر، وهو الذي غدا فيما بعد اله المياه العذبة الجوفية. وقد بلغ نوديمود من القوة حدا جعله يسود على آبائه.

كانت هذه الآلهة الفتية مليئة بالحيوية مما عكر على الآلهة القديمة صفوها. ولما لم نتمكن من وقف حركتها، رسم الجد الأكبر آبسو خطة لابادتها رغم معارضة تعامة الأم. وعندئذ لجأ الآلهة الصغار الى (انكي) العظيم ليبعد عنهم هذا المصير، فتصدى لآبسو ووزيره (ممو) بعد أن ضرب طوقاً من السحر حول الآلهة الجديدة، حماية لها. ثم قام بتعويذة سحرية رمى بها فوق (آبسو) فراح في سبات عميق.

في هذه الاثناء قام (انكي) ونزع عمامة (الآبسو) ووضعها على رأسه، ثم ذبحه وبني فوقه مسكنا له دعاه الابسو. سكنه وزوجته (دومكينا). ومنذ ذلك الوقت وانكي هو اله المياه العذبة يتحكم بالأنهار والبحيرات ويفجر الينابيع من جوف الارض. بعد هذه الأحداث ولد (مردوخ) احكم الآلهة وهو الذي ترأس مجمع الآلهة البابلية فيما بعد.

بعد ولادة مردوخ عادت الآلهة القديمة الى التذمر من الآلهة الجديدة، وفي هذه المرة وافقت (تعامة) الأم على ابادة الجيل الجديد الالهي. فجهزت جيشاً وضعت على رأسه الاله (كينغو) زوجها الجديد وقررت القضاء على الآلهة انتقاماً لزوجها (آبسو). وهكذا بعد أن علقت على صدر (كينغو) لوحة الاقدار لتهبه المنعة والقوة، خلقت اثني عشر نوعاً من الوحوش الغريبة تقف الى جانبه.

وصل خبر المؤامرة الى (ايا) ابن (انكي) اله الحكمة، فذعر. وبعد تداول الأمر بين الآلهة، قرروا ان لا أحد يستطيع أن يتصدى لتعامة،

فلجأوا الى مجمع الآلهة (الانوناكي) ليقرروا ما يجب عمله. وأثناء الاجتماع تذكروا مردوخ القوي، فأرسلوا في طلبه، وعند مثوله امامهم، طلبوا منه التصدي الى تعامة، فقبل بعد أن منحوه كل سلطان. وبالفعل واجه (تعامة) وهو على مركبته الالهية، اي العاصفة، فتفرق جيش تعامة واوقع (كينغو) في الأسر، بعد ان قتل تعامة وشطرها الى شطرين رفع الأول فكانت السماء واخفض الثاني فكانت الأرض ثم صنع النجوم والكواكب والشمس والقمر وخلق الليل والنهار والانسان الذي جبل بدم (كينغو) بعد قتله. ثم خلق الحيوانات والنباتات، كما قسم الآلهة الى فريقين: فريق سكن السماء وآخر سكن الأرض محدداً لكل اله مهامه.

وتقديراً لمردوخ شيدوا له مدينة بابل، بعد أن قضى على تنين العماء المائي (تعامة).

ان قصة التكوين، على يد مردوخ، مماثلة لقصة التكوين التوراتية وكلتاهما تنطلق من العماء المائي، على غرار ما جاء به الفكر الديني السومري.

والى جانب اسطورة التكوين والخلق توجد اساطير دينية ذات أهمية كبيرة، وهي قصة الجنة المفقودة والطوفان وقصة قايين وهابيل.

الجنة المفقودة:

وجدت قصة الجنة المفقودة في المدونات السومرية، ومركزها (دلمون) المعتقد انها البحرين. كما وجدت هذه الأسطورة في العهد البابلي، ومركزها ايضاً (دلمون). وهي أقرب ما تكون الى القصة التوراتية. تقول:

الاله ايا يخلق (آدابا) لخدمة معبده (ادم السومري)، مسبغاً عليه الحكمة الكاملة، دون أن يهبه الحياة الابدية. وفي أحد الأيام، بينما كان آدابا يصطاد على شاطىء الخليج (العربي) هبت رياح وقلبت قاربه. فغضب ولعنها فكسر أحد جناحيها.

على أثر ذلك دعي (آدابا) للمثول أمام كبير الآلهة لاستجوابه. وقبل صعوده لعند الاله، زوده الاله (ايا) بالنصائح داعياً اياه الى لبس الحداد على تموز وجيزيدا حارسي بوابة السماء، بعد ان اختفيا من على الأرض. وهذه النصيحة، كانت لاستدرار عطف الاله.

وهكذا تمّ فعلاً. فلما مثل آدابا أمام الاله (آنو)، واعلن عن سبب لبسه ثوب الحداد، انتصر له تموز وجيزيدا، فعفا عنه (آنو) وقرر مكافأته بضمه الى صفوف الخالدين، طالما انه دعي للمحاكمة واطلع على أسرار السماء. فأمر له بطعام الحياة ليأكل، الا ان آدابا امتنع عن تناول الطعام. ولما امر له بشراب الحياة، امتنع ايضاً عن شربه.

امام هذا الرفض امر الاله (آنو) باعادته الى الأرض. وهكذا يكون آدابا قد خسر الحياة الأبدية لأنه لم يأكل ولم يشرب مما قدم له، فأعيد عندئذ الى الأرض الفانية يعمل فيها ويتعذب هو وذريته من بعده.

قصة الطوفان:

وقصة الطوفان فقد بدأ ايضاً السومريون بروايتها. فكان رجل الطوفان السومري يدعى (زيو سودرا) الرجل الصالح. وتعود الاسطورة الى الألف الثالث قبل الميلاد.

كما عثر من العهد البابلي على أسطورة الطوفان وهي جزء من ملحمة جلجامش، وهي اقرب ما تكون بحرفيتها الى اسطورة الطوفان التوراتية تقول الاسطورة، ان اسم رجل الطوفان البابلي هو (اوتو ـ نابشتيم) الانسان الذي منت عليه الآلهة بالحياة السرمدية وخلصته من الطوفان.

فاذا ما استعرضنا احداث هذه الأسطورة، نجدها مطابقة تماماً لقصة نوح التوراتية ويقع هذا التطابق حتى في الأحداث التفصيلية، مع اختلاف وحيد في الاسم فقط وفي اسم الاله. وما تبقى فهو منقول حرفياً.

ان اسم اله الطوفان في القصة البابلية هو حدد، بينما في التوراة، يهوه.

قصة قايين وهابيل:

أما قصة قايين وهابيل، فهي ايضاً سومرية الأصل تحت اسمي: (ايميش) الراعي واخيه (أنتين) المزارع. فعلى اثر خصام بين الأخوين، احتكما الى الاله (انليل) الذي بنتيجة الحكم فضّل صراحة المزارع انتين بقوله:

«لقد اجرى انتين ماء الحياة في كل بقاع الارض وانتج للآلهة كل شيء، انه مزارع الآلهة فيا ايميش يا بني كيف تقارن نفسك بانتين اخيك؟

هذه كانت كلمات انليل المقدسة العميقة المعبرة فانحنى ايميش وركع امام انتين».

وثمة اسطورة اخرى، تروي نفس الأحداث تمت باسم الاخوين (لهار) الراعي اي هابيل التوراة و(اشنان) المزارع. وفي هذه الاسطورة تم الغلبة ايضاً للزراعة. بينما أتت الغلبة في التوراة للراعي وهو مسخ لمضمون الاسطورة الأصلي.

العبر الفلسفية والحياتية المستخلصة من هذه الاساطير

الجنة المفقودة: انها تمثل واقع الانسان الذي خلق من دم الاله وعلى صورته. فهو في توقه، يريد ان يكشف عن جميع اسرار الكون، كما لو كان الهاً. غير ان هذا التوق باء بالفشل ما دام الانسان في الواقع سيموت حتماً.

ومثل هذا الواقع تمثله السوري القديم في اطار اسطوري وكأنه اتى نتيجة عصيانه على الاله. وقد يكون له رموز تراثية قديمة لم يكشف النقاب عن حقيقتها بعد.

أمام هذا المصير، يئس الانسان من تحقيق فكرة الخلود، فاستعاض عنها، كما جاء في ملحمة جلجامش، بخلود الانسان في اعماله المجيدة على الأرض وهي نفحة حضارية متسامية الى أبعد الحدود.

الطوفان: انه يمثل ظاهرة طبيعية من الفيضانات الواسعة الانتشار، غمرت بلاد الرافدين واتلفت جميع المخلوقات، ما عدا (اوتو-نابشتيم) الصالح وذريته، مما جعل الفكر السوري الرافدي يعلل هذه الظاهرة بغضب الآلهة وقرارها افناء الجنس البشري لكثرة شروره ما عدا (اوتو-نابشتيم) الصالح وذريته. فالعبرة اذن هي في ضرورة الاقلاع عن الشر واعتناق الخير، لأن الشر يؤدي بالبشرية الى الهلاك.

ولعمري، ان احتفالات رأس السنة الجديدة في نهاية كل عام ليست

سوى بعث لفكرة فناء البشرية المنغمسة في الرذائل ولخلق جديد اصلح.

الاخوان قايين وهابيل: ان قصة قايين وهابيل في التوراة، هي نفسها قصة ايميش وانتين السومرية. فنرى هابيل يقدم للآلهة ذبيحة وهي صفة الرعاة واما قايين فيقدم من انتاج الأرض وهي صفة المزارع.

في التوراة يتقبل الاله الذبيحة، فيغضب قايين المزارع ويقتل اخاه الراعي. بينما في الأسطورة السومرية يفضل الاله انتين المزارع عل ايميش الراعي وما كان من هذا الأخير الا ان رضخ لحكم الاله، وخضع لارادة أخيه.

ان الأسطورة السومرية هذه رمزية بأكملها وهي تمثل الصراع الأولي الذي قام بين الرعاة من جهة وأصحاب المزارع من جهة أخرى. ذلك الصراع الذي لا نزال نشهده حتى اليوم، كلما اقترب الرعاة البدو من القرى الزراعية.

فالصراع اذن صراع حضاري بكل معنى الكلمة، انتصرت فيه الزراعة واستقرت كما تصوره الشاعر السوري القديم.

ومن الواضح ان قصة قايين وهابيل في التوراة مقتبسة عن الأساطير القديمة انما اتت مشوهة لتتناسب مع مصلحة اليهود. فهؤلاء هم في الأصل رعاة ولم يستقروا في الأرض ليحرثوها. اما الكنعانيون فكانوا أصحاب الأرض وحارثيها. فالقصة التوراتية أتت مغايرة للأصل السوري لتجعل من الكنعانيين قتلة، وهي الصرخة الأولى العدائية في تاريخ الصراع اليهودي الكنعاني (السوري).

بعد هذا العرض الموجز لا بدّ وان نختم بحثنا عن الفكر الديني بتعليق سريع على ملحمة جلجامش تلك الملحمة، التي هزت جميع

أقلام العالم قديماً وحديثاً لدراستها وتمحيصها، وهذا هو ملخص مواضيعها الفلسفية:

- حكم جلجامش مدينة اوروك في وادي الرافدين بين ٢٨٠٠ و ٢٦٠٠ ق.م. ووصف بانه اله في ثلثيه وانسان في الثلث الباقي. واما في روحه فكان انساناً أكثر منه الهاً فعاش في التردد والشك والحب والثورة واليأس والحكمة والموت.

واهم عبرة في الأسطورة هي في سعي جلجامش بعد موت صديقه انكيدو وعدم تقبله فكرة الموت. مما حدا به للتفتيش عن حل في سبيل خلود الانسان.

وبناء على ذلك ذهب الى رجل الطوفان الخالد (اوتو-نابشتيم) يطلب نصحه. فدله هذا الأخير على وجود نبتة الخلود في حراج الارز فاذا وفق الى الحصول عليها يصبح خالداً. فراح جلجامش يفتش عن نبتة الخلود ودونها المخاطر والأهوال، الى ان وجدها.

في عودته الى اوروك اعترضته حية في الطريق وسرقت منه نبتة الخلود. وعندها يئس جلجامش اذ اعتبر نفسه فانياً كسائر المخلوقات.

غير انه وجد مخرجاً فلسفياً لفكرة الخلود وهو ان الانسان لا يخلد الا بأعماله المجيدة. وهكذا فعل جلجامش في مدينته المحبوبة اوروك: لقد عمّرها وبنى اسوارها وجعلها تسجل اسمه على مر الأجيال. وبالفعل خلّد جلجامش نفسه بعمله. انها عبرة خالدة خلود الحياة، ولا نزال ننعم بذكراها ونهتدي بهديها.

هذا اهم ما اردت ان اوجزه لكم عن الفكر الديني لدى السوري القديم واما منجزاته العملية في الحياة، فاعرضها لكم في خطوط عريضة، كل واحدة منها تستحق الدراسة المطولة:

١ - في الكتابة:

كانت أول كتابة هيروغليفية، على يد السومريين ويعتقد بعض العلماء بانها اسبق من الهيروغليفية المصرية. ومن ثم تلتها المقطعية لدى الأقوام المجاورة. وفي مطلع عام ١٥٠٠ ق.م. تمّ لابن اوغاريت الكنعاني في نهاية المطاف، اختراع الأبجدية الصوتية المؤلفة من ٣١ حرفاً، انتقلت من بلادنا الى اليونان، ومنها الى اوروبا والعالم أجمع. وهذا يعتبر اكبر انجاز حققه التاريخ البشري حتى الآن.

وانتقال الأبجدية الى اليونان، سجلته المدونات بصورة اسطورية كما يلي:

خطف الثور الالهي (اوروب) اخت (قدموس) الفينيقي-الكنعاني اي اجينور، وحط بها في جزيرة كريت. واذ درى أخوها بأمرها، سافر الى اليونان مفتشاً عن اخته. وهناك علم اليونانيين الأبجدية كما اطلق على القارة الاوروبية فيما بعد اسم (اوروب) اخت قدموس الفينيقي. ان مثل هذه الأساطير تدعونا للتفكير العميق في مآثرنا التاريخية.

٢ - العمارة:

اشتهرت العمارة السورية بفن الزيقورات وهي نوع من الاهرامات المدرجة ذات سبعة طوابق يرقى عهدها الى أبعد من تاريخ بناء الاهرامات. كما اشتهرت العمارة السورية بالأقبية المقوسة، وفي مدينة اور مثلاً كانت البيوت المخصصة للسكن مؤلفة من طابقين. ومقسمة الى مجموعات من الغرف: منها للضيوف ومنها لأهل البيت والزائرين في النهار ومنها للمنامة. وكلها فوق فسحة دار واسعة.

كما كانت المياه تصل الى البيوت في أقنية خاصة، تفي بحاجة جميع سكان البيت، منها للشرب ومنها للغسيل والاستحمام. ومما يلفت الانتباه ان جميع الغرف معرضة لأشعة الشمس.

٣ ـ فن النحت:

والجدير بالذكر ان الفنون كانت مزدهرة جداً، من رسم ونحت وتصوير، امتازت بالدقة وتمثيل حركة الحياة فيها. انها لم تعتمد دوماً على الضخامة الباردة، لا بل على الدقة في التعبير وتسجيل الانطباعات النفسية، حتى عند الحيوان، كما انها ابرزت عضلات الانسان وطيات ثيابه وتجاعيدها، بالاضافة الى تخيل مخلوقات، تجمع بين الانسان والحيوان، مثل نسر ذي رأس أسد وثور رأسه رأس انسان وكلها مستوحاة من الفكر الديني في تلك الأزمان.

السوري فنان بطبيعته وخلاق يتحدى بمخيلته الثاقبة حدود الموجودات انه يحمل في نفسه ثورة على الوجود من أجل الأفضل والأحسن.

٤ ـ الزراعة:

ان أول محراث اخترعه الانسان لشق التربة، هو المحراث السومري تلك الآلة التي أحدثت ثورة زراعية بكل ما في الكلمة من معنى، نقلت حياة الانسان من البداوة الى حياة المدينة والاستقرار. ومثل هذا الاستقرار جعل الانسان يتعاطى شتى أنواع الزراعة: من حبوب وغرس واشجار، أدى ذلك الى تصاميم اقنية وانهار يرتقي عهدها الى قبل العصر السرجوني.

لقد عمت الزراعة جميع اجزاء الهلال الخصيب فكان الخبز والخمر من أهم اقواتهم اليومية. كما عرفوا جميع أنواع الحبوب وشجرة الزيتون والنخيل ونبتة القطن وشجر الرمان.

٥ ـ الصناعة:

ـ انتشرت صناعة الخزف في جميع أرجاء سورية منذ الألف الرابع ق.م. وكانت ترتقي تدريجياً باتقانها ونقوشها، الى أن بلغت شهرة عالمية في الشرق الادنى القديم.

- كما وان الشعب الفينيقي (الكنعاني) تعاطى صناعة الزجاج الشهيرة في العالم حتى الآن، بدقتها واتقانها وزخارفها.

- اما صناعة النسيج فقد بدأت في سومر منذ القرن الثامن عشر ق.م. وذلك في زمن ابرهيم الخليل في أور. وفي دمشق اشتهرت ايضاً منذ القرن الرابع عشر ق.م. بصناعة البروكار المفضض والمذهب، ولا يزال البروكار الدمشقي حتى اليوم يحتل مكانته المرموقة في العالم، انه من موروثات تلك العصور القديمة الى جانب صناعة الزجاج حالياً والخزف.

- وكذلك ايضاً صناعة الحلى الفضية والذهبية والبرونزية والعاجية، من عقود وأساور وقلاذات وكؤوس وتماثيل. لقد بدأت هذه الصناعة منذ العهود الأولى، لذى جميع شعوب المنطقة، كما وان نساء كنعان اشتهرت باستعمال مواد التجميل واشهرها اللون اللازوردي فوق الجفن الأعلى من العين، ذلك التجميل الشائع بين النساء حتى يومنا هذا.

- ثم لا ننسى ان الدولاب هو من صنع السومريين ذلك الدولاب الذي ساعد على تطوير صناعة الخزف والنسيج والعربات. ونحن نعلم ان الدولاب في العصور التي تلت وفي عصرنا الحاضر، يعتبر من اعظم الانجازات الميكانيكية وتقوم عليه جميع المصانع.

ان البشرية تنعم بمثل هذه الانجازات العظيمة حتى اليوم كما يقول العالم بريستد.

٦ - التجارة:

كانت التجارة قوام حياة شعوب سورية الطبيعية، الاقتصادية والاجتماعية. فالقوافل كانت تربط بين جميع مدن هذه المنطقة ومنها الى المناطق المجاورة. وكان الفينيقيون من أشهر التجار أدى بهم المطاف الى امتطاء البحر والاحتكاك بجميع شواطىء البحر الأبيض المتوسط وقد وصلت اعمالهم التجارية حتى نهر الدانوب في وسط أوروبا.

وما الروح التجارية لدى الشعب السوري في يومنا الحاضر سوى امتداد لتلك النزعة وعلى نطاق عالمي أوسع.

٧ ـ فتح الأقطار البعيدة:

ولا يسعنا الا ان نذكر باعجاب كبير الكنعانيين لما أدوه للبشرية من خدمات. فلما لم تتمكن الرقعة الجغرافية من استيعاب كامل حيوتهم، وكان الساحل السوري الممتد فوق شريط ساحلي طويل وقليل العمق معرضاً للضغوط السياسية، امتطوا البحر على هول ما يتعرضون له، وفتحوا بارادة لا مثيل لها، جميع شواطىء البحر المتوسط حتى الجزر البريطانية التي كانوا يجلبون منها القصدير. كما بنوا المستعمرات ومنها مدينة قرطاجنة التاريخية مدينة اليسار وهاني بعل الصوري، اعظم قائد عسكري في التاريخ.

وهذا القائد اعتلى بجيشه جبال البيرينه والألب، منحدراً يدق ابواب روميه لاحتلالها، املاً في السيطرة على جميع شواطىء البحر المتوسط. حتى ان بعض العلماء يرجحون وصول الفينيقيين الى شواطىء المكسيك قبل كولومبس بزمن بعيد.

٨ ـ الاداب:

ظهرت في الهلال الخصيب، ملاحم شهيرة مثل ملحمة جلجامش، التي لا نعرف اسم واضعها. كما ظهرت نصوص وملاحم بقلم كبير كهنة أوغاريت واسمه ايلي ميلكو مثل ملحمة «الملك الكبير» و«كيريت» و«دانيال» وغيرها، تحكي كلها علاقة الانسان بالحياة والآلهة، مفعمة بالحضور الانساني الرفيع.

ان السوريين كما ذكرنا، هم آباء الأدب الملحمي في العالم، وليس هوميروس اليوناني كما يدعي العالم الغربي، انهم اقدم منه بألف وخمسمائة سنة.

٩ - التشريع:

كما اشتهر السوري في التشريع، راسماً للانسان فكرة العدل، وجميع الحقوق المتبادلة وهي نزعة للحق والعدل. كما وانها احساس عميق بالمتحد المشدود بعضه لبعض، في تلاحم حياتي منتج.

ومن أشهر المنجزات الحقوقية في التاريخ القديم، شريعة حمورابي علماً بان هنالك شرائع سبقتها بمئة وخمسين سنة، ولكن شريعة حمورابي اتت متكاملة وتامة بالنسبة لروح ذلك العصر.

ونحن اليوم نذكر جيداً ان التشريع الروماني قد وضعه كل من اوليبيوس وبيبنيوس السوريين.

١٠ - التوحيد:

من المتعارف عليه ان السوريين القدامى هم الموحدون الاوائل في التاريخ بدءاً من ابرهيم الخليل الى ملكي صادق وبلعام الكنعاني، فقد آمنوا بالاله ايل اله الكنعانيين، الهاً كونياً شمولياً محتجباً، خالق السموات والأرض وما عليها. انه اله النور والحق والمحبة وهو نفس اله اخناتون، الفرعون امنمفيس الرابع. اذ ان لفظة اتون ومعناها وهج النار المستعرة في الموقد وهي لفظة كنعانية وعربية، اطلقها امنمفيس الرابع على اسم الهه الجديد وهو نفس ايل، الذي تعرف اليه تحت تأثير محبوبته وزوجته نفرتيتي الاميرة السورية.

وبموجب هذه الحقائق يعود التوحيد بأصوله الى النزعة الدينية السورية، الانسانية، انتقلت من سورية الى العالم اجمع.

١١ - الموسيقى:

لقد رافقت الموسيقى السوري القديم منذ فجر التاريخ. وأهم آلة موسيقية كانت القيثارة. ولا بد في هذا المجال من ان ننبه الى اكتشاف عظيم الأهمية وهو ان علماء الآثار عثروا على رقيم فخاري في رأس شمرا

(اوغاريت)، بقيت رموزه مستعصية على العلماء. ولكنهم مؤخراً حلّوا هذه الرموز وذلك بعد أربع عشرة سنة من التدقيق، والدراسة، وكان ذلك على يد مجموعة من العلماء في كاليفورنيا واذ بالرقيم يحمل انشودة موسيقية مسجلة وقد اعتبروا هذه «النوطة» التي تعود الى ١٨٠٠ ق.م. أقدم نوطة موسيقية في العالم.

أما اللحن فيرتكز على سبعة أصوات، على غرار السلم الموسيقي المعاصر وهي الآن موجودة في المتحف الوطني بدمشق ومغناة على شريط.

ان مثل هذا الابداع الى جانب «العبقرية المفاجئة» كما يقول العلماء، عبقرية مخترع الأبجدية في أوغاريت، أدهش العالم، بحضارة ابن بلادنا التي أغنت بالفعل حضارات العالم.

هذا غيض من فيض، ولا يمثل سوى عناوين خاطفة لحضارة أغنى مما يتصور الانسان جديرة بان تدرس دراسة فلسفية اجتماعية. دينية وفنية لتكون لنا قبساً نهتدي به.

هذا ما كنا عليه، منذ خمسة آلاف سنة، فمن حيث كنا والى ما سوف نكون، سنظل نكشف عن تراثنا الأصيل، في سبيل عزنا ومجدنا.



في الفن والتاريخ نحو غد مشرق

العمل الفني لا يقف عند حدود العقل كما لا يقف عند حدود العاطفة المجردة انه عمل يرتكز على الفكر العاطفي المنسجم مع الذات المجتمعية الانسانية.

والفرد يستقي جميع امكانياته ومؤهلاته العقلية والنفسية من مجتمعه عبر تاريخ طويل بالتفاعل الحي مع الحاضر ومع خط التاريخ في المستقبل.

ولقد تعرف الانسان الى الوجود عن طريق حواسه الخمس من بصر وسمع ولمس وشم وذوق محدودة الامكانيات لكل منها سلم محدود لا يستطيع الانسان أن يميز الوجود الا عبر هذا السلم فالدرجات الدنيا والعليا لا تقع ضمن قدرة الحواس ولذلك لم يتأقلم العقل والشعور على الدرجات غير الواضحة، فبقي الفكر العاطفي ضمن اطار سلم الحواس المحدودة، ولذلك أيضاً، بقيت امكانياته محدودة كما بقي قسم كبير منه، غير فاعل وفي حالة كمون.

ولما كان الادراك يتوق الى أبعد من حدود امكانيات الحواس برزت المخيلة وهي ما اصطلحنا على تسميتها بالحاسة السادسة بتخطي حدود امكانيات الحواس لتسبر أغوار الوجود وتتطلع الى عالم جديد في تأملات ذاتية مبدعة وخلاقة ومن هنا بالذات تنشأ ولادة الفن. هذه الولادة لا تكون الا من ضمن ما تعرف اليه الانسان وعبره، في البيئة التي نشأ فيها

والمجتمع الذي تفاعل معه وهو جزء من الانسانية العامة.

فلما كانت المجتمعات البشرية تشكل بمجموعها شخصية انسانية واحدة من حيث العوامل الرئيسية المشتركة، تضمنت شخصية الفنان جزءاً من هذه العوامل المشتركة تحت شعار العامل الانساني الواحد.

فالعمل الفني يأخذ أصوله من قلب المجتمع، انه حصيلة دفع الفكر العاطفي ينشأ في البدء شعوراً مضطرباً، ثم لا يلبث أن يصفو تدريجياً لينفصل ويتفاعل ويدخل في تأملات بعيدة تتفجر عبقرية مداها الخلق والابداع.

وعلى شريط الوعي والإنفعال والتفاعل والتأمل، يقف الفنانون و متذوقو الفن، درجات درجات، وأما الطليعة فهي من نصيب العباقرة. فالفن اذن ثورة على الوجود في السعي الى خلق وجود أحسن وأفضل، انه أبعد ما يكون عن المحاكاة التي لا تخرج عن نطاق المهارة فقط، دون أن تفتح أبواب الخلق والابداع.

وأول شرط من شروط الفنان ليكون فناناً اصيلاً أن يعي ذاته أولاً، محدداً قوة حساسيتها ومقدار فعاليتها عن طريق انفعالاته التأملية، ثم في ان يحدد مكان وجودها في مجتمعه بالنسبة للنظرة الانسانية العامة المشتركة.

ولا يصح للفنان أن يعي ذاته الا بوعيه لشخصية مجتمعة في ماضيها وحاضرها واتجاه مستقبلها كيما يتاح له أن يحدد موقع شخصيته الفردية على وعي الشريط الفكري العاطفي العام.

أما المجتمع الذي يغذي الفنان فهو متعدد الصفات والامكانيات والحاجات الروحية، انه عالم صغير قائم بذاته ضمن مجموعة العوالم البشرية الأخرى ولا يمكن للفرد مهما أوتي من عبقرية أن يعي كامل قوة مجتمعه فهذه القوة تبدا منذ فجر التاريخ تتجمع وتتوحد لتصبح كياناً انسانياً تتمثل فيه جميع امكانيات الأفراد في وحدة تامة.

قد يلم الفرد ببعض الامكانيات غير أنه يعجز عن الاحاطة بها كاملة ولذلك كانت الشخصية المجتمعية وهي روح المجتمع أقوى من الذات الفردية والينبوع الذي تستقي منه فعاليتها. ولذلك أيضاً كان على الذات الفردية أن تتفاعل دوماً مع الشخصية المجتمعية لاستكمال عناصر رقيها وكمالها.

الوعي الذاتي:

اننا دوماً نتحدث عن معرفة النفس مرددين أقوال الفلاسفة حول هذه القضية ومثل هذه المطلقات كثيراً ما تبقى معلقة في ضبابية الفكر دون أن نصل الى توضيح واقعها ولذلك كان من واجبنا أن نتفهم باستمرار الأفكار الفلسفية المطلقة عبر النظرة الواقعية حتى تتم لنا معرفتها معرفة كافية وبقدر المستطاع والا بقيت هذه الأفكار بعيدة عن تصرفاتنا وبالتالي عن امكانية تحقيقها.

ومن أجل أن يعي الفنان أو متذوّق الفن ذاته كان لزاماً عليه أن يقرر، بينه وبين نفسه اللون الفني الذي يتعشقه بالدرجة الأولى من بين مجموعة الألوان التي يتحسس بها ومثل هذا اللون خاضع حتماً لتأثيرات عديدة منها السن والوضع العائلي والظروف الاجتماعية والمادية المحيطة به الى ما هنالك من عوامل تقرر بطبيعتها مدى نشاط الفعاليات الفنية في حياة الانسان وبغض النظر عن كل هذه المؤثرات يتراءى لنا أن على صاحب الموهبة الفنية أن يتفقد جميع حنايا موهبته التي تتجلى باديء ذي بدء بالميل العفوي نحو لون فني معين وبفضل الجهد الارادي النفسي تزداد الادراكات العاطفية في هذا الحقل بالذات وعند ذلك اما أن يخطو الانسان بموهبته خطوات واسعة واما أن تكون موهبته محدودة يقف بها عند حد معين لا يستطيع تجاوزه ومن أجل تقرير هذه الأمور الخطيرة يترتب على الفنان أن يعتمد النقد النزيه لانتاجه، ومدى تقبل المجتمع الى حد ما لهذا الانتاج. وفي كل مرحلة

من المراحل الانتاجية يجب أن يمر الفنان بحساب عسير بينه وبين نفسه يخلص منه الى تبني أمور جديدة والتخلي عن أمور أخرى وذلك بالنسبة للرأي العام القائم أولاً على صعيد النقد، وثانياً على القراء، والمطلعين، هذا علماً بان التاريخ يسجل دوماً بروز عبقريات فذة تسبق زمانها بفعل المخيلة الناشطة المبدعة وهي تعبر حدود المحسوسات، ولذلك كان ادراك عمق هذه العبقريات يفوق ادراك النقاد أنفسهم، ان مثل هذه المواهب الفذة لا تتمكن من سبر أغوارها الا روح المجتمع، ولو بعد حين.

ومتى استطاع الانسان الدخول في هذه المحاكمة النفسية العسيرة يجوز له عندئذ تعيين مركزه على شريط الوعي الفني مصنفاً نفسه منتجاً أو ناقداً أو متذوقاً للفن، وبهذا يكون قد حدد خط سيره دون تخبط وعرقلة للآخرين، ان الاستمرار في التخبط بعيداً عن روح التخصص الحقيقي من شأنه أن يضيع على الفنان دربه الحقيقي وعلى المجتمع الافادة منه.

الوعي المجتمعي:

بعد أن تتحقق معرفة النفس أي معرفة امكانيات ومواهب هذه النفس، يكون عندئذ قد برز الوعي الذاتي، ان هو الا جزء لا يتجزأ من الوعي المجتمعي لأنه ينبع منه سواء أدرك الفنان أم لم يدرك ولذلك كانت مهمتنا شاقة جداً في هذه المرحلة بالذات التي يترتب علينا فيها أن نرد الفرع الى الأصل أي أن نتعرف الى الجذور العميقة في المجتمع المتصلة بها مواهبنا ومن أجل هذا الادراك الواعي، تقضي ثقافتنا الفنية بالاحاطة وبوجه عام بمختلف الألوان الفنية التي ظهرت في مجتمعنا منذ فجر التاريخ، وعلى الأخص اللون الذي نميل اليه أكثر من سواه، علماً بأن الدراسة العامة لجميع الألوان نستكمل بها ثقافتنا لأن الألوان جميعها تؤلف وحدة تتبلور وتنتهي.. في شخصية المجتمع عبر شخصية الأفراد. ولا بد من دراسة التاريخ في المجتمع الواحد من الاحاطة بجميع الشرايين الحضارية التي انفعل

بها الفن في سياقه الطويل. ومن هنا يتراءى لنا دوماً خطر الصعود والهبوط فالروح الفنية وهي على شريط الوعي تنفعل بالأحداث التاريخية وفقاً لعمقها وامتدادها. وفي أثناء هذه المرحلة التثقيفية ينفعل الوعي الذاتي بأحداث الماضي فتتفتح أغوار النفس على مكنونات كانت حتى تلك اللحظة في حالة كمون وصمت لتنبعث تفجرات عاطفية عظيمة الشأن في حياة الانسان.

وبقدر ما تكون الثقافة مركزة بقدر ما تكون العاطفة المحضونة بالادراك جياشة وهذا ما نعنيه بالفكر العاطفي.

فالفنان الذي لا يعود بنفسه الى روح مجتمعه لا ينفعل انفعالاً صحيحاً بحاضر أمته وبمستقبلها فيأتي فنه مشوشاً ومتعدد الشخصيات على قدر ما يكون قد تلقح بشخصيات أجنبية قد تفيد منها أمته بعض الشيء أو لا تفيد.

وهذا الفن يكون على كل حال عاجزاً عن تأدية رسالته بعجزه عن تأدية رسالة امته والمحافظة على أصالتها.

الفنان ملتزم اذن، من حيث يدري أو لا يدري برسالة أمته لأنه منها واليها، انه انسان مجتمعي وعلى هذا المحور تدور جميع امكانياته فلكل مجتمع فن كما لكل مجتمع فلسفة.

الوعي الانساني:

ان المجتمعات البشرية بمختلف أشكالها، في الماضي والحاضر، احداث تاريخية كبرى وتفاعلات بشرية ضمن مجموعة بشرية معينة. وهذه الأحداث وهذه التفاعلات انما هي بالأساس من صنع هذه المجتمعات ما لبثت أن انفعلت وتفاعلت معها.

ودعوة الحياة الى الرقي والتسامي انما هي دعوة عامة وشاملة. ولذلك كان على الفنان وهو ابن الحياة ان يعي العامل الانساني المشترك الذي يجمع بينه وبين أخيه الانسان فالطاقة الفنية التي أحاط بها والتي هي منبثقة أصلاً

من روح مجتمعه يجب أن تلتقي بالخط الانساني العام تلبية لدعوة الحياة وبغير ذلك تصبح الطاقة الفنية متحجرة على مفهوم خاص في كل بقعة من بقاع العالم منعزلة أو متحاربة، عاجزة عن تلبية دعوة الحياة المثلى.

الفنان هو الانسان الحي الذي يتحسس مصير البشرية من ضمن نظرته المجتمعية وهذا ما يجعل فنه ذا لون انساني في مراميه البعيدة وقابلاً للتلاقي مع الخطوط الفنية في المجتمعات الأخرى لتشكل جميعها طاقة فنية متعددة الامكانيات في خدمة الانسان وسائر المخلوقات، وما عدا ذلك لن يكون الفن طريق خير ومحبة وجمال، انما نزعة خاصة عدائية أو متقوقعة على ذاتها ومتحجرة وفي مثل هذه الحالات لا يجوز اعتبار الفن فناً بالمعنى الأصيل.

الانفعالات الفنية:

بعد أن يفهم الانسان ذاته المجتمعية الانسانية تبرز في ضميره الأحداث والتفاعلات التاريخية العظيمة الشأن الماثلة في نفسه على الدوام سواء في حالة الوعي أو اللاوعي فيتأثر بها وتكون حافزاً له على جلاء قدراته الابداعية.

وهذه الأحداث منها ما ينبعث من مجتمعه الخاص ومنها ما ينبعث من المجتمعات الأخرى وعندئذ تتجاوب الأحداث فيما بينها فتولد عند الفنان تيارات جديدة من ضمن نظرته الخاصة تتجه الى ما وراء الواقع بفعل المخيلة لتتمثل واقعاً مثالياً فاضلاً.

والأحداث التي نعنيها تكون ايجابية أو سلبية وفي الحالتين تولد اما فعلاً أو رد فعل لخدمة الخطوط الايجابية الصاعدة.

النزعة الفنية هي حركة انفعالية تسمو بالذات المجتمعية الانسانية الى الأعالي فهي اذن نزعة خير وجمال ترتفع الى ما وراء الواقع نحو الصفاء الكلي:

ومقر النزعة الفنية هو الضمير المشبع بالحرية والمعرفة: عناصر ثلاثة

ارتفعت بالانسان الى أعلى الرتب والفنان كما قلنا يقع تحت وطأة التأثيرات الايجابية والسلبية فالايجابية تفعل فيه ضمن اطار الواقع ولا تكون الى حد كبير في انطلاقة حرة، بينما السلبية تدفع به الى ما وراء الواقع ليخلص من السلبية في انطلاقة حرة واسعة.

ولذلك كان الألم لا الشقاء من أعظم الدوافع الفنية لدى الانسان ولذلك كان الألم دوماً شاحذاً للعبقريات الفذة.

وقد يقوم فنان برسم حالة بشعة ومع هذا نعتبر فنه أصيلاً لأن العبرة تكون في رد الفعل المنبعث من هذه الحالة، ليرينا الوجه الثاني بالمخيلة، وهو الوجه الثاني المطلق.

ان الضمير المعطي هو ينبوع الفن وكذلك أيضاً الضمير المتلقي انه التربة الصالحة التي فيها يتفاعل الفن فالى هذه الاجواء جميعاً ندعو فنانينا الى التلاقي والتفاعل.



المراجع والمصادر:

- التوراة
- العرب واليهود في التاريخ - د.أحمد سوسا
- قصة الحضارة - ويل دبورانت
- الصهيونية والشيوعية - فرانكفورت
- خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى - د. فيليب حتى
- موجز في التاريخ القديم - د.عامر سليمان واحمد مالك الفتيان
- ابرهيم وزمانه - آ. بارو
- بروتوكولات حكماء صهيون - الأب جوان سنة ١٩٢٠
- التوراة الكنعانية - هـ.ي. ديل ميديكو
- تاريخ المعتقدات - ميرسيا ايلياد
- حضارة الحثيين - ج. كونتينو
- تاريخ الشرق الأدنى - بريستد
- ايل يهوه ويسوع - الفريد المر
- تاريخ الحضارة - غوستاف لوبون
- مختصر دراسة التاريخ - توينبي

المحتويات









هذا الكتاب

لا أخال عربياً واعياً واحداً من المحيط إلى الخليج، يعيش باطمئنان إلى غده، الكل متعبون ولا تبدو على واحد منهم إمارات الهناء.

وإذا تعدّينا حياة الأفراد ودخلنا في صميم المجتمع، فإننا نصطدم إما بجيل قديم مرهق مادياً وروحياً أو بجيل جديد تائه وناقم، والطريق أمامه تكاد تكون مسدودة.

وعندما يصل أفراد الأمة إلى هذا المستوى من العيش الرخيص تكون الأمة في طريق الإنهيار، يتلهى أفرادها بالتغني بأمجاد الماضي وهم يقتربون من القاع.

وعلى العقلاء ورواد الفكر ان يُمعنوا النظر في هذه الظاهرات السلبية ليحولوا دون التردي النهائي.



منشورات دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٦٥٩٦ - ١١٣ بيروت